شاعرات عربيات

حلقن في سماء الشعر قديماً وحديثاً !





شاعرات عربيات

حلقن في سماء الشعر قديمًا وحديثًا!

محمد الدسوقي

دار الطلائع

الدسوقي، محمد.
شاعرات عربيات حلقن في سماء الشعر قديماً وحديثًا / محمد الدسوقي
- القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.
٢٢٤ ص؛ ٢٤ سم.
تدمك ٢ ٥٧٢ ٢٧٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١-المرأة كشاعرة. ٢- الشعراء العرب.
أ- العنوان.

٩٢٨,١٠٤٢

رقم الإيداع: ١٤١٥١ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولي: 978-977-277-572-2

دار الطلائع
للنشر والتوزيع والتصدير

٤٢ شارع علي أمين امتداد مصطفى النحاس - مدينة نصر - القاهرة
تليفون: ٢٤٠١٥٢٧٨ - ٢٤٠١٥٢٧٩(٢٠٢) فاكس: ٢٤٠٤٣٨٠٣(٢٠٢)
E-mail : info@altalae.com Web site : www.altalae.com

تصميم الغلاف: إبراهيم محمد إبراهيم

مطابع العبور الحديثة بالقاهرة ت: ٤٦٦٥١٠١٣ فاكس: ٤٦٦٥١٥٩٩



مقدمة

يقول « ابن رشيق العيد » فى كتابه « العُمدة » تحت عنوان: « فَضْل الشعر »:

« العرب أفضل الأمم، وحكمتها أشرف الحِكم، وكلام العرب منظوم ومنثور، لكل منهما ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، ورديئة.

فإذا اتفقت الطبقتان فى القدر، وتساوتا فى القيمة، ولم يكن لإحداهما فضل على الأخرى، كان الحكم للشعر، لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه!!

ألا ترى أن الدُّرّ– وهو أخو اللفظ الذى به يُشَبّه– إذا كان منثورا لم يؤمَن عليه!

فإذا نُظم كان أصْونَ له، وأظهرَ لحسنه!!

واللفظ إذا كان منثورا تبدد فى الأسماع، فإذا أخذه سِلك الوزن تألفت أشتاتُه، وازدوجت فرائدُه ».

وأقول: من هنا كان اهتمامنا بتقديم هذه « النماذج الشعرية للمرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها »: فالشعر ديوان العرب!

- **ويقول ابن رشيق أيضا:**

وليس من « بنى عبد المطلب » رجالا ونساء من لم يقل الشعر حاشى النبيّ ﷺ .

وكانت السيدة فاطمة الزهراء -رضى الله عنها- تقول الشعر، ورُويت لها أشعار كثيرة.

كما كانت السيدة عائشة -رضى الله عنها- كثيرة الرواية للشعر، يقال: إنها كانت تروى جميع شعر لَبِيد!

وكتب الأدب الكبرى حافلة بأشعار النساء، ونقدهن الشعر، والنساء.

• كما يقول ابن رشيق:

أشجى الناس قلوبا عند المصيبة، وأشدهم جزعا على هالك، لما رَكّب اللهُ - عز وجل - فى طبعهن من الخَوَرِ، وضَعْفِ العزيمة!

- فانظر إلى قول « جليلة بنت مرة » ترثى زوجها « كُلَيْبًا »، حين قتله أخوها « جساس »، ما أشجى لفظَها، وأظهرَ الفجيعة فيه!!

وكيف يثير كوامن الأشجان، ويقدح شرر النيران، وذلك:

يا ابنةَ الأقوامِ إن لُمتِ فلا ... تَعْجَلى باللومِ حتى تسألي [1]

فإذا أنتِ تَبَيَّنْتِ التى ... عندها اللومُ فلُومِى واعذِلى

إن تكن أختُ امرئٍ لِيمتْ على ... جزَعٍ منها عليه فافعلى

فِعْلُ جساسٍ- على ضَنِّى به- ... قاطعُ ظَهري، ومُدْنٍ أجَلى

هدم البيتَ الذى استحدثتُه ... وسعى فى هدمِ بيتى الأولِ

- ويروى أن « قُتَيّلة بنت النضر » عرضت للنبى ﷺ وهو يطوف فاستوقفته، وقد كان قتل أباها [2] وأنشدته:

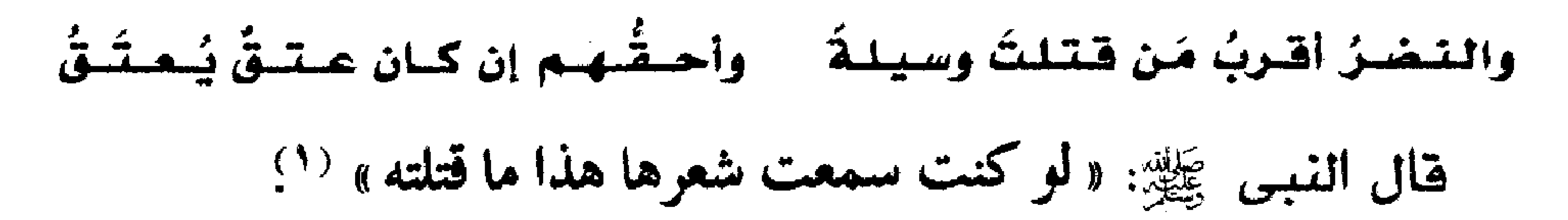
أمحمدُ ها أنت نَجْلُ نجيبةٍ ... من قومِها، والفَحلُ فَحْلٌ معرقُ

ما كان ضَرّك لو مَنَنْتَ، ورُبما ... مَنّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ

---

(١) سيأتي إن شاء الله شرح القصيدة عند عرضها كاملة.

(٢) كان قتله يوم بدر. الإصابة قسم٨- والاستيعاب ١٩٠٤، وأسد الغابة، وسيرة ابن هشام.



والنضرُ أقربُ مَن قتلتَ وسيلةً ... وأحقُّهم إن كان عتقٌ يُعتَقُ

قال النبى ﷺ: « لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته » [١]!

وشاعرات العرب فى الجاهلية والإسلام بلغن من الكثرة حدًّا يناهز الرجال، ومنهن مشهورات قد طارت أسماؤهن، وسار شعرهن وكان منهن راوياتٌ للشعر كأم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- كما كان منهن ناقدات للشعر، فقد حُكى أن « كُثَيِّر عَزّة » كان مارًّا ذات يوم فإذا بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشى على غير هدى! فقال لها: تنحَّيَ [٢] عن الطريق!

فقالت له: ويحك! ومن تكون؟

فقال: أنا كثيِّر عزة!

قالت له: قبَّحك الله، وهل مثلك يُتَنَحَّى له عن الطريق؟!

فقال: ولمَ؟

قالت له: ألستَ القائل:

وما روضة بالحَزْن طيبةُ الثَّرى ... يمجُّ النَّدَى جَثجَاثُها وعَرارُها [٣]

بأطيَبَ من أردَانِ عزةَ مَوْهِناً ... إذا أوقدت بالمَجْمَرِ اللدْنِ نارُها [٤]

ويحك يا هذا! لو تَبَخَّرت بالمَجْمَرِ اللَّدْن مِثلي، ومثل أمك لطاب ريحُها!!

---

(١) انظر الإصابة لابن حجر قسم ٨ ترجمة (رقم ١١٦٤٢). وسيأتي شرح القصيدة إن شاء الله فى فصلها.

(٢) المختار من ذيل ثمرات الأوراق لابن حجة الحموى، وتنحّيْ: ابتعدى.

(٣) الحَزْن: ضد السهل. يمُج الندى: يقذف ويرمي. جَثجاثها: نبت طيب الرائحة. العَرار: النرجس البري، وهو نبات طيب الرائحة.

(٤) الأرْدان: جمع ردن. وهو الجزء الواسع من الكم. مَوهنا: نصف الليل ومعناه الظرفية. المجمر: ما يوضع فيه الجمر. والعود نفسه الذى يوضع فى النار ليتطيب به (البخور).

هلا قلت مثل سيدك امرئ القيس:

وكـنـت إذا مـا جـئـتُ بـالـلـيـلِ طـارقـا

وجـدتُ بـهـا طِـيـبًـا، وإن لـم تَـطَـيَّـبِ!

فخجل كثيِّر ولم يردّ جوابا!

هذا، وقد تناولت فى هذا الكتاب ألوانا من الشعر النسائى قبل الإسلام وبعده وجعلته فى خمسة فصول:

الفصل الأول:

-شاعرات شهيرات قلن الشعر فى مختلف فنونه.

الفصل الثاني:

-شاعرات تألقن فى فن الرثاء، وعُرِفن به!

الفصل الثالث:

-مطارحات شعرية تفوقت فيها النساء على الرجال!

الفصل الرابع:

-مُلَح شعرية نسائية يَسْتَمْلِحُها القارئ، ويطيب نفسا بها.

الفصل الخامس:

-مقطوعات شعرية وردت على ألسنة الأمهات عند ترقيصهن الصِّبيان والبنات!


ألا وإن هذه النماذج التى تم اختيارها بعناية تؤكد الملامح الأساسية لشعر المرأة قبل الإسلام وبعده. وتقف القارئ الكريم على ما خلفته المرأة من إبداعات منوعة فى شتى أغراض الشعر إلى جانب تلك المطارحاتِ والمُلح الشعرية.

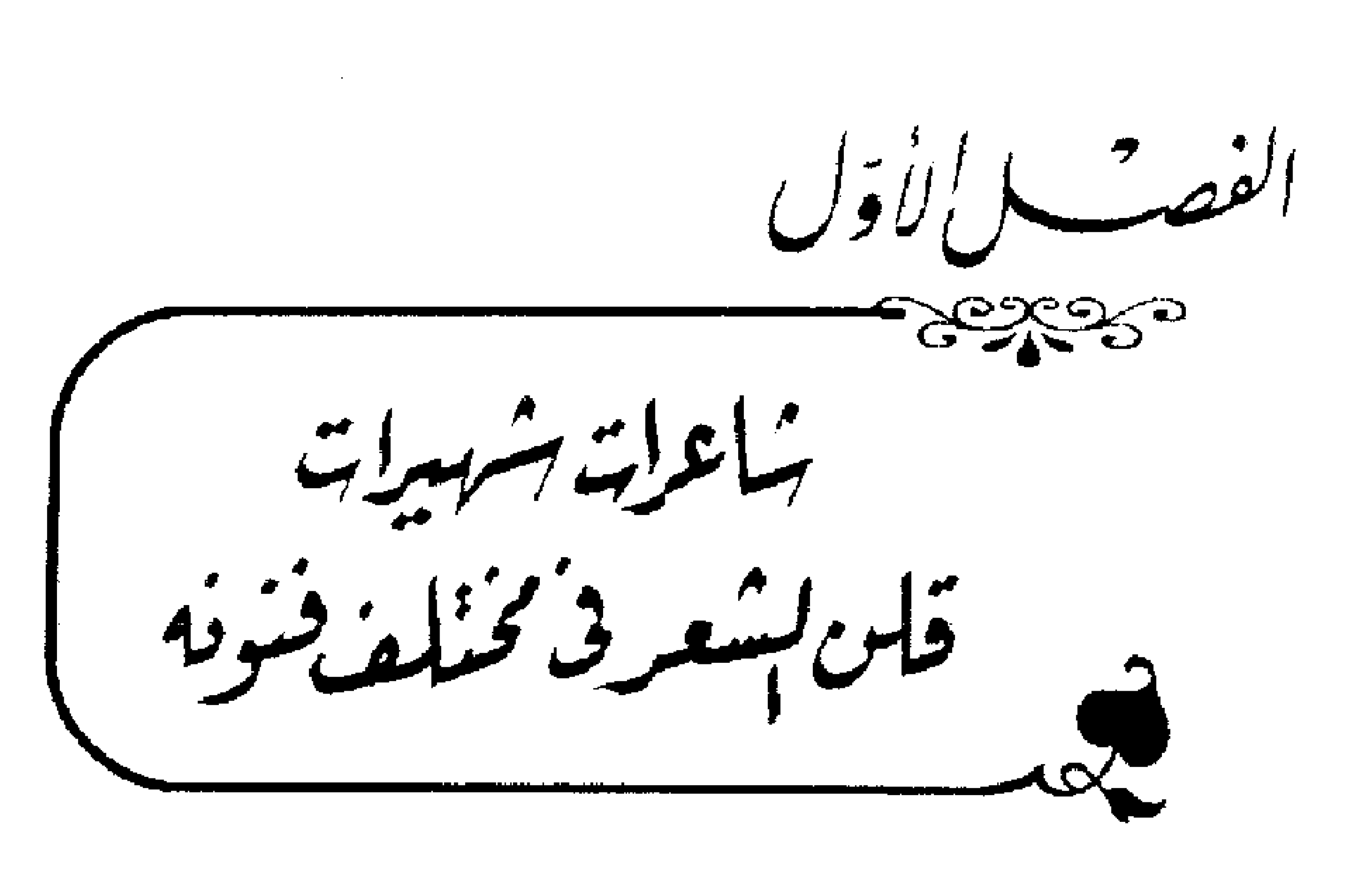
وتيسيرا على القارئ الكريم، قمت بضبط الأبيات وشرح ما غمض من الكلمات والعبارات، والتعليق عليها بما يتيح له المتعة، والنزهة فى رياض الشعر! مشيرا إلى المصادر كلما أمكن ذلك.

وأرجو أن أكون قد وفقت فى اختيار هذه النماذج التى تصور لنا عواطف « شقائق الرجال »، وتزيدنا فهما لهن، ومعرفة بهن، وتقديرا لمواقفهن، واعترافا بفضلهن! ومتابعة لشعرهن فى المراجع الأدبية!

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

محمد الدسوقى





● بيان بهن:

١-صفية بنت ثعلبة الشيبانية.

٢-الحُرَقة بنت النعمان.

٣-زينب بنت مالك.

٤-الخنساء أخت زهير بن أبى سلمى.

٥-هند بنت الخُس.

٦-جمعة بنت الخُس.

٧-زقاء اليمامة.

٨-جارية البسوس بنت منقذ.

٩-جليلة بنت مرة.

١٠-سُعدى بنت كُرز.

١١-ليلى الأخيلية.

١٢-الخنساء بنت عمرو بن الشريد.

١٣-أم سنان بنت جشمة.

١٤-سودة بنت عمارة.

١٥-أم البراء بنت صفوان.

١٦-بكارة الخزاعية.

١٧-ريطة بنت الطعان.

١٨-حَذَامِ بنت الريان.

١٩-ليلى العفيفة بنت لكيز.

٢٠-رابعة بنت إسماعيل العدوية.

٢١-ليلى العامرية.

٢٢-خولة بنت الأزور.

٢٣-حمدة بنت زياد.

٢٤-ولاّدة بنت المستكفي.

٢٥-حُسَانة التميمية.

٢٦-باحثة البادية.

٢٧-عائشة التيمورية.

١- صفية بنت ثعلبة الشيبانية
الملقبة بالحجيجة - حجيجة وائل

استجارت بها « الحُرَقة » وهى « هند بنت النعمان »، فأجارتها، وقامت إلى قومها بنى شيبان » تُعلنهم هذه الإجارة ضد « كِسرى » وجيوشه بقولها :

١ - أَحْيُوا الجِوار فقد أماتته معا
كلُّ الأعارِب، يا بَنِى شيبانِ (١)

٢ - ما العُذْرُ؟! قد لفَّت ثيابى حُرّةً
مغروسةً فى الدُّرّ والمرجانِ (٢)

٣ - بنتُ الملوك ذوى الممالك والعُلا
ذاتُ الحِجالِ، وصفوةُ النُّعمانِ (٣)

٤ - أَتَهاتَفُون وتَشْحَذُون سيوفكم
وَتُقَوِّمُونَ ذوَابِلَ المُرَّانِ (٤)

٥ - وتُسَوِّمون جنودَكم يا معشرى
وتجدّدُون حقيبةَ الأبدان؟! (٥)

---

(١) كان العربي حين يستجير بأخيه العربي يُجيره ويحميه وينقذه مما هو فيه، ولهذا يطلق الجوار على العهد والأمان، وكان لهذا الجوار تبعاته مما دعا الكثيرين إلى النجاة بأنفسهم، ولهذا تطالبهم الشاعرة بإحياء هذه العادة التى أميتت. الأعارب: الأعاريب، جمع الأعراب. وهم البدو. وبنو شيبان: قوم الشاعرة.

(٢) مغروسة إلخ نشأت فى النعمة فى بيت ملك.

(٣) ذات الحجال: الحَجلة: ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس فى جوف البيت. الصفوة من كل شيء: خياره وخالصه كصفوه.

(٤) أتهاتفون؟ أتتصايحون صيحة الحرب وينادى بعضكم بعضا، وتستعدون لمواجهة العدو بشحذ السيوف وإحداد سنانها. ويقال: رمح ذابل دقيق. والمُران: الرماح الصلبة اللدنة. يقال: تطاعنوا بالمران. واحدته مرانة.

(٥) وتسومون جنودكم: يقال: سوّمت على القوم إذا أغرت عليهم، فعثت فيهم. والحقائب: جمع حقيبة: كل ما يحمل وراء الرحل. وتجديدها كناية عن الاستعداد.

٦-وعلى الأكاسرِ قد أجرْتُ لحرةٍ
بكُهولِ مَعْشَرِنا، وبالشُّبانِ [(١)]

٧-شَيْبَانُ قومي هل قبيلٌ مثلُهم
عِندَ الكفاحِ وكَرَّةِ الفُرْسانِ؟! [(٢)]

٨-لا والذّوائبِ من فُروع ربيعةٍ
ما مِثْلُهم في نائبِ الحَدَثانِ [(٣)]

٩-قوم يُجيرون اللَّهيف من العِدا
ويُحاط عُمري من صُروفِ زماني [(٤)]

١٠-تَرِدُ الهِياجَ بنو أبي لا تتّقي
مَسْطَى العدوِّ، وصولةَ الأقرانِ [(٥)]

١١-إني حُجيجةُ وائلٍ، وبوائلٍ
ينجو الطريدُ بشُطْبةٍ وحِصانِ [(٦)]

١٢-يا آلَ شَيْبانِ ظفرتم في الدُّنا
بالفخر، والمعروف، والإحسانِ [(٧)]

---

(١) أجرت لحرة: تعني هندا. على الأكاسر تعنى الفُرس. والكهول: جمع كهل وهو من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين.

(٢) القبيل: الجيل، والجماعة، والأتباع.

(٣) الذوائب: جمع ذؤابة، وهي من كل شيء، أعلاه. ويقال: فلان ذؤابة قومه: شريفهم والمقدم فيهم. والحدثان، حدَثان الدهر نوائبه وحوادثه. والحدَثان: الليل والنهار.

(٤) اللهيف: المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر. صروف: جمع صرف، وصرف الدهر: نوائبه وحَدَثانه. ويحاط عمري: يحفظ ويُتعهد بجلب ما ينفعه ودفع ما يضره.

(٥) الهياج: الهيجاء وهي الحرب. مسطى العدو: سطوته وبأسه. والأقران جمع قِرن، وهو المماثل فى الشجاعة وصولة الأقران: سطوتهم وإرادة قهرهم.

(٦) الطريد: المطرود. الشُّطبة: واحدة الشُّطَب، وشُطب السيف الخطوط تتراءى فى متنه. وبالسيف والحصان والفوارس تكون نجاة الطريدة.

(٧) الدنا: جمع الدنيا، والدنيا مؤنث الأدنى والحياة الحاضرة.

انتصار بني شيبان على الفرس

قام بنو شيبان بإجارة[1] «هند بنت النعمان»، وحاربوا جنود العجم[2]، وكسروهم كسرة قبيحة، وغنموا منهم مغانم كثيرة فقالت صفية في ذلك:

١-ساقت فوارسُ شَيبانٍ لِمَعْشَرِها
خيرَ الصنائِع فيها طَفرةُ العَجَم[3]

٢-غُنما سَبَايا من الدِّيباجِ فُرشُهمُ
والتُّستَرِيّ، وأفنانٍ من القِسَم[4]

٣-ثم النُّضَارِ وفيه الدرُّ منتظمٌ
واللؤلؤُ العجم والمعروف بالنُّظُم[5]

٤-أُهدى أخي عمرو خير الغُنْم فانتظروا
عندَ الصباحِ جباهَ الخيل بالخَدم[6]

٥-يا آل شيبانَ بعد اليوم لا صَدَرٌ
عن الكفاحِ وضربِ مُتْلِفِ القِمم[7]

٦-إني وعَمْرًا على وَعْدٍ يفيء به
من الوفاء، وأسْبابِ من الذمم[8]

---

(١) بحمايتها وتأمينها إلى جوارهم.. لقد استجارت بهم من الفرس فأجاروها.

(٢) العجم: غير العرب.

(٣) الصنائع: جمع صنيعة. كل ما عمل من خير أو معروف. والطفرة: الوثبة. ويعني بالعجم: الفرس.

(٤) سبايا: أسارى. الديباج: ضرب من الثياب سَداه ولُحمته حرير. والتُّستَرِي: المنسوب إلى مدينة تستر في غربي إيران من الثياب. والقِسَم: جمع قسيمة وهي قسيمة العطار، وهي جونة حسنة منقوشة يكون فيها العطر.

(٥) النُّضار: ذهب خالص. الدر والواحدة درة وهي اللؤلؤة العظيمة. منتظم: منظوم. والنُّظُم جمع نظيم وهو ما تناسقت أجزاؤه. يقال نظيم من لؤلؤ. والجمع نُظُم.

(٦) جباه الخيل: الجماعة منها. الخَدَم: جمع خَدَمة وهي الحلقة المحكمة. وسير غليظ محكم مثل الحلقة يشد في رسغ البعير. والقيد وهو المراد.

(٧) لا صَدَر: لا انصراف ولا رجوع. القمم: جمع قمة ويراد بها القامة والبدن. وجماعة الناس.

(٨) يفيء به: يرجع به من الفيء وهو الغنيمة تنال بلا قتال. والذمم: جمع ذمة وهي العهد والأمان والحق والحرمة.

٧- هذا مقالى وقومى قائلون معى

كما أقول لِسَانٌ صادق بفَمِ

٨- أنا الحُجَيجَةُ من قومٍ ذوى شرفٍ

أُولى الحِفاظِ وأهلِ العزّ والكَرَمِ [١]

٩- والعزُّ فيهم قديما غيرُ مُقترَفِ

والجارُ- فاعلم- عزيزا دارُه بهم [٢]

١٠- قولوا الكسرى: أَجَرنا جارَةً فثَوَتْ

فى شامخِ العِزِّ يا كسرى على الرُّغُمِ [٣]

١١- نحن الذين إذا قمنا لداهيةٍ

لم نبتدعْ عندها شيئًا من الندمِ

١٢- نحوطُ جارتَنا من كُلِّ نائبةٍ

ونرفِدُ الجارَ ما يَرْضَى من النَّعَمِ [٤]

---

(١) الحفاظ: الذّب عن المحارم والمنع عند الحروب، والوفاء بالعقد.

(٢) غير مقترَف: غير مكتسب بل هو قديم.

(٣) تعني نفسها. وثوت: أقامت.

(٤) الرِّفد: العطاء.



الحجيجة ترفض عرضا من أُحد قادة كسرى

رسل قواد جند كسرى رسولين إلى بنى شيبان يطلبان إليهم أن تنزل « الحُرَقَةُ » على اعة « منصور » (أحد قواد جند كسرى وهو عربى) لكى يبرئ ذمة الشيبانيين مما فعلوا، قيا الحجيجة، فأبت وقالت لهما:

١-قـولا لـمـنـصـورٍ: لا درّت خـلائـفـه!
ما صـاح فـيـهـم غـراب الـبـيـن أو نـعـقـا [(١)]

٢- مـن زوّج الـفُـرسَ يـا مـتـبـولُ قـبـلَـكـم
مـن الأعـارب يـا مـخـذولُ أو سـبـقـا [(٢)]

٣- اخـتـر - عَـدِمـتُـك مـن فَـدْمٍ - أخـا ثـقـةٍ
فـانـطِـق فـأنـت أشـرُّ الـنـاسِ إن نـطـقـا [(٣)]

٤- يـا ويـحَ أُمِّـك يـا مـنـصـورُ إنَّ لـنـا
خـيـلًا كـرامـا تـصـونُ الـجـارَ مـا عَـلِـقـا [(٤)]

٥- بـالـلـهِ لا نـالَ مـنـصـورٌ لـجـارتـنـا
وكـل جـيـش يـجـيـنـا يـرجـعـن فَـرَقـا [(٥)]

٦- فَـمُـتْ بـغـيـظـك يـا مـنـصـورُ واحْـىَ عـلـى
بَـغـضـاك قـومـي، وشَـمِّـرْ كـل يـوم لِـقـا [(٦)]

---

(١) الدّر: اللبن: لادرت خلائفه: دعاء عليه. والخَلِفَات: النوق الحوامل. ويقال فى عكسه: درت لفلان أخلاف الدنيا. جمع خِلف، وهو ضرع الناقة. والبين: الفراق والتشتت.

(٢) يا متبول: يقال: تبله الحب: أذهب عقله. والمخذول من لا ناصر له، ومن خذله الله ولم يعصمه من الشُّبه.

(٣) عدمتك جملة اعتراضية للدعاء عليه بالفقد. الفدْم: ثقيل الفهم عَيِيّ.

(٤) يا ويح أمك: ياويلَها، وقيل هي كلمة توجع وترحم! ما علق: ما استمسك بنا وتعلق بنا واستجار.

(٥) لا نال.. : لا تحقق له أمل. فَرَقا- بفتح الفاء والراء خوفا وفزعا وجزعا.

(٦) البغضاء: شدة البغض وهو المقت والكراهية. وشمّر: استعد لكل يوم يكون فيه لقاء بين جيوشنا وجيشك!

٧- واحذَرْ تَمَنّى فما تُعطَى مُناكَ بها
تلك الأماني تُعيدُ الضعفَ والعَرقَا[١]

٨- آلت بَنُو بكرٍ ترضى ما كتبت به
يابنَ الدنيةِ فأَجمِلْ إن أردتَ بقَا[٢]

***

الحجيجة تتحدى المنصور وجنوده!

رجع المنصور إلى كسرى بعد أن هزمته شيبان، فأمده بجند من العرب يعدون عشرين ألفا في أموال كثيرة ومؤن وافرة، فلما علمت الحجيجة بأمرهم قالت:

١- ماذا أُحاذِرُ من عِشرينَ يَقْدُمهم
في حَيّ غَسانٍ على نُجُبِ[٣]

٢- مِنَ الجِيادِ عليها الحَيُّ من يَمَنٍ
والعُجْمُ ترفُل في الماذِيّ واليَلَبِ[٤]

٣- وعِندي الأفقمُ الهَمَّاس في فِئةٍ
منهم ظَليمٌ وعمارُ بن ذي كَرِبِ[٥]

---

(١) واحذر تمنى: أن تتمنى فما نيل المطالب بالتمني. والعرقا: الهُزال. يقال فلان معروقُ العظام: أي مهزول.

(٢) آلت: أقسمت وحلفت. الدنية: الدنيئة الخسيسة. أجمِلْ: اتَّئِدْ واعتدل في الطلب. بقا: بقاء.

(٣) نُجب: جمع نجيب وهو الفاضل على مثله النفيس في نوعه.

(٤) من الجياد: بيان للمراد بالنجب. فالجياد جمع جواد وهو النجيب من الخيل. ترفل: تجر ذيولها وتتبختر في سيرها. والماذى: خالص الحرير وجيده. والماذية: الدرع اللينة. واليلب: جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرءوس خاصة. وجُنَن من لبود. والفولاذ من الحديد.

(٥) أفقم: اسم، ورجل فقيم يعلو الخصوم. الهماس: الأسد الكسار لفريسته.

٤-وعُقبةٌ، وعَبَّادٌ، والربيعُ إلى
ذى العِزَّةِ الفارسِ الحَمَّالِ بالكُثُب(١)

٥-والصَّلْتُ مع سالم والمالكان معا
ومسلم بعد بكرِ الفارسِ الأرِب(٢)

٦-ونافعٌ، وعُمَيْر، والمروح في
فرسانِ شَيبانَ لا مِيلٍ ولا عُضُبِ(٣)

٧-والأحوصان، وأعواف، وأحْسَبُهم
وابن المسيّب من ذى الخيلِ بِالقُضُب(٤)

٨-يا عمرُو عمرُو أجِبْنى يا بنَ ثعلبةِ
ياشِبْهَ براقَ يوم القتل والسَّلَبَ(٥)

٩-لأجل عشرين ألفا أُضْحِ صَارخةً
فى آل بكرٍ، وذا شيء من العجب!(٦)

١٠-لا تَكشِفُونى بهذا اليومِ وارتقبوا
يومى لوقت اجتماع العُجْمِ والعَرَبِ(٧)

○ فهب القوم الذين ذكرتهم فى شعرها، وتأهبوا للقتال، عساكر المنصور بجند كسرى، كُسِرَ المنصور، وتفرقت جنوده بعد جِلادٍ(٨) مذكور، وعاد إلى كسرى مُنْهَزِمًا!

---

(١) حَمّال: صيغة مبالغة. يقال: حمل عليه فى الحرب: كر. كثب: جمع كثيب وهو الرمل المستطيل المحدودب.

(٢) الأرِب: المدرب الماهر البصير بالأمور.

(٣) لا ميل: جمع أميل وهو من لا سلاح معه. ولا عُضب ولا زَمْنى. فهم مسلحون أقوياء أشداء.

(٤) القضب: جمع قضيب وهو السيف القطاع.

(٥) السَّلَب: ما مع القتيل من ثياب وسلاح ودابة. والمراد يوم اللقاء والحرب. وغلبة العدو.

(٦) أضح: أُصبح صارخة مستغيثة من أجل عشرين ألفا جندتهم فارس.

(٧) لا تكشفوني: لا تَخلَّوا عن حمايتي. يقال : كشف فلان: لم يكن معه ترس فى الحرب.

(٨) الجلاد: المضاربة بالسيف ونحوه.

المجيبة تواجه الطميح قائد كسرى!

جدد كسرى- بعد تلك الهزائم- إرسال القوى العظيمة، فأرسل « الطميح »- وهو من قواد كسرى وكان يضن بدماء العرب أن يهدرها كسرى- سِرّا إلى بنى شيبان يُعلمهم ويحذرهم، فأجابته صفية بهذه الأبيات:

١ -لِلّهِ دَرُّك من نصيحِ صادق
والنصحُ رأيُك أيها الإنسانُ (١)

٢ -واللهُ يَجزيك الذى أرسلته
إن المهيمنَ واصِلٌ مَنانُ (٢)

٣ -أصبحت فى شيبانَ حولَ صنائعٍ
فلْتَسْتَعِدّ لحملِها شيبانُ (٣)

٤ -ناصحتَهُم وشركتَ فى محدودهم
والسر عندك فيهمُ إعلانُ (٤)

٥ - فلك الجزاء بمثلها فى حادثٍ
لا تأمننَّ وأين منك أمانُ؟!

٦ - والدهرُ يأتى بالقُصارَى باقيا
واعلم- فديتُك- أنه خَوَّانُ (٥)

٧- ولَسَوفَ يدعونى غدًا فأُجيبُه
ولسوف تُقْضَى فُرصةٌ ويُدَانُ (٦)

---

(١) لله دَرّك: يقال فى المدح والتعجب!

(٢) المهيمن: من أسماء الله تعالى بمعنى: الرقيب المسيطر على كل شيء الحافظ له. واصل: معط بارّ. مَنان: معطٍ غامر العطاء.

(٣) صنائع: جمع صنيع وصنيعة: كل ما صنع من خير ونحوه. والفعل الحسن.

(٤) ناصحتهم: بادلتهم النصح. المحدود: كل مصروف عن الخير أو الشر.

(٥) بالقصارى: بالكفاية والغاية. باقيا: دائما.

(٦) يدان: يجازي كل بما صنع. يقال: دنته بما صنع: جزيته. « كما تدين تدان ».

٨-جـاء الـرسـولُ بـنُـصـحِـهِ ولأنـه
مـحـفـوظـةٌ أسـرارُه وتُـصـانُ

٩-لـكـنّ دون الـسِّـلـم سُـمْـرٌ ذُبَّـلٌ
لـمَـعـاشِـرى مـن مَـعْـشَـرٍ فـتـيـانُ[1]

١٠-وصـوارمٌ مـشـحـوذةٌ وسـوابـغٌ
وأبـو جـيـادٍ كُـلُّـهـن حِـصـانُ[2]

١١-والـيـومَ يـومُ حُـجـيـجـةٍ مـن وائـلٍ
جـاءت بـهـا الأنـبـاءُ والأزمـانُ

١٢-ولـعَـمـرُ جَـدِّك إن عَـنَـانـى جُـنـدُه
فـمـعـى لـه الـشَّـفـراتُ والـمُـرّانُ[3]

١٣-شـيـبـانُ قـومـى والأعـاربُ دَعـوتـي
وعـزيـزةٌ فـيـهـم فـلـسـت أُهـان

١٤-قُلْ لِلطُّمَيح - فدته فتيان الوغى-
عـنـدى لـكـسـرى الـقـلـبُ والأبـدانُ[4]

١٥-بـالـلـهِ أفـزعُ مـن كـثـيـفِ جـنـوده
وأنـا تُـجـيـبُ لـدعـوتـى الـعُـربـان؟![5]

١٦- فـلْـيَـأْتِ كـسـرى والأيـافـثُ بـعـده
والـتُّـركُ، والأدلام، والـحُـبْـشـانُ[6]

---

(١) السُّمر: جمع أسمر وهو الرمح. وذُبَّل: جمع ذابل ويقال: رمح ذابل: دقيق.

(٢) صوارم: جمع صارم، وهو السيف القاطع. مشحوذة: يقال: شحذ السيف أحد سنانه. وسوابغ: جمع سابغة يقال: لبس درعا سابغة: متسعة. وأبو جياد: جمع جواد وهو النجيب من الخيل. والحِصان: الذكر من الخيل. ويقال: أحصنت الفرس: ولدت حِصانا فهي مُحصِن.

(٣) العَمرُ: مدة الحياة. ويقال فى القسم عمرك الله، ولعمر أبيك. ولعمر جدك. عناني جنده: قصدوني وأرادوني. الشفرات: جمع شفرة وهي ما عُرِّض وحدّد من الحديد كحد السيف والسكين وغيرهما. والمُران: الرماح الصُّلبة اللدْنة. يقال: تطاعنوا بالمران واحدته مرانة.

(٤) الوغى: الحرب.

(٥) بالله أفزع: كيف أفزع.

(٦) الأيافث: المنسوبون ليافث بن نوح، وهو ثالث أبنائه. تنسب إليه الشعوب الآريَّة، أو الهندوأوربية، والأدْلام: جيل من العجم كانوا يسكنون ناحية أذربيجان. والحبشان: الأحباش.

١٧-ولــديّ أبــيــضُ صــارمٌ ذو صَــعْــدةٍ
عــنــد الــكــريــهــةِ بــاســل مِــطــعــان [١]
١٨-جِـنِّـيُّ حـربٍ فـى الـحـروب مُـجَـرِّبٌ
ولــدى الــســلامــة إنــه إنــســان [٢]
١٩-هـزم الـجـيـوش بـجَـحْـفَـلٍ مـن قـومِـه
لاقـيـه يـومَ لِـقـائـه خَـسْـرانُ
٢٠-عـنـدى الـسلاهـبُ والـقـواضِـبُ والـقـنـا
ومـدَجَّـجُـونَ الـشُّـمْـطُ والـشُّـبـانُ [٣]
٢١-وأنـا الـحُـجَـيْـجَـةُ مـن ذؤابـةِ وائـلٍ
وأنـا الـمـجـيـرةُ والـقَـنـا رَعْـفـانُ [٤]
٢٢-يـا وائـلُ ثـوروا فـذا مـيـقـاتُـكـم
ولـكـل أمـرٍ يـا جـلـيـلُ زمـانُ [٥]
٢٣-هـذا زمـانـى قـد دنـا مـيـقـاتُـه
هـذا الأوان لـمـا زَعَـمْـتُ أوانُ
٢٤-أبـلـغ طُـمَـيْـمًـا يـا رسـولُ وقـل لـه:
بـسـيـوف تـغـلـبَ تُـغـلـبُ الأقـرانُ [٦]
٢٥-لا تـجـزعـنّ عـلـى ربـيـعـةَ إنـهـم
أهـلُ الـنـصـيـحـةِ يـا فـتـى شـيـبـان!

❊❊

(١) أبيض صارم: كالسيف قاطع تعني عمرًا. ذو صعدة: القناة تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف. باسل: أسد. مِطعان: كثير الطعن.

(٢) جِنِّيُّ حرب: كأنه الجن فى الحرب. فهو فى الحروب كالجن أما فى السلم فهو إنسان بكل ما فى الكلمة من معنى.

(٣) السلاهب: جمع سلهب، وهو الطويل من الناس والخيل. وقواضب: سيوف قطاعة. والقنا: جمع قناة: الرماح. ومدججون: يلبسون السلاح. الشّمط: جمع أشمط، وهو من اختلط بياض شعره بسواده.

(٤) ذؤابة وائل: أشرافهم والمقدمين فيهم. القنا: الرماح. رعفان: يرعف بالدم كناية عن اشتداد القتال.

(٥) ميقاتكم: موعدكم.

(٦) الأقران: جمع قِرن- بكسر القاف-: المماثل فى الشجاعة.

أجيبوا بني بكر حجيجتكم!

حين تأزم الموقف قالت لقومها: أتستقيمون وتصبرون، أم أستجير لى ولجارتى بقبائل غيْرِكم، وأريكم العِز الأَعَزّ والعديد؟! ثم قالت:

١-مـاذا تـرون بَـنـى بـكـرٍ فـقـد نَـزَلَـتْ
كِـبْـرُ الـذوائـبِ، والأخـرى عـلـى الأثـر؟! [١]

٢-أتـصـبـرون لـشـعـواءَ مُـلَـمْـلَـمـةٍ
فـيـهـا الأعـاجـمُ بـالـنُّـشـاب والـوتَـرِ؟! [٢]

٣-أم لـسـتُـم أهـلَ صـبـرٍ فـى لـوازمِـهـا
عـنـد الـحَـفـائِـظِ والـجـاراتِ والـخَـفَـرِ؟! [٣]

٤-إنـى أجـرتُ بـكـم يـا قـومُ فـاصـطَـبِـروا
فـالـصـبرُ يـحـلُـلْ فـوق الأنـجُـمِ الـزُّهْـرِ [٤]

٥-إيـهًـا أجـيـبـوا بـنـى بـكـر حُـجَـيْـجَـتـكم
مـا عـنـدكـم ويـحـكـم مـن غـايـةِ الـخـيـرِ [٥]

٦-يـأيـهـا الـشُّـمّ أنـتـم حـافِـظُـو ذِمَـمِـي
وأنـتـم - فـلـعَـمْـرى- الـعِـزّ مـن عُـمْـرى [٦]

٧-إمـا صَـبَـرتُـمْ فـلا أدعـو لـغـيـركـم
وإن جَـزِعـتُـم أنـادى كـلّ ذى حُـضُـرِ [٧]

---

(١) كبر الذوائب: معظمها. والذوائب جمع ذؤابة: أشراف القوم والمقدمون فيهم.

(٢) شعواء: يقال: غارة شعواء: منتشرة فاشية. مُلَمْلَمة: ويقال: كتيبة ململمة: مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض. النشاب: النَّبل، واحدته نشابة، والوتر: مجرى السهم من القوس.

(٣) الحفائظ: جمع حفيظة: وهي الغضب، والحمية، والتقية والحذر، وأهل الحفائظ: المدافعون عن أعراضهم. والجارات والخفر: خفره خفرا: أجاره وحماه.

(٤) الأنجم الزهر: الأنجم جمع نجم والزهر: المشرقة الصافية. والمراد: أن للصبر مكانة عالية علو النجوم.

(٥) إيهًا: بمعنى حسبكم حين تنون منصوبة. ويحكم: كلمة ترحم وتوجع. وقيل: هي بمعنى ويل.

(٦) الشم: أباة الضيم. جمع الأشم. ذممي: عهودي. لعمري: قسم. ويقال لعمرك.. ولعمري.. يرفعونه بالابتداء ويحذفون الخبر. والتقدير: لعمرك قسمي.

(٧) جزعتم: لم تصبروا. والحضر: عَدْو ذو وثب.

٨-بكل سامٍ إلى الهيجاء ذي شرفِ

وارِي الزنادِ كريمِ الجَدّ من مُضَرِ[(١)]

٩-ذي مِرَّةٍ لا يخاف الجُندَ إن كثُرُوا

في سادة قادةٍ معروفةٍ صُبُرِ[(٢)]

صفية تحرض القبائل قبيلة قبيلة!

عندما أجابها قومها إلى ما طلبت، وتأهبوا للقاء جند كسرى، أقبلت صفية على قومها تحرضهم وتشجعهم فرقة فرقة، وقبيلة قبيلة فخاطبت بنى حنيفة بقولها:

١- إيهَا أَجيدوا الضربَ يا حنيفهْ

فأنتُمُ الجُمجُمةُ الشريفهْ[(٣)]

٢-أهلُ اللِّقا والعمدةُ المعروفهْ

والعُدَّةُ المنسوجةُ الموصوفهْ[(٤)]

٣-حامي على أعراضك النظيفهْ

الطاهراتِ - وَيْحَكِ - العفيفهْ[(٥)]

---

(١) الهيجاء: الحرب. وارى الزناد: مستعد.

(٢) ذي مِرّة: قوة، وعقل، وأصالة. صُبر: جمع صَبور.

(٣) إيها: بالنصب وبالفتح: أمر بالسكوت. الجمجمة: رئيس القوم وسيدهم، وكل بني أب لهم عز وشرف.

(٤) أهل اللقا.. اللقاء والحرب. والعُمدة: ما يعتمد عليه، ورئيس العسكر. والعُدة: ما أعد لأمر يحدث. تعني بها الدروع.

(٥) حامي: دافعي. ويحك: كلمة ترحم وتوجع. وقيل: هي بمعنى ويل.

٤-إن الـجـنـودَ حـولـكـم كـثـيـفـهْ

فـلا تـهَـلْـكُـم وتَـزِدْكُـم خِـيـفـهْ [١]

• ثم أقبلت على بنى لُجيْم فقالت:

١-لُـجـيْـمُ قـومـي، وبـنـو أبـيـنـا

لـيـسـوا لـدى الـهـيـجـا مُـغَـلَّـبِـيـنـا [٢]

٢-بـل ظـافـرون، وحُـمـاةٌ فـيـنـا

الـعِـزّ فـيـهـم حـيـن يُـلْـجِـمُـونـا [٣]

٣-ويَـسـرحـون ثـم يـحـمـلـونـا

إيـهًـا بـنـى الأعـمـامِ فـانـصـرونـا [٤]

• ثم أقبلت إلى بنى عجل وفيهم أبوها وأخوها فقالت:

١-الـفـخـرُ فَـخْـرِى بـسَـراةِ عـجـلِ

هـم مـعـشـرى فـى نَـجـدهـم والـسَّـهـلِ [٥]

٢-هـم الـسَّـراةُ، وحُـمـاةُ الأهـلِ

والـفـائـقـون بـشـريـف الـفِـعْـل

٣-والـمُـنْـعِـمـون بـشـريـف الـبـذل

والـنـاقـمـون بـعـريـض الـرِّجـل [٦]

---

(١) كثيفة: كثيرة. تهلْكُم: فلا تفزعكم وتخفكم.

(٢) الهيجا: الحرب.

(٣) يلجمون: يلبسون الدواب اللجام استعدادًا للحرب.

(٤) يسرحون: يخرجون بالغداة. يحملون: يهجمون على عدوهم. إيها: تكون للإسكات والكف بمعنى: حسبكم. وتنون منصوبة.

(٥) السَّراة: جمع سَرِىّ وهو الشريف. والنجد: ما ارتفع من الأرض. والسهل: ما انبسط منها. هم معشرى أينما كانوا وحيثما حلوا.

(٦) النَّاقمون: المكافئون بالعقوبة يدوسون أعداءهم.

٤-إيهَا أبيدوا جمعَهم بالقتلِ

ولا تكونوا غرضًا للنَّبْلِ![1]

واختلطُوا فيهم بغَيْرِ مَهلِ[2]

• **وأقبلت إلى بنى ذُهل وأنشأت تقول:**

١-اليومَ يومُ العِزِّ لا يومُ النَّدمْ

يَوْمُ رِمَاحٍ، وجِيادٍ، وخَدَمْ[3]

٢-يومٌ به الأرواحُ جَهْدًا تُصطَلَمْ

سوف ترى البيضَ غداة المبْتَسَمْ[4]

٣-للوائليات التى تحمِى البُهَمْ

ياآل بكرٍ لا تَهلُكُم العجَمْ[5]

٤-مَنِ الذى يَحمِى الخيامَ والنَّعم

ومن يطاعِنُ تحت سِرْبالِ القَتَمْ[6]

٥-إن صبَرتْ ذُهل فعِزِّى اليومَ تمّ

• **ثم جاءت إلى بنى شيبان فسارت وهم من خلفها وهى تقول:**

١-إيهَا بنى شيبانَ صَفًّا بعد صَفْ

من يُردِ العلياءَ لم يخشَ التَّلف[7]

---

(١) غرضا: هدفا.

(٢) واختلطوا فيهم بغير مهل: أسرعوا باجتياحهم ولا تتوانوا.

(٣) الجياد: جمع جواد وهو النجيب من الخيل. الخدم: جمع خدَمة وهي الحلقة المحكمة. ويقال: فض الله خدمتهم: فرق جمعهم، وفى حديث خالد بن الوليد إلى مرازبة الفرس: «الحمد لله الذى فض خدمتكم».

(٤) تُصْطَلَم: تستأصل وتباد. البيض: جمع أبيض وهو السيف.

(٥) يوم العز إلخ للوائليات طالبات النجاة والبُهم: جمع بُهْمَة: الشجاع الذى لا يهتدي من أين يُؤتى، والجيش كصُرَد. لا تهلكم: لا تفزعكم. والعجم: الفُرس.

(٦) الخيام: تَعني ساكنيها والمقيمين بها. والنّعم- بفتح النون المال السَّائم، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل. سربال القتم: الغبار والسربال: الدرع، والقميص، أو كل ما لبس.

(٧) التلف: الهلاك والموت.

٢-مَن حاذَرَ الموتَ تنحَّى ووقف
إن الشجاعَ باسلٌ فيه الصَّلَفْ[١]

٣-إن تُقْبِلوا نظفر ونحذر ونَخَفْ
وفى الفِرارِ يولجوا فينا الأكُفّ[٢]

٤-اليومَ يوْمُ العِزّ موصوفُ الشرف
إن حافظت قومى فما بى من أسف

٥-أنا ابنةُ العِزّ وعرضِى اليوم عَفّ
بكلِّ نصْلٍ كالشهابِ المختطَف[٣]
نخطَف قومًا قد عَفَوْنا بسَرَف[٤]

صفية فى قلب المعركة!

حمل العرب على جنود كسرى وكان يقود جنوده فى تلك الواقعة- « وقعة ذى قار »!

وتكاثر جنود العجم على العرب حتى كادوا ينهزمون! فقامت صفية تقطع الحبال، فسقطت النساء عن الجِمال، ورأى رجالُهن ذلك فعطفوا على القتال عطفة من لا يرجو الحياة! وصاحت صفية بأعلى صوتها تنادى أخاها:

يا عمرو يا عمرو الفَتى ابنَ ثعلبهْ
حامِ على جارتك المُسْتَقْربهْ

---

(١) باسل: عابس غَضَبًا. الصلف: يقال: صَلِف فلان: لم يحظ عند الناس وأبغضوه.
(٢) يولجوا فينا الأكف: يُعملوا سيوفهم.
(٣) نصل: حديدة الرمح والسهم والسكين. كالشهاب المختطف فى لمعانه وسرعة حركته. والشهاب: الشعلة الساطعة من النار، والنجم المضيء اللامع. المختطف: الذى يمر سريعا.
(٤) العفو: المحو.

وزاحـم الـعُـجـمـانَ عـنـد الـعـقـبـه!

فحمل أخوها والرجالُ حملة صادقة، ولكن الكثرة كادت تُفنيهم، وإذا ببنى يشكر، وعليهم «ظليم بن الحارث» قد جاءوا مددا لقومهم ضد كسرى، فأيقنت صفية عند ذاك بالنصر، فقالت لقومها:

١-هـذا ظـلـيـمٌ جـاءكـم فـى يَـشْـكُـرِ
بـالـقُـبّ، والـمُـرّان، والـسَّـنَـوَّرِ(١)

٢-كـلـيـث غـابٍ مـهـوسٍ مُـخْـدِرِ
يـا فـارسًـا تـحـت الـعـجـاجِ الأكـدرِ(٢)

٣-هـذا ظـلـيـمٌ مـن كِـرام مَـعْـشَـرِ
إحْـمِـلْ- هُـدِيـت- حَـمْـلـةَ الـمـنـتـصِـر(٣)

• ثم قالت له:

١-احْـمِـل ظـلـيـمُ فـى الـعَـجَـاج الأسـودِ
فـفـيـه عـروٌ كـالـهِـزَبْـرِ الأربَـدِ(٤)

٢-يـضـربُ بـالـمُـشَـطَّـبِ الـمُـهَـنّـدِ
بـسـاعـدِ ذى نـجـدةٍ مـؤيَّـدِ(٥)

٣-أدرك فـأنـت غـايـةُ الـمُـسْـتَـنْـجِـد
واعـدُ عـلـى الـقـومِ كـعَـدْو الأسـدِ(٦)

---

(١) القُب: الخيل، والمِران: الرماح الصلبة اللدنة. والسَّنَوّر: لَبوس من قِدٍّ كالدرع وجملة السلاح.

(٢) كليث غاب: كأسد مفترس. مهوس: يمشي معتمدا على الأرض اعتمادا شديدا. والهواس: الشجاع المجرب، والأسد الهَصُور. مُخْدر: يقال: أخدر العرين الأسد: ستره فهو مخدَر ومخدِر. والعجاج: الغبار. والأكدر: الذى ينحو لونه ناحية السواد وهو غبار المعركة.

(٣) احمل: اهجم وكر عليهم.

(٤) كالهزبر: كالأسد. الأربد: الذى اختلط سواده بكدرة.

(٥) المشطب: السيف الذى يترك أثرًا فى الجسم. المهند: السيف المطبوع من حديد الهند، وكان خير الحديد.

(٦) اعد: اهجم. وكُرّ عليهم .

٤-بـذي جَـنـان كـالـصـفـاء الأصـلـد

بـالْـيَـشْـكُـريِّـيـن كِـرامِ الـمَـحْـتِـدِ[(١)]

فهجم اليشكريون، وفرجوا عن بنى شيبان، واشتد القتال ثم افترق الجمعان! وفى اليوم الثانى اجتمعت صفية بالمطيح سرّا، فقالت له تحرضه على خذلان كسرى:

١-لـيـس لِـلـعُـجْـمِ نُـصْـرةٌ فـى عَـشِـيـري

إن أراد الـطـمـيـحُ نـجـلُ الـكـرامِ[(٢)]

٢-إن تـولـت لـنـا إيـادٌ انـهـزامًـا

كـان مـنـهـم هـزيـمـةُ الأعـجـامِ[(٣)]

٣-ومـلـكـنـا الـعُـلـوَّ والـفـخـر طـولَ

الـدهـر حـتـى وَاخِـرَ الأيـامِ[(٤)]

٤-إن نـصـرَ الـطُّـمَـيْـح أكـرمُ نـصـرِ

وحُـنُـوٌ عـلـى بـنـى الأعـمـام

فوافقها على ذلك!

وفى اليوم الثانى نزل للقتال، وافترقوا، وكذلك فى اليوم الثالث، وفى اليوم الرابع جاءت صفية بـ « الحُرَقة » وقالت لها:

كونى قريبة مني، وانتدبّتْ فوارسَ قومها، ورأست عليهم أخاها عمرا، وأنشأت تقول لهم، والحرقة واقفة بجانبها.

١-يـا عـمـرو يـا مَـنْ أجـارَ الـحُـرَقَـةْ

يـا رأسَ شـيـبـانَ الـكـمـاةِ الـمُـعْـرِقَـةْ[(٥)]

---

(١) جَنان: القلب. الصفاة: الحجر الأملس. الأصلد: الشديد الصلابة. المَحْتِدِ: الأصل، والطبع.

(٢) عشيري: عشيرتي وأهلي.

(٣) تولت: انصرفت. والأعجام: الفرس.

(٤) واخر الأيام: آخرها.

(٥) الكماة: جمع كمىّ: البطل المدجج بالسلاح. المعرقة: أعرقت فى الكرم والحسب: وكان لها أصل فيه.

٢-يا فارس العادية المُحَقِّقَهْ
اليوم يوم ما العيون أرقهْ[١]
٣-إذا رأت فيه دماءً مُهْرَقَهْ
والعُجْمُ صَرْعَى جمعُهم مفترقهْ
٤-مقتولةٌ تنفرُ شتّى قَلِقَهْ
أدرِكْ شِهابًا فهْوَ اليومَ الثِّقهْ[٢]
أكرمُ خَيْلى من سَعَى أو لحِقَهْ!

- وقالت للحرقة: هذا آخر يوم بيننا وبين هؤلاء القوم فأسفري[٣] على عمرو، وأوصيه بما شئت، فأسفرت الحُرَقةُ بوجه زاهر، وحسن باهر وأنشدته شِعْرًا سنذكره إن شاء الله فى ترجمتها!

- **ثم قالت صفية تحرض أبا جدابة:**

١-إن الجنودَ حَثُّها طِلابُها والأرقميون فذا شهابُها[٤]
٢-مِقدامُها طَعّانها، ضَرّابُها زعيمُها، فارسُها، غَلّابُها
٣-مِتلافُها، مِخلافها، كتّابُها وأنت من بعدُ الفَتَىٰ ثِقَابُها[٥]

- **وكذلك أنشدته:**

١-إيهًا جدّابُ.. سَيِّد الأعرابِ يا مَعْدنِ الطِّعانِ والضِّرابِ
٢-يا طيِّبَ الأحسابِ والأنسابِ قُم لى مقامَ سيدى شهابِ
٣-بالعزم، والحزمِ، وبالعذابِ شمِّرْ، وقُمْ ياويكَ فى النقاب[٦]

---

(١) العادية: الخيل المغيرة وفى القرآن سورة باسمها وهي رقم ١٠٠ . المحققة: التى تحقق الأمل فى النصر.
(٢) يقال: نفر الجلد نفورا: ورم وتجافى عن اللحم.
(٣) أسفرى: اكشفى وجهك، وارفعي عنه اللثام.
(٤) حثه على الشيء: أعجله إعجالا متصلا. وعلى الشيء: حضه.
(٥) المتلاف: المتلف. المهلك: المعطب، ويقال: فلان مخلف متلف: كسوب جواد. والمخلاف: المخلف. كتّابها- بتاء مشددة. يقال: كتب الكتائب: هيأها كتيبة كتيبة.
(٦) وى: كلمة تعجب. وقيل: زجر، وقد يكنى به عن الويل، وقد تليها كاف الخطاب، تقول: ويك. النقاب: القناع.

قـد حَـلّ دَيـنـى واقـتـفـىٰ حِـسـابـي

- ثم اقتتلوا قتالا شديدا، وقتلوا أولاد الملك، وانهزمت العجم وغنمت العرب من الذهب والفضة والديباج [١]، واللؤلؤ ، والدر وكل ثمين، ذلك إلى النصر المبين الذى تفوقت به العرب على العجم، وانتصفت منهم، وكان لهم الشريف العظيم، وفى ذلك يقول الشاعر:

لـو أنّ كـل مَـعَـدٍّ كـان شـاركـنـا

فـى « يـومِ ذى قـارَ » مـا أخـطـاهُـم الـشـرفُ!

وسيظل هذا اليوم يومًا خالدًا فى سجل العرب !

٢- الحُرَقة بنت النُّعمان

أبوها « النعمان بن المنذر اللّخمى « ملك الحيرة، ورئيس دولة المناذرة وكانت امرأة شريفة شاعرة محسنة، وهى من الشاعرات المُخَضْرَمَات كالخنساء (اللاتى عاصرن الجاهلية والإسلام!).

ولها أخ يقال له: « حُرَيق » مصغر اسمها، وأخت يقال لها: « هند ». ولما قدم « سعد ابن أبى وقاص » أميرًا على القادسية أتته « حُرقَةُ بنتُ النعمان » فى جَوارٍ كلهن مثل زَيِّها يطلبن صلته! (عطاءه)!! فلما وقفن بين يديه قال: أيتكن حُرَقة بنت النعمان؟! قلن: هذه! وأشرن إليها، فقال لها: أنت حُرَقة؟! قالت: نعم.. فما تكرارك الاستفهام؟ إن الدنيا دار زوال، وإنها لا تدوم على حال!

إنا كنا ملوك هذا المِصْر [٢]من قبلك، يُجْبَى إلينا خَراجُه، ويُطيعنا أهله زمانَ الدولة، فلما أدبر الأمر، صاح بنا صائح الدهر، فصدع عصانا [٣]وشتت جمعَنا، وكذلك الدهر

---

(١)الديباج: ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير (فارسي معرب).

(٢)البقعة: التى تتولى أمرها.

(٣)فرقنا، ولم يعد لنا شأن بعد أن كنا ملوكا.

يا سعد. . إنه ليس من قوم بسرور وحَبرة [1] إلا والدهر مُعْقِبهم حسرة، ثم أنشأت تنشد البيتين الآتيين:

١-بينَا نسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا
إذا نَحنُ فيهم سُوقةٌ نَتَنَصّفُ [2]

٢-فأفٍّ لِدُنيا لا يدومُ نعيمُها
تَقلّبُ تاراتٍ بنا وتَصرَفُ [3]

فأكرمها سعد، وأحسن جائزتها، فلما أرادت فراقه، قالت له: لا أنصرف عنك حتى أُحيّيك بتحيةِ أملاكنا [4] بعضهم لبعض: « **لا جعلَ اللهُ لك إلى لئيم حاجة، ولا زال لكريم عندك حاجة، ولا نُزِع من عبدٍ صالح نعمة إلا جعلك سببا لردها عليه** » فلما خرجت من عنده، تلقاها نساء المصر فقلن لها: ما صنع الأميرُ بك؟

قالت: **حاط لي [5] ذمتي، وأكرم وجهي، إنما يكرمُ الكريمُ الكريمَ.**

إنذار وتحذير!

وفى حياة أبيها طلبها كسرى من النعمان أبيها، فأنف النعمان أن يزوجَها من أعجمي! [6] فجند كسرى الجنود، وفتك بالنعمان، وهربت الحُرَقة ملتجئة إلى وادى العَرب فى خفاء!

وبلَغها- وهى فى بنى سِنان- أن كِسرى أرسل جندا إلى « بكر بن وائل »، فأرسلت تُنذرهم بهذه الأبيات:

---

(١) حبور وسرور ونعمة.

(٢) بينا: كلمة تستعمل فى المفاجأة، وهي من ظروف المكان. وألفها زائدة. ونسوس الناس: ندبر أمورهم ونقوم بهم. والأمر أمرنا: تريد: لا أحد يشاركنا فى السلطان. والسُّوقة: من هم دون الملك: نتنصف: نخدم.

(٣) أُف: كلمة زجر وكراهية. . والمعنى: ما أحقر دنيا نعيمها يزول، وحالها لا تدوم، فهي تتصرف بنا، وتتقلب من الفقر إلى الغنى!

(٤) أملاكنا: ملوكنا.

(٥) حفظها ورعاها وتعهدها بجلب ما ينفع، ودفع ما يضر.

(٦) أعجمي: غير عربي.

١-ألا أَبـلِـغْ بـنـى بـكـرٍ رسـولًا
فـقـد جـدّ الـنـفـيـرُ بـعَـنْـقَـفـيـر[١]

٢- فـلـيـتَ الـجـيـشَ كُـلَّـهـم فِـداكـم
ونـفـسـي، والـسـريـرَ، وذا الـسـريـر[٢]

٣-كـأنـى حـيـن جـدَّ بـهـم إلـيـكـم
مُـغَـلّـفَـةَ الـذّوائـبِ بـالـعَـبـيـر[٣]

٤-فـلـو أنـى أطَـقْـتُ لـذاك دفـعًـا
إذًا لـدفـعـتُـه بـدَمـى وزيـري[٤]

فأرسل كسرى صوائح[٥] فى بلاد العرب :

« أن برئت الذمة ممن يحمى أو يُؤوى الحرقة! ».

فالت الحُرَقَة تتأسف على خمود همة العرب، وتخاذلهم أمام كسرى :

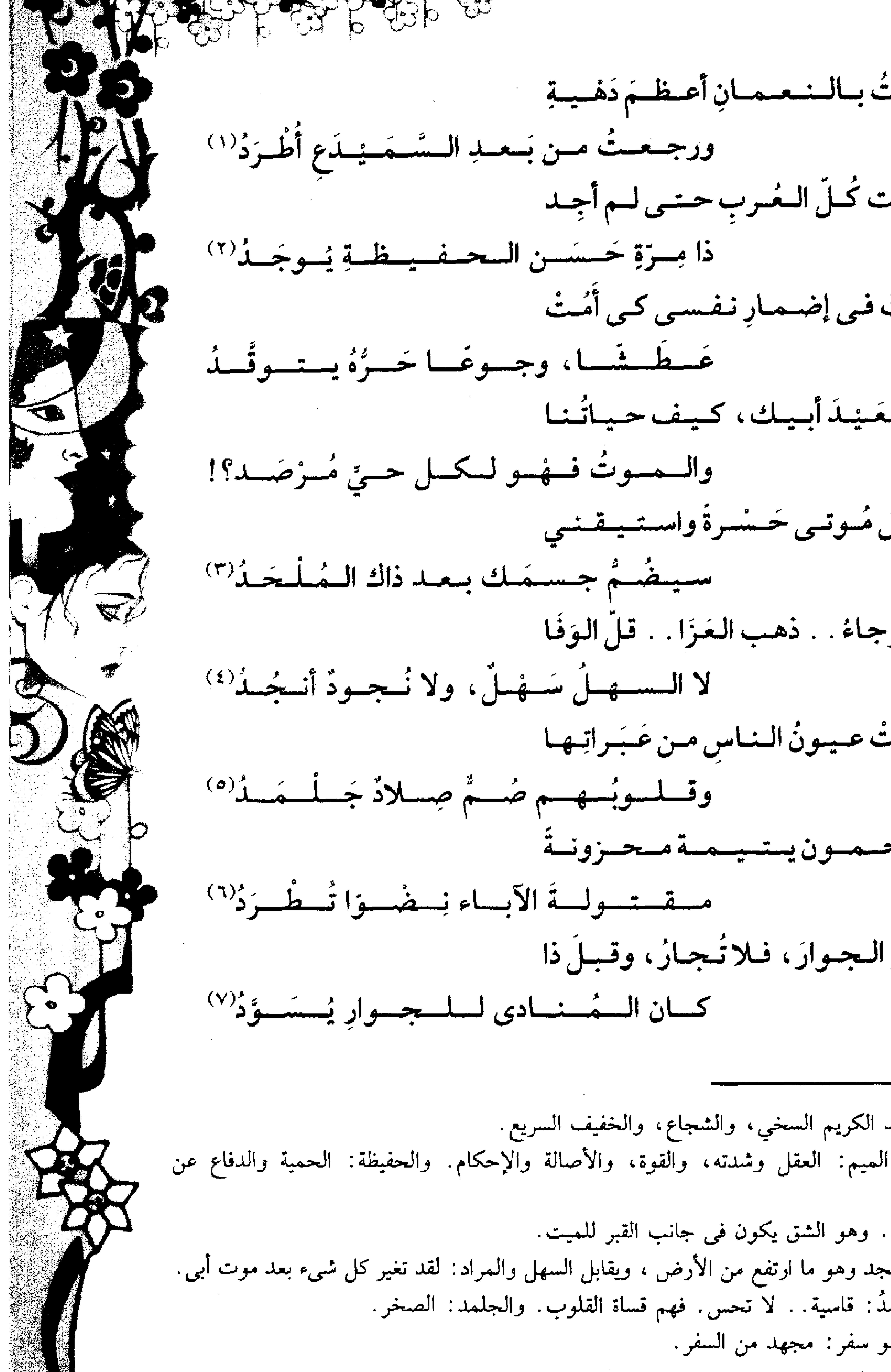
١-لم يبقَ لى فى كلِّ القبائلِ مطمعٌ
فى الـجِـوار، فـقـتـلُ نـفـسـيَ أعْـوَدُ[٦]

٢-مـا كـنـتُ أحـسَـبُ والـحـوادثُ جَـمَّـةٌ
أنِّـى أمـوتُ، ولـم يَـعُـدْنـى الـعُـوّدُ[٧]

٣-حـتـى رأيـتُ عـلـى جَـرايـة مـولـدي
مُـلْـكَـا يـزولُ، وشـمـلُـه يـتـبـدّدُ[٨]

---

(١) كَرَنْجَبِيل : الداهية.
(٢) السرير : الملك والعرش، وذا السرير : صاحبه.
(٣) العبير : أخلاط من الطيب. والذوائب جمع ذؤابة وهي من كل شيء أعلاه. وشعر مقدم الرأس. ومن السيف : علاقة قائمة. وغلف السيف : جعل له غلافا.
(٤) الزير : الدقيق من الأوتار.
(٥) مناديات يصحن فى الناس بهذا الإعلان.
(٦) الأعود : الأنفع.
(٧) جمة : كثيرة. عُوّد : زائراتُها فى المرض.
(٨) على جَراية مولدي : على صِبَاىَ .



٤-فـذُهِـيـتُ بـالـنـعـمـانِ أعـظَـمَ دَهْـيـةٍ
ورجـعـتُ مـن بَـعـدِ الـسَّـمَـيْـدَعِ أطْـرَدُ[١]

٥-وغـشـيـت كُـلّ الـعُـربِ حـتـى لـم أجِـد
ذا مِـرّةٍ حَـسَـنِ الـحـفـيـظـةِ يُـوجَـدُ[٢]

٦-ورجـعـتُ فـى إضـمـارِ نـفـسـى كـى أَمُتْ
عَـطَـشًـا، وجـوعًـا حَـرُّهُ يـتـوقَّـدُ

٧-مُـولَـى بُـعَـيْـدَ أبيك، كـيـف حـيـاتُـنـا
والـمـوتُ فـهْـو لـكـل حـيّ مُـرْصَـدُ؟!

٨-يـا نَـفْـسُ مُـوتـى حَـسْـرةً واسـتـيـقـنـي
سيـضُـمُّ جـسـمَـك بـعـد ذاك الـمُـلْـحَـدُ[٣]

٩-خاب الرجاءُ . . ذهب العَزَا . . قلّ الوَفَا
لا الـسـهـلُ سَـهْـلٌ، ولا نُـجـودٌ أنـجُـدُ[٤]

١٠-جَـمَـدَتْ عـيـونُ الـنـاسِ مـن عَـبَـراتِـهـا
وقـلـوبُـهـم صُـمٌّ صِـلادٌ جَـلْـمَـدُ[٥]

١١-لا يـرحـمـون يـتـيـمـة مـحـزونـةً
مـقـتـولـةَ الآبـاء نِـضْـوًا تُـطْـرَدُ[٦]

١٢-تـبـغـى الـجـوارَ، فـلا تُـجـارُ، وقـبـلَ ذا
كـان الـمُـنـادى لـلـجـوارِ يُـسَـوَّدُ[٧]

---

(١) السميدع: السيد الكريم السخي، والشجاع، والخفيف السريع.

(٢) المرة: بكسر الميم: العقل وشدته، والقوة، والأصالة والإحكام. والحفيظة: الحمية والدفاع عن الأعراض.

(٣) المُلحَد: اللحد. وهو الشق يكون فى جانب القبر للميت.

(٤) النجود: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض ، ويقابل السهل والمراد: لقد تغير كل شيء بعد موت أبي.

(٥) صُمٌّ صلاد جَلْمَدُ: قاسية. . لا تحس. فهم قساة القلوب. والجلمد: الصخر.

(٦) يقال: فلان نضو سفر: مجهد من السفر.

(٧) يُسَوّد: يُجعل سيدا.

١٣-فالموتُ فيه فُرجةٌ فتأيدي
ليس المُفزَّعُ قلبُه يتأيَّدُ[١]

١٤-أُفٍّ لدهرٍ لا يدومُ سُرورُه
ولِخِصْبِ عيشٍ غضُّه يتنكّدُ

١٥-ما الدهرُ إلا مثلُ ظِلٍّ زائلٍ
وبُدورِ شمسٍ فارقتها الأَسْعُدُ[٢]

١٦-وصروف هذا الدهرِ أعظمُ مَطلَبًا
للأعظَمين.. هلاكَهم يتودّدُ[٣]

١٧-أفهل رأيتم أسفلاً يفنى كما
يفنى الأعالى الأسمحون السُّؤدد؟![٤]

١٨-لا ما أَظُنُّ وللزمانِ بقيةٌ
ووضيعُ قومٍ فى الدنا لا يُنْجَدُ[٥]

١٩-قُومى تَهَيِّى للماتِ فإنه
أولى بذى حُزْنٍ إذا لا يُسْعَدُ

وفى هذه اللحظات الحاسمة أجارتها الحُجَيْجَة وهى صفية الشيبانية وحارب قومُها كسرى، وجنودَه، وكسروهم مرارا!!

ثم جمع كسرى جموعا كثيرة، وجاء يقودها بنفسه، فلما اشتد البأس فى الوقعة الأخيرة بين العرب والفُرس، وهى وقعة « ذى قار » رأس القومَ عمرُو بن ثعلبة الشيبانى (أخو صفية) فسفرت الحُرَقة بين يديه، وقالت تُوصِيه! :

١-حافِظْ على الحَسبِ النفيسِ الأرفعِ
بمُدَجَّجينَ مع الرِّماحِ الشُّرَّعِ[٦]

---

(١) فتأيدي: فتقوّي.

(٢) البدور: جمع بدر، وهو القمر ليلة كماله. والسعود: سعود النجوم: عدة كواكب يقال لكل واحد منها: سعد كذا، ومنها سعد السعود وهو أحدها.

(٣) صروف الدهر: نوائبه وحَدَثانُه. يتودد: يود هلاكهم.

(٤) ذوو السيادة والشرف.

(٥) الدنا: جمع دنيا.

(٦) بمدججين: بمسلحين تسليحا تاما. الرماح الشُّرّع: المسددة المصوبة.

٢-وصوارمِ هنديةٍ مَصْقولةٍ
بسواعدٍ موصولةٍ لم تُمْنعِ[١]
٣-وسلاهبٍ من خيلكم معروفةٍ
بالسبقِ عاديةٍ بكل سَمَيْدَعِ[٢]
٤-واليومَ يومُ الفصلِ منك ومِنْهُمُ
فاصبرْ لكلِّ شديدةٍ لم تُدْفَعِ
٥-يا عَمرُو يا عَمرُو الكفاحَ لدى الوغىٰ
يا ليثَ غابٍ فى اجتماعِ المَجْمَعِ[٣]
٦-أَظْهِرْ وفاءَ يا فتًى وعزيمةً
أتُضيعُ مجدًا كان غيرَ مُضَيَّعِ؟!

الفوز العظيم

وحين تحقق الفوز العظيم للعرب على الفرس فى « موقعة ذى قار »[٤] على يد « عمرو ابن ثعلبة الشيباني » قالت :

١-رغِمْنا بعَمْرِو أنفَ كِسْرَى وجُنْدَه
وما كان مرغومًا بكل القَبائلِ[٥]
٢-وهذا قُصارَى الأمر فاحمل مُحَسِّرًا
لكُمَّيك ما بين الظُّبا والذوابل[٦]

ولم يتوقف لسانها عن الثناء على عمرو فقالت :

---

(١) الصوارم الهندية: السيوف القاطعة بسواعد قوية.
(٢) السلاهب: جمع سلهب وهو الطويل من الخيل. والسميدع: السيد الكريم السخي ، والرئيس والشجاع.
(٣) الوغى: الحرب لما فيها من الصوت والجلبة.
(٤) مكانها الآن محافظة بالعراق لها خمسة أقضية.
(٥) أنزلنا به الذل. وهو الذى لم تستطع القبائل مجتمعة إلحاق الذل به.
(٦) قُصارى الأمر: غايته. احمل عليهم فى الحرب: كُرّ. محسرا: كاشفا. الظبا: جمع ظبة: حد السيف والسنان. والذوابل: الرماح: جمع ذابل وهو الدقيق.

١-لقد حاز عمرٌو مع قبائلِ قومه
فخارًا سَما فوق النجومِ الثواقب(١)

٢-هُمو قلّدوا لَخْمًا وغَسَّانَ مِنَّةً
بسُمْرِ القَنا، والعادياتِ الشوازِب(٢)

٣-وكلِّ غُلامٍ بالمَكَرَّةِ باسلٍ
أبيّ.. جريءٍ.. للحروب مُطالِبِ(٣)

٤-يُقَلِّبُ عَسّالا، ويندبُ صارما
ويلبَسُ يوم الرَّوْعِ ثوبَ المُحارب(٤)

٥-حمتني بنو شيبانَ والحيُّ تَغْلِبٌ
بقُبِّ المذاكى، والسيوف القواضبِ(٥)

٦-نجوتُ بعَمرٍو من مطايعِ كيْسَرٍ
وعَدْوِ شهابٍ يومَ روعِ المَقانِب(٦)

٧-ولله مَوْلاهُم جُدابةُ نعم ما
يُدَبِّر فى كُلِّ الأمورِ اللوازِبِ(٧)

٨-بأسمرَ عَسَّالٍ، وأبيضَ قاطعٍ
وأكْمَتَ ورديّ وعينِ مُراقبِ(٨)

٩-وكم فرَجٍ منه علينا بغارةٍ
وكم حَمْلةٍ يومَ الْتِقاءِ الكتائبِ!(٩)

---

(١) الثواقب: المضيئة.

(٢) مِنة: عطية وإحسانا وإنعاما، بسمر القنا: الرماح. العاديات: الخيل المغيرة. الشوازب: المضمرات المذللات.

(٣) المَكرّةِ: الكَرُّ وهو خلاف الفَرّ. باسل: أسد شجاع.

(٤) عَسّالا: رُمْحًا يهتز ويضطرب للينه. ويندب صارما: يدعو سيفا قاطعا. يوم الروع: الحرب

(٥) يقال: فرس أقب، وخيل قُب: ضامرات دقيقات الخصْر. أعدت للسبق والحرب. والمذاكى من الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. والقواضب: القواطع.

(٦) المقانب: الواحد مِقنب: جماعة من الفرسان والخيل دون المئة تجتمع للغارة.

(٧) لله مولاهم: تعجب. ومولاهم: حليفهم. اللوازب: الشديدة.

(٨) الأسمر: الرمح. عَسّال: مهتز للينه. وأبيض قاطع: السيف. وأكمت وردي: كمت الفرس: كان لونه بين الأسود والأحمر فهو أكمت. الوردي: المنسوب إلى الورد. وهو من الخيل ما بين الكميت والأشقر.

(٩) كم خبرية فى الشطرين وتفيد التكثير.. كثرة الفرج وكثرة الحملات عند الحروب.

في مدح صفية الشيبانية

• وقالت تمدح الحُجَيْجَة وقومَها بنى شيبان بعد هذه الانتصارات:

١-المجدُ والشرفُ الجسيمُ الأرفعُ
لصفيةٍ فى قومِها يُتَوَقَّعُ[(١)]

٢-ذاتِ الحجابِ لغيرِ يومِ كريهةٍ
ولدى الهِياجِ يُحَلّ عنها البُرقُع[(٢)]

٣-نَطْقاءُ لا لِوصالِ خِلٍّ نُطْقُها
لابل فصاحتُها العوالى تَسْمَعُ[(٣)]

٤-لا أنسَ ليلةَ إذ نزلتُ بسُوحِها
والقلبُ يخفِق والنواظِرُ تدمَعُ[(٤)]

٥-والنفسُ فى غمراتِ حُزْنٍ فادحٍ
ولَهَى الفؤادِ كئيبةَ أتفَجّعُ!

٦-مطرودَةَ من بَعد قَتل أبوّتى
ما إن أُجارُ، ولم يَسَعْنِى المَضجَعُ

٧-ويئستُ من جارٍ يُجيرُ تَكرُّمًا
فتُحَلّ عن عِيسِى لديه الأَنْسُعُ[(٥)]

٨-وأتانىَ الراعى يَحُفُّ قِناعَها
فأُجرتُ، واندملت هناك الأضلُعُ[(٦)]

---

(١) الجسيم: العظيم.
(٢) يوم كريهة. ولدى الهياج: عند الحرب.
(٣) العوالى: الرماح. جمع عالية ويراد بها النصف الذى يلي السنان من القناة.
(٤) بسوحها: جمع ساحة، يقال: نزل بساحة فلان: نزل به.
(٥) العيس: الجمال التى يخالط بياضها شقرة. والأنسُع: جمع نِسْع وهو سير عريض طويل تشد به الرحال. وحلها كناية عن وجود من يجيرها فتنزل فى حمايته.
(٦) القناع: ما يستر به الوجه. ويحفه: يزيله. واندملت الأضلع استراحت النفوس، وشفيت جراح النفس!

٩-وتــواردوا حــوضَ الــمَـنــيــةِ دونَ أن
تُـنسْبَـى خـفـيـرةُ أختِـهـم واسـتـجـمـعـوا[1]

١٠-وألـحَّ كــسـرى بـالـجـنـودِ عـلـيـهـمُ
وطُـمَـيـحُ يُـردف بـالـسـيـوفِ ويَـدفَـع[2]

١١-كــم زادهــم مــن غــارة مــلــمــومــةِ
بـالـقُـبِّ تـعـطَـبُ والأسـنــةُ تـلـمَـعُ[3]

١٢-وهــمُ عــلــيــه واردون بــطــرفــهــم
والــنــصــرُ تــحــت لــوائِــهــم يــتَـرَعْـرَعُ

١٣-حــتــى غــرا الــفُــرسِــيُّ فــى أجــنــادِه
والـقـومُ جـرحَـىٰ، والـمَـذاكـى ظُـلَّـعُ[4]

١٤-فــهــنــاك أُرجــفــت الــبــلادُ ومَــن
بـهـا: الأحـيـاءُ مـن يَـمَـنٍ ومـن يـتَـربَّـعُ[5]

١٥-وتـحـيـروا فـشـفَـتْ صـفـيـةُ مَـفْـخَـرًا
ودعَـت قـبـائـلَ شـرُّهـا لا يُـقْـلِـعُ[6]

١٦-مـنـهـا شـهـابٌ مـع ظَـلـيـم وشَـغْـثـم
وجُـدَابَـةُ فـى حَـرِّهـا يـتـلَـفَّـعُ[7]

١٧-آجـامُـهـم فـيـهـا الـصـوارمُ والـقَـنـا
والــسـابـريّـةُ والــوشـيــجُ الـشُّـرَّعُ[8]

---

(١) تواردوا حوض المنية: تقاتلوا. خفيرة أختهم: أختهم الحجيجة، وخفيرتها صفية تلك التى خفرتها الحجيجة وأجارتها! وتسبى: تؤسر.

(٢) طميح قائد كسرى. يُردف بالسيوف: يتوالى جيشه ويتتابع. ويدفع بقواته.

(٣) ملمومة: مجتمعة. بالقُبِّ: بالخيل التى دق خصرها، وضمر بطنها. تعطَب: تهلك. والأسنة: جمع سنان وهو نصل الرمح.

(٤) والمذاكى ظلّع. الخيل تعرج وتغمز فى مشيها.

(٥) أرجفت: اضطربت اضطرابا شديدا.

(٦) لا يقلع: لا يكف. ولا ينجلى ولا ينكشف.

(٧) التلفع: التلهب والتلحف.

(٨) آجامهم: جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتف. الصوارم: السيوف القاطعة. والقنا: الرماح. السابرية: من الدروع الدقيقة النسج فى إحكام. الوشيج: ما نبت من القنا والقصب ملتفا. الشُّرَّع: يقال: أشرع نحوه الرمح: سدّده.

١٨-فرأيت عند الخيل فيها شعثمًا
مثلَ الحِمامِ إلى الموارِدِ يُقْلِعُ[(١)]

١٩-وجُدابةٌ كالفَحْلِ يضرب أَنْيُقًا
وشهاب يضربُ بالحُسام ويُوجع[(٢)]

وأعطاها بنو شيبان ألف ناقة، وكثيرا من الهدايا الثمينة، وأكرموها غاية الإكرام.

وقد تزوجت بعد ذلك « المنذر بن الريان » أحد أبناء الملوك، وقد أسلم وقُتل بين يدى الرسول ﷺ فى وقعة أحد هو وحمزة ﷺ. وقد أشرنا إلى قصة وفادتها على سعد بن أبى وقاص حين كان أميرا على القادسية فأكرم وفادتها فى أول الترجمة لها.

٣- زينب بنت مالك
أخت مُلاعب الأسنّة

أَسَر « يزيدُ بنُ عبدِ المُدان » أخويها، ثم مَنّ عليهما، فلم تَنْسَ صنيعَه، وقالت ترثيه حين لقى ربه:

١- بكَيتُ يزيدَ بنَ عبد المُدان ... خلَّت به الأرضُ أثقالَها[(٣)]

٢- شريكَ الملوك ومَن فَضلُه ... يفضُل فى المجدِ أفضالَها[(٤)]

٣- فكَكْتَ أُسَارَى بنى جعفرٍ ... وكِندةَ إذ نِلْتَ أقوالَها

٤- ورهطَ المُجالِدِ قد جلَّلَتْ ... فواضِلُ نُعماكَ أَجْبالَها[(٥)]

- **وقالت ترثيه أيضا:**

١-سأبكى يزيدَ بنَ عبدِ المدانِ ... على أنه الأحلمُ الأكرمُ

---

(١) الحمام: الموت.

(٢) أنيقا: جمع ناقة.

(٣) أثقال الأرض: ما فى جوفها.

(٤) يفضل: يزيد ويفوق.

(٥) الرهط: الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، أو ما دون العشرة. جللت: غطت وعمت. أجبالها: جمع جبل.

٢-رماحٌ من العِزّ مركوزةٌ ملوك إذا برزتْ تحكُم

ولامها قوم على رثائها ليزيد فقالت :

١-ألا أيها الزارى عليّ بأنني
نزاريةٌ أبكى كريمًا يمانيَا[(١)]

٢-وما ليَ لا أبكى يزيدَ وردّنى
أجُرُّ جديدًا مِدْرَعِى ورِدَائيا؟![(٢)]

٤-الخنساء بنت زهير بن أبي سلمى

أبوها من أصحاب « المعلقات »، وبيت زهير من البيوت العريقة فى الشعر، وأخواها كعب وبجير شاعران لهما شأنهما! ومن شابه أباه فما ظلم!

قالت الخنساء ترثى أباها :

١-وما يُغنى توَقّى الموتِ شيئًا
ولا عُقدُ التميم ولا النُّضَارُ[(٣)]

٢-إذا لاقى مَنيتَه فأمْسَى
يُسَاق به وقد حَقّ الحِذارُ[(٤)]

---

(١) الزاري: العائب الساخر.

(٢) وردَّني أجرُّ جديدا: رَدَّنى عزيزة مكرمة. مدرعى: دراعتي والدُّراعة: ثوب من صوف. وجبة مشقوقة المقدم. الرداء: ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة: والثوب يستر الجزء الأعلى من الجسم فوق الإزار، والوشاح.

(٣) توقي الموت: حذره وتجنبه. عقد التميم: ما يعلق فى العنق لدفع العين: جمع تميمة. ومثله تمائم. والنُضَارُ: الذهب الخالص .

(٤) منيته: موته وأجله. حق الحِذارُ: يقال: حقَقْت حَذَر فلان: فعلت ما كان يحذره. وتحقق ما كان يظنه واقعا به!

٣-ولَاقَـــاهُ مِـــنَ الأيَـــامِ بُـــومٌ
كـمـا مـن قـبـلُ لـم يـخـلـد قُـدَارُ[١]

٥-هند بنت الخس

من فضليات النساء صاحبات العقل والحكمة، قالت:

١-وجَدتُ وخيرُ القولِ فى الحكم نافعٌ
ذوى الطّوْلِ مِمّا قد يُغَمّ ويُلْبَسُ[٢]

٢-وليس الفتى عِندى بِشىء أَعُدُّه
إذا كان ذا مالِ مِنَ العقلِ مُفْلِسُ[٣]

٣-وذو الجُبْنِ مما يُسْعِرُ الحربَ نفخُه
يُهيّجُ منها نارَها ثم يَخْنَسُ[٤]

٤-وكم من كثيرِ المالِ يقبِضُ كفّه
وكم من قليل المال يُعطى ويُسْلِسُ[٥]

٥-وكم من صغير تَزدَريه لعلَّه
يُهيجُ كبيرًا شرُّه مُتَبجِّسُ[٦]

٦-وكم مِن مُراءٍ ذِى صلاح وعِفةٍ
يُخَاتِلُ بالتقوى هو الذئبُ الأملسُ[٧]

---

(١) لاقاه بوم: يضرب المثل بالبوم فى الشؤم، وقبح الصورة والصوت. قدار: ابن سالف عاقر الناقة. ولم يخلد : لم تطل إقامته بالمكان ولم ينعم .

(٢) الطوْل: الفضل والغنى واليسر. يُغَمُّ ويلبس: يختلط ويشكل.

(٣) ليس فتى من لا عقل له وإن كان ذا مال.

(٤) يخنس: يتأخر ويتخلفُ ويتوارى.

(٥) ويسلس: فى سهولة ويسر ولين.

(٦) متبجس: متفجر.

(٧) يخاتل: يخادع ويراوغ، أملس: ناعم.

٧-وآخـرَ ذي طِـمْـريْـن صـاحـبِ نـيّـةٍ
يَـجُـودُ بـأعـمـال الـتُّـقَـى ثـم يَـنْـقُـسُ[(١)]

٨-وكـم مـن سـفـيـهٍ لـلـجـمـاعـةِ مُـفْـسـدٍ
يَـدبّ لـشـرٍّ بـيـنـهـم ويُـوَسْـوِسُ[(٢)]

٩-وذُو الـظُّـلْـمِ مـذمومُ الـنَّـثَـا ظـاهـرُ الـخَـنَـا
غـنـيٌّ عـن الـحُـسـنـى وبـالـشـر يَـعْـرَسُ[(٣)]

وقالت :

١-لـقـد أيـقـنـتْ نـفـسُ الـفـتـى غـيـرَ بـاطـلٍ
وإن عـاش حـيـنًـا- أنـه سـوف يَـهْـلَـك[(٤)]

٢-ويـشـربُ بـالـكـأسِ الـذُّعـافِ شـرابُـهـا
ويـركـبُ حـدّ الـموتِ كَـرْهـا ويَـسْـلُـك[(٥)]

٣-وكـم مـن أخـى دُنْـيـا يُـثَـمِّـرُ مـالَـه
سَـيُـورِث ذاك الـمـالَ رَغْـمَـا ويـتـركُ[(٦)]

٤-عـلـيـكَ بـأفـعـالِ الـكِـرام ولِـيـنِـهـم
ولاتـكُ مِـشـكـاسًـا تَـلِـجُّ وتَـمْـحَـكُ[(٧)]

٥-ولا تَـكُ مَـزّاحـا لـدَى الـقـومِ لُـعـبـةً
تـظـلّ أخـا هُـزْءٍ بـنـفـسـك يُـضْـحَـك[(٨)]

---

(١) طِمرين : مثنى طِمر وهو الثوب الخَلق البالي . ينقس : يقال : نقس بين القوم : أفسد . ونقس فلانا : عابه وطعن فيه .

(٢) يوسوس: يتحدث بما لا نفع فيه ولا خير.

(٣) النّثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سَيّئ . فهو مذموم كما ذكر . والخنا : الفُحش . يعرَسُ : يلزمه ويألفه .

(٤) يهلك: يموت. فالموت حقٌّ يقينا.

(٥) الذعاف: السم القاتل من ساعته. وهو بالذال والزاي كذلك سريع القتل.

(٦) رغما: على الرغم منه، وعلى كره منه.

(٧) مِشكاسا: سَيِّئَ الخلق عسر المعاملة. تلج: تتمادى فى الخصومة. وتمحَك: تلج فى المنازعة، وتتمادى فى اللجاجة عند المساومة.

(٨) مَزاحا: كثير المزاح والهزل والمباسطة. أخا هزء: موضع سخرية من الناس. ألعوبة فى أيديهم. وضحك منه وبه: سخر منه.

٦-تخوضُ بجهلٍ سادِرا فى فُكاهةٍ
وتدخلُ فى غَيّ الغُواةِ وتَشْرَك[١]

٧-ألا رُبَّ ذى حَظّ يُبَصّر فِعلَه
وآخرَ مصروف به الحَظّ يُؤْفَكُ[٢]

• **وقالت فى مدح القَلَمّس من حكماء العرب:**

إذا اللهُ جازى مُنْعِمًا بوفائه فجازاك عَنّى يا قَلَمَّسُ بالكرم

ومن شعرها:

أشَمُّ كنَصْلِ السيفِ جَعْدٌ مُرَجَّلٌ شُغِفْت به لو كان شىءٌ مُدانِيا[٣]
وأُقْسِمُ لو خُيِّرْتُ بين لقائه وبين أبى لاخترت أن لا أباليا!!

٦- جمعة بنت الخُس
أخت هند وهى من فضليات النساء

قالت:

أشَدُّ وجوهِ القولِ عِندَ ذوِى الحِجا
مقالةُ ذى لُبّ يقولُ فيُوجِزُ[٤]

وأفضلُ غُنْمٍ يُسْتَفادُ ويُبْتغَى
ذخيرةُ عقلٍ يَحْتويها ويُحرِزُ[٥]

---

(١) سادرا: يقال هو سادر فى الغَي: تائه. وتشرك: تكون شريكا.
(٢) يؤفك: يُصَرف ويخدع.
(٣) أشم: مترفع متكبر. كنصل السيف: كحد السيف. جعد الوجه: مستديره قليل اللحم. والمرجَّل: يقال: رَجّل الشعر: سواه وزينه وسرّحه. مدانيا: مقاربا.
(٤) وجوه القول: أنواعه وأقسامه. ذوى الحجا: أصحاب العقول. ذي لب: صاحب عقل.
(٥) الغُنم: الفوز بالشيء من غير مشقة. والغنيمة.

وخـيـرُ خِـلالِ الـمَـرءِ صِـدقُ لـسـانِـه

ولـلـصـدقِ فـضـلٌ يَـسـتـبـيـنُ ويَـبْـرُز[(١)]

وإنـجـازُك الـمـوعـودَ مـن سـبـب الـغِـنَـى

فـكُـنْ مُـوفـيـا بـالـوعـدِ تُـعـطِـى وتُـنـجِـزُ[(٢)]

ولا خَـيـرَ فـى حُـرٍّ يُـريـك بَـشـاشـةً

ويـطْـعَـنُ مـن خَـلـفِ عـلـيـك ويـلْـمِـزُ[(٣)]

إذا الـمـرءُ لـم يَـسْـطِـعْ سـيـاسـةَ نَـفْـسِـه

فـإن بـه عـن غـيـرهـا هـو أعـجـزُ[(٤)]

وكَـمْ مِـن وَقـورٍ يَـقْـمَـعُ الـجـهـلَ حِـلـمُـه

وآخـرَ مـن طَـيْـشٍ إلـى الـجـهـل يَـجْـمِـزُ[(٥)]

وكَـم مِـنْ أصـيـلِ الـرأي طَـلْـق لـسـانُـه

بـصـيـرٍ بـحُـسْـن الـقـولِ حـيـن يُـمَـيِّـزُ

وآخَـرَ مـأفـونٍ يَـلُـوكُ لـسـانُـه

ويَـعْـجِـنُ بـالـكـوعـيـن نـوْكـا ويـخـبـزُ[(٦)]

وكـم مـن أخـى شَـرٍّ قـد أوثـق نـفْـسَـه

وآخَـرَ ذَخْـرَ الـخـيـر يـحـوى ويَـكْـنِـزُ

يـفـر الـفـتـى والـمـوت يـطـلـبُ نـفْـسَـه

سَـيُـدْرِكُـه لاشـكَّ يـومـا فـيُـجْـهِـزُ[(٧)]

---

(١) الخلال: جمع خَلة وهي الخَصلة. يقال فيه خلة حسنة وخلة سيئة.

(٢) الموعود: ما وعدت به غيرك ومنيته.

(٣) يلمز: يعيب. واللمز أيضا: الإشارة بالعينين ونحوهما كالرأس أو الشفة مع كلام خفى.

(٤) يَسطِع: يستطع. أي: يُطيق ويقدر، ويمكنه أن يسوس نفسه، ويقودها.

(٥) يجمز: يُسْرع.

(٦) مأفون: ناقص العقل. نوكا: حمقا.

(٧) فيجهز عليه، وينهي حياته.

• **وقالت:**

رأيتُ بني الدُّنيا كأحلامِ نائمٍ
وكالفَيْءِ يَدنو ظلُّه ثم يَقْلُصُ[1]

وكلُّ مقيمٍ في الحياةِ وعيشِها
فلاشكَّ يوما أنه سوف يَشْخُصُ[2]

يفرُّ الفَتى من خَشْيَةِ الموتِ والرَّدَى
وللموت حَتْفٌ كُلَّ حيّ سيَغْفِصُ[3]

أتاه حِمامُ الموتِ يَسْعَى بحَتفِه
وقد كان مغرورًا بدُنْيَا تَربَّصُ[4]

كأنك في دار الحياةِ مخلّدُ
وقد بانَ منها مَن مضى وتُقُنِّصُوا[5]

قد أفسدَ الدُّنيا وعيشَ نعيمِها
فجائعُ تَترىٰ تعتَرِي وتُنَغِّص[6]

ألا رُبَّ مرزوقٍ بغير تكلُّفِ
وآخر محرومٍ يَجِدّ ويَحرِصُ

❊❊❊

---

(١) الفيء: الظل بعد الزوال ينبسط شرقا. يدنو: يمتد ويقرب. يقلص: ينقبض وينقص.

(٢) يشخص: يخرج من الحياة.

(٣) حتف: هلاك. سيغفص: سيفاجئ ويأخذ على غِرّة.

(٤) حِمام الموت: قضاؤه وقدره. تربص: تتربص وتنتظر.

(٥) بان من مضى: بعد. تقنصوا: اصطيدوا.

(٦) تترى: متواترة متتابعة. والفجائع: جمع فجيعة.

٧- زرقاء اليمامة

ممن ضرب بهن المثل من النساء : البَسُوسُ، وزرقاءُ اليمامة، فقالوا :
« أشْأم من البسوس!! ». **« وأبْصَرُ من زرقاء اليمامة!! »**.

والبَسُوس جارة « جساس بن مرة بن ذهل بن شَيبان »، ولها كانت الناقة التى قتل من أجلها « كليب بن وائل! ». وبها ثارت الحرب بين « بكر بن وائل و« تغلِب » التى يقال لها: « حرب البسوس ». و« زرقاء اليمامة » هى : زرقاء بنى نُمير ، كانت باليمامة تُبصر الشعرة البيضاء فى اللبن، وتنظر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام. وكانت تُنذر قومها الجيوشَ إذا غَزتهم، فلا يأتيهم جيش إلا وقد استعدوا له! حتى احتال لها بعض من غزاهم فأمر أصحابه، فقطعوا شجرا وأمسكوه بأيديهم، ونظرت الزرقاء فقالت: إنى أرى الشجر قد أقبل إليكم!!

قالوا لها: قد خَرِفْتِ، ورقّ عقلُك، وذهب بصرُك، فكذبوها، وصبَّحتهم الخيل، وأغارت عليهم، وقُتِلت الزرقاء!

واسمها حَذَام من « العرب اليمانية فى الجاهلية »، وتلقب بزرقاء اليمامة. وكانت شاعرة بليغة **ويُضرب بها المثل فى حدّة البصر، وصدق الخبر!** وفيها قيل المثل :

« **أبصرُ من زرقاء اليمامة** » وقد قال الشاعر :

إذا قالت حَذَامِ فصَدِّقوها
فإن القولَ ما قالت حَذامِ!!

قالت تُحذِّر قومَها من عدوهم وأنه آتٍ مختبئا وراء الشجر :

١- خُذوا حِذْرَكُم يا قومُ ينفعُكُم
فليس ما قد أرى بالأمْرِ يُحتَقَرُ
٢- إنى أرى شجرًا من خلفها بَشَرٌ
وكيف تجتمعُ الأشجارُ والبَشَرُ؟!
٣- ثُوروا بأجمعكم فى وجهِ أوَّلِهم
فإن ذلك منكم - فاعلموا - ظَفَرُ

٤-ضُموا طَوائفَكُمْ من قبلِ داهية
من الأمور التى تُخشَى وتُنتَظَرُ

٥-فقد زجرتُ سَنيحَ القومِ باكرةً
لو كان يعلمُ ذاك القومُ إذْ بكَرُوا[(١)]

٦-إنى أرى رَجُلًا فى كفّه كِسَفٌ
أو يخصِفُ النعلَ خَصفًا ليس يَعْتَسِرُ[(٢)]

٧-فغَوّروا كلَّ ماءٍ قبلَ ثالثةٍ
فليس من بَعْدِه وِرْدٌ ولا صَدَرُ[(٣)]

٨-وعاجِلوا القومَ عند الليلِ إذ رقدُوا
ولا تخافوا لهم حربًا وإن كَثُرُوا

٩-وغوّرُوا كُلَّ ماءٍ دُونَ منزلِهم
فليس من دونه نحسٌ ولا ضَرَرُ[(٤)]

وما تزال زرقاء اليمامة على ألسنة الجميع يضربون بها المثل فى الرؤية عن بعد. وكأنها « رادار!! ».

---

(١) زجرَ الطيرَ: أثارها ليتيمن بسنوحها، أو يتشاءم ببروحها وكان ذلك من عادة العرب التى أبطلها الإسلام. والسنيح: السانح، وهو الذى يمر من مياسرك إلى ميامنك فولاك ميامنه، وكان العرب يتيمنون به. باكرة: أول النهار إلى طلوع الشمس. والكِسَفُ: جمع كسفة: القطعة من الشيء.

(٢) ليس يعتسر: بلا قهر ولا اقتسار.

(٣) غوروا كل ماء: أتلفوا الآبار. الوِرد: الإشراف على الماء، والماء الذى يورد، والقوم يردون الماء. الصدَر: الانصراف عن الماء.

(٤) دون منزلهم: تأتي دون بمعنى خلف، وبمعنى أمام. ومنزلهم. مكان نزولهم. فليس من دونه: من ورائه.

٨- جارية البسوس بنت منقذ التميمية [١]

في المثل: « **أشأم من البَسوس** » وهي بسوس بنت منقذ التميمية خالة « جساس بن مرة بن ذُهل الشيباني » قاتل كليب!، وكان من حديثه أنه كان للبسوس جار من « جَرْم » [٢] يقال له: « سعد بن شمس »، وكانت له ناقة يقال لها: « سَرَاب ».

وكان « كُلَيْب » قد حمى أرضا من أرض العالية [٣] في أنف الربيع، فلم يكن يرعاه أحد إلا إبل جساس لمصاهرةٍ بينهما.

وذلك أن « جليلة بنت مرة » أخت جساس كانت تحت كليب [٤]، فخرجت « سراب » ناقة « الجرمي » في إبل « جساس » ترعى في حِمَى « كُليب »، ونظر إليها « كليب » فأنكرها، فرماها بسهم، فاختل ضَرعها، فولّت حتى بركت بفناء صاحبها، وضَرعُها يشخُب دمًا ولبنًا، فلما نظر إليها صرخ بالذل [٥]، فخرجت جارية البسوس، ونظرت إلى الناقة، فلما رأت ما بها ضربت يدها على رأسها ونادت: وا ذُلّاه!! ثم أنشأت تقول:

١-لَعَمْرُك لو أصبحتُ في دار مُنْقِذٍ   لَمَا ضيمَ سعدٌ وهو جار لأبياتي [٦]

٢-ولكنني أصبحتُ في دار غُربةٍ   متى يَعْدُ فيها الذئبُ يعدُ على شاتي!

٣-ودونكَ أذوادي فإني عنهمُ   لَراحلة لا يفقدوني بُنَيّاتي [٧]

فلما سمع جساس قولها، سكَّنها وقال: أيتها المرأة لَيُقْتَلَنَّ غدا جمل هو أعظم عَقْرًا [٨] من ناقة جارك! ولم يزل « جساس » يتوقع غِرّةً [٩] من « كليب » حتى خرج كُليب لا يخاف شيئا، وكان إذا خرج تباعد عن الحي، فبلغ جساسا خروجُه، فخرج على

---

(١) مجمع الأمثال للميداني.

(٢) جَرم: بطن من طيئ.

(٣) العالية: ما فوق نجد إلى أرض تِهامة إلى ما وراء مكة. وقرى بظاهر المدينة. وأنف الربيع: أوله.

(٤) تحت كليب: زوجته.

(٥) صرخ بالذل: صائحا وا ذلاه! مستغيثا بمن ينصره.

(٦) لعمرك: قسمي. ضِيمَ: ذُلّ واعتدى على ناقته.

(٧) دونك أذوادي: دون: اسم فعل بمعنى خذ وتوصل بالكاف. وأذواد: جمع ذَوْد، وهو القطيع من الإبل بين الثلاث إلى العشر (مؤنث).

(٨) عقرا: ذبحا.

(٩) غرة: غفلة.

فرسه، وأخذ رمحه، واتبعه «عمرو بن الحارث»، فلم يدركه، حتى طعن كليبا، ودق صُلبه![1] وكان كليب يضرب به المثل فى العزة، فقيل: «**أَعَزُّ من كُلَيْب وائل**».

٩- جليلة بنت مُرة

هى بنت «مُرّة الشّيباني» أخت «جَساس» قاتل «كُلَيْب» بن ربيعة أخى «مُهَلْهِل».

وكانت «جليلة» زوجة كُليب، فلما قَتَل جساسٌ أخوها زوجَها كليبًا اجتمع نساء الحى فى «مأتم»، فقلن لأخت كليب:

رَحِّلى جليلةَ عن مأتمك؛ فإن قيامها[2] فيه شماتة، وعار علينا عند العرب!

فقالت لها: «يا هذه؛ أُخْرُجى من مأتمنا، فأنت أخت واتِرنا[3] وشقيقة قاتلنا»!!

فخرجت وهى تجر أعطافها[4]، فلقيها مُرّة، فقال لها: ما وراءك يا جليلة؟ فقالت: ثُكل العَدَد، وحزنُ الأبد، وفقد حليل، وقتل أخ عن قليل!

وبين ذَينِ[5] غرس الأحقاد، وتفتت الأكباد!

فقال لها: أوَ يكفّ ذلك كرم الصفح، وإغلاء الديات؟![6]

فقالت: أُمنيةُ مخدوع وربِّ الكعبة! أَلِبُدْنٍ[7] تدع لك تغلب دمها؟!

قال: ولما رحلت جليلة، قالت أخت كليب: رحلة المعتدى، وفراق الشامت! ويلٌ غدًا لآل مُرّة من الكرّة بعد الكرّةِ!

---

(١) صُلبه: فقار ظهره!

(٢) قيامها فيه: وجودها وحضورها مأتمنا.

(٣) قاتل حميمنا.

(٤) أعطافها: جمع عِطف، وهو من الإنسان من لدن رأسه إلى وَرِكه.

(٥) ذين: اسم إشارة للمثنى، لم تلحقه الهاء.

(٦) إغلاء الديات: دفع دية مضاعفة.

(٧) ألبدنٍ: أمن أجل بُدن. والبُدن: جمع بدنة وهي الناقة.

فبلغ ذلك جليلة، فقالت القصيدة الآتية، وبقيت فى بيت أخيها جساس إلى أن قُتِل! وتنقلت مع بنى شيبان قومها مدة حروبهم، وكانت وفاتها سنة ٥٣٨هـ.

حسرة من شعر جليلة بنت مرة!

١-يَابْنَةَ الأقْوامِ إن لُمْتِ فلا تَعْجَلِي باللَّوْمِ حتى تسْألي

٢-فإذا أنتِ تبينتِ الذي يُوجِبُ اللومَ؛ فلومى واعذُلي[(١)]

٣-إن تكنْ أُخْتُ امرئٍ لِيمَتْ على شفَقٍ منها عليه فافْعَلِي

٤-جَلَّ عِندى فِعْلُ جَسّاسٍ فيا حَسْرتى عما انْجَلَى[(٢)] أو يَنْجلى

٥-فعل جساسٍ على وَجْدى به قاطِعٌ ظَهْرِى ومُدْنِ أَجَلِي[(٣)]

٦-لَوْ بعينٍ فُقِئتْ عينى سِوَى أُخْتِها فانفقأتْ لم أَحْفِلِ[(٤)]

٧-تَحْمِلُ العينُ أذَى العَيْنِ كما تَحْمِلُ الأُمُّ أذَى ما تَفْتَلى[(٥)]

٨-يا قَتِيلاً قَوّضَ الدَّهْرُ به سَقْفَ بَيْتَيَّ جميعًا من عَلِ[(٦)]

٩-هدَمَ البيتَ الذى استحدثتُه وانثنى فى هدم بيتى الأوّلِ

١٠-ورمانى قتْلُه مِنْ كَثَبٍ رَميَةَ المُصْمِى به المستأصِلِ[(٧)]

١١-يا نسائى دُونَكُنَّ اليومَ قد قد خَصّنِى الدهرُ بِرُزْءٍ مُعْضِلِ

١٢-خَصَّنى قَتْلُ كليبٍ بلظَى من ورائي، ولَظَى من أسْفَلِ

١٣-ليسَ من يبكى ليومين كمن إنما يبكى ليومٍ ينجلى

---

(١) واعذلي: العذل: اللوم، وفى رواية: «واسألي».

(٢) انجلى: ظهر، وترتب، أو ينجلي مستقبلا.

(٣) وجدي به: حبه. ومُدْنٍ: مقرب.

(٤) لم أحفل: لم أهتم.

(٥) تفتلي: تربى. وفلا الصبىَّ: أدبه ورباه.

(٦) بيت زوجها وبيت أبيها. وفى البيت بعده تفسير للبيتين.

(٧) من كثب: من قرب. المصمى: الذى يضرب، فيصيب فيقتل المضروب فى مكانه.

١٤-يـشـتـفـى الـمـدركُ بـالـثـأرِ   وفي دَرْكِيَ ثارى ثُكلُ المثِكِل[1]

١٠- سعدى بنت كرز العبشمية
خالة عثمان بن عفان - أمير المؤمنين

ذكر ابن حجر فى الإصابة عن أبى سعد النيسابورى فى كتاب « **شرف المصطفى** » قال: حاكيا عن عثمان ﷺ: لما سمعت أن محمدا ﷺ قد أنكح عُتبة بن أبى لهب رقيةَ ابنتَه، لم ألبث أن انصرفت إلى منزلي، فأصبت خالتى قاعدة مع أهلي؛ قال: وأمه أروى بنت كريز، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب، وخالته التى أصابها عند أهله: « سُعدى بنت كُرز » وكانت قد تكهنت لقومها، قال: فلما رأتنى قالت:

١-أَبْشِرْ، وحُـيِّـيـتَ ثـلاثـا وَتْـرَا   ثـم ثـلاثـا، وثـلاثـا أُخـرىٰ!
٢-ثـم بـأخـرى كـى تـتـمَّ عَـشْـرَا   لـقـيـتَ خـيـرًا، وَوُقِـيـتَ شَـرّا
٣-نكحَت- والله - حَصانًا زَهرا   وأنـتَ بِـكْـر، ولـقـيـتَ بِـكـرا[2]

- **قال: فعجبت من قولها، وقلت: يا خالة، ما تقولين؟ فقالت:**

١-عـثـمـانُ يـا عـثـمـانُ يـا عـثـمـانُ   لـك الـجَـمـال، ولـك الـشـانُ[3]
٢-هـذا نَـبِـيٌّ مـعـه الـبُـرهـان   أرسـلـه بـحـقِّـه الـدّيـانُ
٣-وجـاءه الـتـنـزيـلُ والـفُـرقـانُ   فـاتـبـعْـه لاتـغـيـا بـك الأوثـان![4]

فقالت: إن محمد بن عبد الله جاءه جبريل يدعوه إلى الله، مصباحه مصباح، وقوله صلاح، ودينه فلاح، وأمره نجاح!.

---

(١) المثكل: التى لازمها الحزن.
(٢) حَصانا: عفيفة. زَهرًا: مشرقة متلألئه.
(٣) الشان: الشأن خففت منه الهمزة: المنزلة والقدر.
(٤) لا تدع الأوثان تغويك.

ثم انصرفت، ووقع كلامها فى قلبي، وبقيت مفكرا فيه حتى لقيت أبا بكر الصديق، فأخبرته بما سمعت من خالتى، فقال لي:

ويحك يا عثمان! والله إنك لرجل حازم، ما يخفى عليك الحق من الباطل.. ولقد صدقَتْك خالتُك.. هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه فهل لك أن تأتِيَهُ وتسمع منه؟

فقلت: نعم.. فأسلمت.. ثم لم ألبث أن تزوجت رقية، وكان يقال:

« أحسن زَوجَيْنِ رآهما إنسان: رقية وزوجها عثمان! »

وفى إسلام عثمان تقول خالته سُعدى:

١- هدى اللهُ عثمانَ الصَّفِيَّ بقولِهِ
فأرشده، واللهُ يَهدى إلى الحق[1]

٢- فتابع بالرأيِ السديدِ محمدًا
وكان ابنُ أروى لا يصدّ عن الحقِّ[2]

٣- وأنكَحَه المبعوثُ إحدى بناتِه
فكان كبدرٍ مازج الشمسَ فى الأُفُقِ

٤- فِداؤك يا بن الهاشميينَ مُهْجتي
فأنت أمينُ اللهِ أُرْسِلتَ فى الخلْقِ[3]

---

(١) الصّفى؛ كغنىّ: الحبيب المصافى.
(٢) ابن أروى: عثمان. فأمه أروى بنت كريز.
(٣) ابن الهاشميين: النبي ﷺ، والمهجة: الروح.

١١-ليلى الأخيلية
المتوفاة سنة ٥٠ هـ

هى « ليلى بنت الأخيل » من « عقيل بن كعب » .

كانت شديدة الجمال : فهام بها « توبة بن الحُمَيِّر » ، وقال فيها الشعر ، ثم خطبها إلى أبيها ، فأبى أن يزوجه بها ؛ لِمَا قال فيها من شعر ! ! ، ولِمَا اشتهر من حبه لها . وفى ذلك العار عندهم ! بل زوجها رجلا من « بنى الأدلع » .

وكان توبة كثير الغارات ، فقتل فى إحدى غاراته ، فشق الأمر على ليلى ، وراحت تذرف الدموع رثاء جميلا لمن أحبَّتْ . وظلت تبكيه حتى لقيت ربها سنة ٦٩٥م . كانت من أشعر النساء . . لا يتقدم عليها إلا الخنساء !

أروع شعر ليلى الأخيلية فى رثاء توبة

شعر ليلى الأخيلية هو شعر الأنوثة الخافقة بالعاطفة والإخلاص ، وهو شعر السلامة والعذوبة والسهولة . وهو إلى ذلك شعر المتانة الذى لا ينحط إلى حدود الركاكَةِ .

فأقسمت لا أنفك أبكيك

١-أقسمتُ أَرْثى بعدَ تَوْبَةَ هَالِكا

وأحْفِلُ مَن دارت عليه الدوائرُ[١]

٢-لعمرُك ما بالموتِ عارٌ على الفتى

إذا لم تُعِبه فى الحياة المَعَايِرُ[٢]

٣-وما أحدٌ حيًا - وإن كان سالمًا -

بأخلَدَ ممّن غيّبته المقابرُ

(١) أقسمت أرثى : لا أرثى . حذفت منه لا . دارت عليه الدوائر . نزلت به الدواهي . وأحفل : أبالي وأهتم .

(٢) المعاير : المعايب .

٤-ومَن كـان مِـمّـا يُـحدثُ الـدّهـرُ جـازعًـا

فــلابُـــدّ يـــومًـــا أن يُـــرَى وهْـــوَ صَـــابِـــرُ

٥-ولـيـس لـذِي عـيـشٍ من الـموتِ مَـذهـبٌ

ولـــيـــس عـــلـــى الأيـــام والـــدهـــرِ غـــابِـــرُ[1]

٦-ولا الـحـيُّ مـمـا يُـحـدِثُ الـدهـرُ مُـعْـتِـبٌ

ولا الـمَـيـتُ إن لـم يَـصْـبِـرِ الـحَـيُّ نـاشـرُ[2]

٧-وكــلُّ شــبــابٍ أو جــديــدٍ إلــى بِــلًــى

وكُـــلُّ امـــرئ يـــومًـــا إلـــى الـــلـــهِ صَـــائـــرُ

٨-وكُـــلُّ قَـــريـــنَـــي أُلْـــفَـــةٍ لِـــتَـــفَـــرُّقٍ

شـــتـــاتًـــا وإن ضـــنَّـــا وطـــال الـــتـــعـــاشُـــرُ[3]

٩-فـلا يُـبْـعِـدَنْـكَ الـلـهُ يـا تـوبَ هـالـكًـا

أخـا الـحـرب إن ضـاقـت عـلـيـه الـمـصـادر[4]

١٠-فـأقـسـمـت لا أنـفَـكّ أبـكـيـك مـا دعـت

-عـــلـــى فَـــنَـــنٍ- ورقـــاءُ، أو طـــار طـــائـــرُ[5]

١١-قـتـيـلَ بـنـى عـوف فـيـا لـهـفـتـا لـه

فـــمـــا كـــنـــتُ إيـــاهـــم عـــلـــيـــه أُحـــاذِرُ[6]

١٢-ولـكـنـمـا أخـشـى عـلـيـه قـبـيـلـةً

لـــهـــا بـــدروب الـــروم بـــادٍ وحـــاضـــرُ

---

(١) الغابر هاهنا: الباقي، والغابر أيضا: الماضي، فهو من الأضداد.

(٢) مُعتب: راضٍ. ناشِرٌ: عائد إلى الحياة.

(٣) الشتات: التفرق.

(٤) يا توبَ: ياتوبة. هالكا: ميتا. المصادر: الرجوع والانصراف.

(٥) الفنن: الغصن. والورقاء: الحمامة.

(٦) يا لهفتا له!: يقال فى التحسر على فائت: يا لهفتاه، ويا لهفتياه.

فنعم الفتى!!

فإن تكن القتلى بَواءَ فإنكُمْ فتًى ما قَتَلْتُم آل عوفِ بن عامِرِ[1]
وإلا تكن فيكم بَواءٌ فإنكُم سَتَلْقَوْنَ يومًا وِردَه غيرَ صادِرِ
فتًى هو أحيا من فتاةٍ حيِيَّةٍ وأشجعُ من ليثٍ بخفّانَ خادرِ[2]
فتًى لا تَخَطّاه الرفاق ولا يرى لِقِدرٍ عِيالاً دون جارٍ مجاوِرِ[3]
فتًى كان للمولى سَنَاءً ورفعةً وللطارقِ السارى قِرًى غيرَ باسِرِ[4]
فتًى يُنهِلُ الحاجاتِ ثم يَعُلُّها فتُطْلِعُها عنه ثنايا المصادرِ[5]
ولا تأخذِ الكومُ الجلادُ سِلاَحَها لتوبةَ فى صِرِّ الشتاء الصنابرِ[6]
فنعمَ الفتى إن كان توبةُ فاخِرًا وفوق الفتى إن كان ليس بفاخرِ

ليلى الأخيلية والحجاج

جاء فى «مروج الذهب للمسعودي» أن الحجاج لم يكن يُظهر لندمائه بشاشة ولا سماحة فى الخلُق إلا يوم دخلت عليه «ليلى الأخيلية»، فقال لها: لقد بلغنى أنك مررت بقبر «توبة بن الحمير» وعدلت عنه، فوالله ما وَفيتِ له، ولو كان هو بمكانك وأنت بمكانه ما عدل عنك! قالت: أصلح الله الأمير لى عذر. قال: وما هو؟ قالت: إنى سمعته وهو يقول:

١- ولَوْ أنَّ ليلى الأخيليةَ سلّمت
علَيَّ ودُونى جَندلٌ وصفائحُ

---

(١) البَوَاء: الكفء.
(٢) خفان: موضع قرب الكوفة، وهو مأسدة. خادر: مقيم في خِدره.
(٣) كريم.. فما فى قدره لعيال جاره.
(٤) غير باسر: غير عابس، ولا كالح الوجه.
(٥) النهل: الشرب الأول. وينهلها: يسقيها حتى ترتوي. والعلل: الشرب الثاني. ويعلها: يسقيها ثانية.
(٦) الكوم: الإبل الضخام السنام. صنابر الشتاء: شدة برده. الجلاد: الغزيرات اللبن.

٢- لسلّمتُ تسليمَ البَشَاشةِ أوزَقَا
إليها صدًى من جانب القبر صائح[1]

وكان معى نسوة، قد سمعن قوله، فكرهت أن أُكذِّبَه فاستحسن الحجاج قولها، وقضى حوائجها، وانبسط فى محادثتها، فلم يُر منه بشاشة وأريحية مثل ذلك اليوم.

وذكر «حماد الراوية» غير هذا الوجه، وهو: أن زوج ليلى حلف عليها- وقد خاف عليها، وقد اجتازوا بقبر توبة ليلا- أن تنزل، وتأتى قبره، وتسلم عليه، وتكذبه حيث يقول... وذكر البيتين المتقدمين. قال: وأبت أن تفعل، فأقسم عليها زوجُها، فنزلت حتى جاءت إلى القبر، ودموعها كغُر السحاب، فقالت: السلام عليك يا توبة!

فلم تستتم النداء حتى انفرج القبر عن طائر كالحمامة البيضاء!

فضربت صدرها، فوقعت ميتة، فأخذوا فى جهازها وكفنها ودُفِنَتْ إلى جانب قبره!!

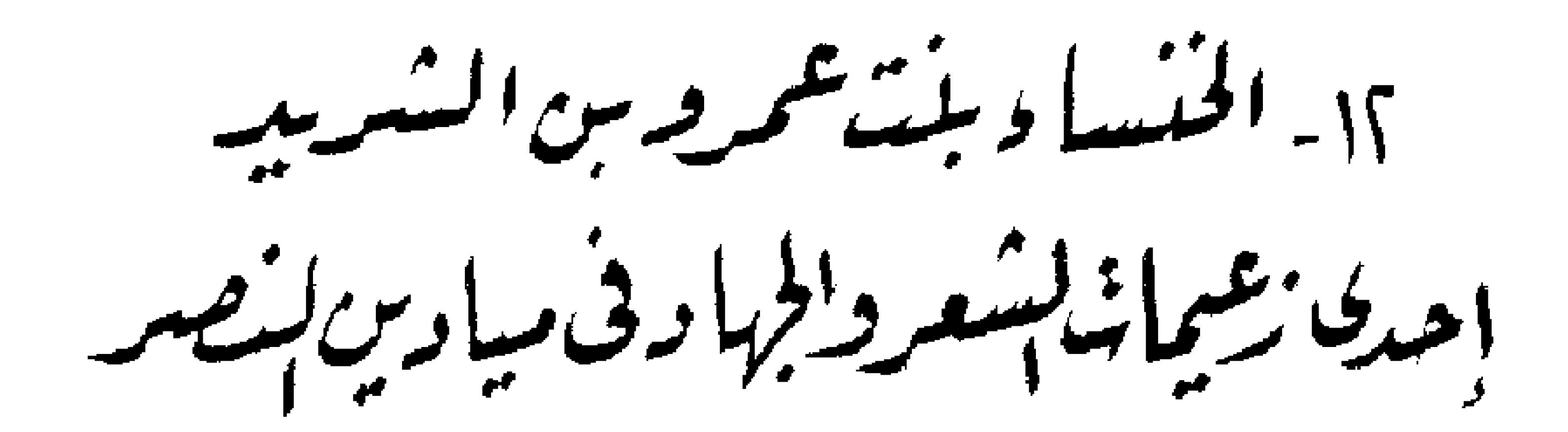
ولها:

ليلى الأخيلية والحجاج

١-أحَجّاجُ لا يُفْلَلْ سلاحُك إنما المَنايا	بكَفِّ اللهِ حيثُ يَراهَا[2]
٢-إذا هبط الحجاجُ أرضًا مريضةً	تَتَبَّع أقصَى دائها فشفاها
٣-شفاهَا من الداء العُضالِ الذى بها	غُلامٌ إذا هَزَّ القَناةَ سقاها[3]
٤-سقاها دماءَ المارقين وعَلّها	إذا جَمَحَتْ يوما وخيف أذاها[4]
٥-أعَدَّلها مصقولةً فارسيةً	بأيدى رجالٍ يحلبون صَرَاها[5]
٦-أحجاجُ لا تُعطِ العُداةَ مُناهُمُ	أبى اللهُ أن تُعْطَى العُداةُ مُنَاهَا!

---

(١) زقا الطائر: صاح.
(٢) يفلل: يثلّ. ولا يقطع.
(٣) العضال: الذى لا يبرأ. القناة: الرمح. وسقاها من دماء الأعداء.
(٤) المارقين الخارجين على الجماعة. وعلّها: سقاها شربة بعد أخرى. أو تباعا.
(٥) سيوفا فارسية: مجلوة. صَرَاها: الصرى: بقية اللبن فى الضرع. والمراد: يجيدون الضرب بها.



حسبنا من سيرة الخنساء «خريجة مدرسة الرسول» ما قدمته يوم القادسية للإسلام من تضحية وفداء، لم يكن ما قدمت مالًا جادت به نفسها، ولكنه أعز من المال وأغلى؛ فالجود بالنفس أقصى غاية الجود!

أربعة من الفتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى هم بنوها الأربعة حيث انضموا إلى صفوف الأبطال فى معركة القادسية. ووقفت الخنساء تشيعهم إلى الميدان وتخطب فيهم قائلة: يا بَنِيّ، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتُم مختارين. ووالله الذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة. ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم! وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب والأجر الجزيل فى حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية. يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فإذا أصبحتم غدًا - إن شاء الله - سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائكم مستنصرين فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظَى على سباقها، وجللت نارًا على أوراقها، فَيَمِّمُوا وطيسها، وجالدوا رئيسها، تظفروا بالغُنْم والكرامة فى دار الخلود والمقامة..

واندفع الأبناء الأربعة إلى الميدان، وفى آذانهم أصداء كلمات أمهم. وسقطوا شهداء! وعندما بلغها نبأ استشهادهم قالت:

« الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو الله أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته ».

إنها «السيدة تماضر الخنساء بنت عمرو بن الشريد السُّلَمِيّة»، أرثى شواعر العرب، وأحزن من بكى وندب. كان أبوها عمرو وأخواها: معاوية وصخر من سادات بنى سُلَيْم من مضر.

وكانت هى من أَجْمَلِ نساء زمانها، فخطبها دريد بن الصِّمة فارس « جُشَم »

فرغبت عنه، وآثرت التزوج فى قومها، فتزوجت منهم، وكانت تقول المقطَّعات من الشعر، فلما قُتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها صخر جزعت جزعا شديدا، وبكت بكاء مُرّا، وكان أشدُّ وجدها على صخر، لأنه شاطرها هى وزوجها أمواله مرارًا، فهاج حزنُها الشعرَ فى نفسها، فقالت المراثى المطولات، وفاقت النساء والرجال فيها، وأطالت عليها البكاء والعويل حتى تقرحت مآقيها، وحتى ضرب بها المثل فى الحزن والبكاء وكثرة الرثاء! وجاء الإسلام فوفدت مع قومها على النبى ﷺ، وأسلمت، وكان يعجبه شِعرُها! وأغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها! ومَن فَضَّل ليلى الأخيلية عليها، لم ينكر أنها أرثى النساء! وكان بشار يقول: «**لم تقل امرأة الشعر إلا ظهر فيه الضعف، فقيل له: وكذلك الخنساء؟! فقال: تلك غلبت الفحول!**».

ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام، فذلك النابغة الذبيانى يقول لها وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التى مطلعها :

قـذى بـعـيـنـيـك أم بـالـعـيـن عُـوَّارُ[1]
أم ذَرَّفـت[2] **إذْ خـلـت مـن أهـلـهـا الـدارُ؟!**

«لولا أن أبا بصير (يعني: الأعشى) أنشدنى قبلك لقلت: إنك أشعرُ مَن بالسوق!»

ولشعر الخنساء رنين فى السمع، وهِزةٌ فى القلب، ووقع فى النفس: لأنه صادر من فؤادٍ محزون، وما خرج من القلب حل فى القلب!

وسُئل جرير: من أشعر الناس؟ فقال: أنا لولا الخنساء، قيل: فبم فَضَلَتْك؟ قال: بقولها:

إن الـزمـانَ (ومـا يـفْـنَـى لـه عـجـب)
أبـقـى لـنـا ذنَـبـا، واسـتـؤصِـلَ الـراسُ
إن الـجـديـديـن[3] **فـى طـول اخـتـلافـهـمـا**
لا يَـفْـسُـدانِ، ولـكـن يَـفْـسُـدُ الـنـاسُ

---

(١) عُوّارُ: مرض.
(٢) ذرفت: قطرت دمعا.
(٣) الجديدين: الليل والنهار.

• **ومن جيد شعرها قصيدتها التى تقدم مطلعها:**

وإن صخرًا لكافينا وسيِّدُنا
وإن صخرا إذا نَشْتُو لنَحَّارُ[1]

أغرُّ أبلجُ تأتمُّ الهُداةُ به
كأنه علمٌ فى رأسِه نارُ[2]

حَمّالُ ألْويةِ، هَبّاطُ أوديةٍ
شهّادُ أنديةٍ للجيش جرار[3]

وسوف يكون لنا معها لقاء فى شعر الرثاء إن شاء الله!

لتفردها فى « فن الرِّثاء » وشهادة الجميع لها!!

١٣- أم سنان بنت جشمة

ذكر صاحب العِقد الفريد عن « سعيد بن حذافة » قال: حبس « مروان » - وهو والى المدينة- غلاما من بنى ليث فى جناية جناها، فأتته جَدةُ الغلام، وهى « أم سنان بنت جشمة بن خرشة »، فكلمته فى الغلام فأغلظ لها[4] مروان، فخرجت إلى معاوية، فدخلت عليه، فانتسبت[5]، فعرفها، فقال لها: مرحبا يا بنةَ جشمة! ما أقدَمَك أرضنا وقد عهدتك تشتمينا وتحضّين علينا عدوَّنا؟!

قالت: إن لبَنِى عبد مناف أخلاقا طاهرة، وأحلاما وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينتقمون بعد عفو! إن أولى الناس باتباع ما سَنّ آباؤنا لأنت! قال: صدقت!.. نحن كذلك.. فكيف قولك:

---

(١) كثيرة هي الإبل التى ينحرها فى الشتاء للمحتاجين.
(٢) أغر: أبيض الوجه شريف. أبلج مضيء مشرق. بيّن البلج غير مقرون حاجباه. والعَلَم: الجبل.
(٣) الألوية: جمع لواء وهي دون الأعلام والبنود. له حضوره ووجوده.
(٤) أساء فى رده عليها. (٥) ذكرت مَن تنسب إليهم من الأهل.

١- عـزَبَ الـرُّقَـاد فـمُـقْـلـتـى لا تـرقُـدُ

والـلـيـلُ يـصـدُر بـالـهـمـوم ويُـوردُ[1]

٢- يـاآل مِـذْحَـجَ لا مُـقَـامَ فـشَـمِّـروا

إن الـعَـدوّ لآلِ أحـمـدَ يُـقـصَـدُ

٣- هـذا عـلـيٌّ كـالـهـلالِ تـحُـفّـه

وسـط الـسـمـاء مـن الـكـواكـب أَسْـعَـدُ

٤- خـيـرُ الـخـلائـق، وابـنُ عـمِّ مـحـمـدِ

إن يَـهْـدِكُـم بـالـنـورِ مـنـه تَـهْـتَـدُوا

٥- مـازال مـذ شـهِـدَ الـحـروبَ مـظـفـرا

والـنـصـرُ فـوقَ لِـوائـه مـا يُـفـقَـدُ

قالت: كان ذلك يا أمير المؤمنين، وأرجو أن تكون لنا خلفا! فقال رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين، وهى القائلة:

١- إمَّـا هَـلَـكـتَ أبـا الـحُـسَـيْـنِ فـلـم تَـزَلْ

بـالـحـقِّ تُـعـرَفُ هـاديـا مَـهْـدِيّـا

٢- فـاذهـب- عـلـيك صـلاةُ ربِّـك مـا دعـت

فـوق الـغُـصـونِ حـمـامـةٌ قُـمْـرِيَّـا[2]

٣- قـد كـنـتَ بـعـد مـحـمـدٍ خَـلـفًـا كـمـا

أوصـى إلـيـك بـنـا فـكـنـت وفـيّـا

فقالت: يا أمير المؤمنين؛ لسانُ صَدَق، وقول نطق، ولئن تحقق ما ظَنَنّا فحظُّك الأوفر! واللهِ ما ورّثك الشنآن[3] فى قلوب المسلمين إلا هؤلاء، فادْحَضْ[4] مقالتهم، وأبعد منزلتهم! فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قربا، ومن المؤمنين حُبّا!

قال: وإنك لتقولين ذلك؟

قالت: سُبحانَ اللّهِ! واللّه ما مِثْلُك مُدح بباطل، ولا اعتُذِر إليه بكذب، وإنك لتعلم

---

(١) عَزب الرقاد: بَعُد، وفر النومُ من عيني. يصدر بالهموم ويورد: يأتي بها، ثم يصرفها.

(٢) القُمْرِيّ: ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت، والأنثى قمرية.

(٣) الشنآن: البغض والكراهية.

(٤) ادحض مقالتهم: أبطلها.

ذلك من رأينا، وضمير قلوبنا! كان- والله عليّ أحبَّ إلينا منك، وأنت أحب إلينا من غيرك. قال: ممنّ؟

قالت: من مَرْوانَ بن الحكم، وسعيد بن العاص.

قال: وبِم استحققتُ ذلك عندك؟

قالت: بسعة حلمك، وكريم عفوك!

١٤- سودة بنت عمارة

- **ذكر صاحب العقد الفريد عن الشعبى قال:**

وفَدت « سَوْدَةُ بنةُ عِمارة بن الأشتر الهَمْدَانية » على « معاوية بن أبى سفيان » فاستأذنت عليه، فأذن لها، فلما دخلت عليه، سلّمت فقال لها: كيف أنت يا بنةَ الأشتر؟ قالت: بخيرٍ يا أميرَ المؤمنين! قال لها: أنت القائلة لأخيك:

١- شَمِّرْ كفِعْلِ أبيك يا بنَ عِمارَهْ
يومَ الطِّعانِ، ومُلْتَقَى الأقرانِ[1]
٢- وانصُر عليًا والحُسَيْنَ ورهطَه
واقصِد لهندٍ وابنِها بهَوانِ![2]
٣- إن الإمامَ أخا النبيِّ محمدٍ
عَلَمُ الهُدَى، ومنارةُ الإيمانِ؟!

قالت: يا أميرَ المؤمنين..

مات الرأسُ، وبُتر الذّنَب، فدَع تَذكارَ ما قد نُسِيَ! قال: هيهات[3] ليس مثلُ مقام أخيكِ يُنْسَى! قالت: صدقت- والله- يا أمير المؤمنين! ما كان أخى خفيّ المقام، ذليل المكان، ولكن كما قالت الخنساء:

---

(١) الأقران: جمع قِرن، وهو البطل المماثل فى الشجاعة والإقدام.
(٢) هند: أم معاوية. وهي بنت عتبة. بهوان: بمذلة.
(٣) هيهات: بَعُد.

وإن صخراً لتأتم الهداة به
كأنه علمٌ في رأسه نارُ!![1]

وبالله أسأل يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيتُه[2].

قال: قد فعلْتُ، فقولي حاجتَك! قالت: يا أمير المؤمنين؛ إنك لِلناس سيد، ولأمورهم مُقلَّد[3]، واللهُ سائلك عما افترض عليك من حقنا، ولا تزال تُقْدِم علينا من ينهض بعزّك، ويبْسُطُ بسلطانك، فيحصدُنا حصَادَ السُّنْبُل، ويدوسنا دِياسَ البقر، ويسومُنا الخسيسة[4]، ويسألنا الجليلة! هذا «ابن أرطاةَ» قدم بلادي، وقتل رجالي، وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ وَمَنَعة!

فإمّا عزلتَه فشكرناك، وإما لا فعرفناك! فقال معاوية: إيايَ تُهددين بقومِك؟! ولقد هممت أن أردّك إليه على قتب[5] أشرس فيُنَفِّذ حكمَه فيك! فسكتت، ثم قالت:

١-صلى الإلهُ على رُوحٍ تَضَمَّنَه
قبرٌ فأصبح فيه العدلُ مدفونا
٢-قد حالف الحقَّ لا يبغي به ثمنا
فصار بالحقِّ والإيمانِ مَقْرونا!

قال: ومَن ذلك؟

قالت: على بن أبى طالب رحمه الله تعالى! قال: ما أرى عليكِ منه أثرا!! قالت: بل أتيته يوما فى رجلٍ ولّاه صَدَقَاتِنا، فكان بيننا وبينه ما بين الغَثِّ والسمين[6]، فوجدته قائما يصلي، فانفتل من الصلاة[7]، ثم قال برأفة وتعطّف: ألك حاجة؟! فأخبرته خبر الرجل، فبكى، ثم رفع يديه إلى السماء، فقال: اللهمّ إنى لم آمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك!، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه:

---

(١) علم: جبل.
(٢) مما طلبت منك أن تعفيني عن الإجابة عنه.
(٣) مقلّد: مُوَلّى.
(٤) يذيقنا الذل ويجبرنا عليه.
(٥) قتب أشرس: غير مروض.
(٦) فارق كبير!
(٧) انفتل من الصلاة: انصرف.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٥] ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [هود: ٨٥-٨٦] إذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتىَ من يقبضه منك والسلام. فعزَلَه يا أميرَ المؤمنين ما خَزَمه بخِزام ولا ختمه بخِتام!

قال معاوية:

اكتبوا له بالإنصاف لها، والعدل عليها!

قالت: ألىَ خاصة، أم لقومى عامة؟!

قال: وما أنت وغيرك؟!

قالت: هى والله إذن الفحشاء واللؤم إن كان عدلا شاملا، وإلا يسعنى ما يسع قومي.

قال: هيهات! ألمظكم[1] ابن أبى طالب الجرأة! اكتبوا لها بحاجتها.

١٥- أمّ البراء بنت صفوان

وفدت «أم البراء بنت صفوان» على «معاوية»، فأذن لها معاوية، فدخلت عليه وسلّمت، فقال لها: كيف أنتِ يا بنةَ صفوان؟ قالت: كسِلْت بعد نشاط، وضعُفْتُ بعد قوة. قال: شتان بين لسانك اليوم، وبين قولك:

١- يا زيدُ دونَك صَارِمًا ذا رَوْنَقِ
عَضْبَ المَهَزّةِ ليس بالخَوّار[2]

٢- أسْرِجْ جوادكَ مُسْرِعًا ومُشَمّرا
للحرب، فهو غيرُ معوَّد لِضرار

(١) ألمظكم الجرأة: أذاقكم إياها، وجرأكم.

(٢) دونك: خذ. صارمًا: سيفا قاطعا. والعضب: القاطع. بالخوار: الخوار من الرماح: ما ليس بصلب.

٣-أَحِبِّ الإمامَ وذُبَّ تحتَ لوائِه

والْقَ العدوّ بصارمٍ بَتّار[١]

٤-يا ليتنى أصبحتُ غيرَ مقيدةٍ

فأذُبَّ عنه عساكر الفُجَّار

فقالت: قد كان ذلك، ولكن عفا الله عما سلف، ومن عاد فينتقم الله منه! قال: هيهات! واللهِ لو عاد لعدتِ. قالت: أجل - والله- إنى على بينةٍ من ربي، وهدًى من أمرى. فقال له بعض جلسانه: وهى القائلة: يا أمير المؤمنين ترثى عليا عند موته:

١-يا لَلرِّجالِ لِعُظْمِ هولِ مصيبةٍ

حلّت، فليس مُصَابُها بالحائل[٢]

٢-الشمسُ فاقدةٌ لفقدِ إمامنا

خَيرِ الخلائقِ، والإمامِ العادلِ

قال لها معاوية: قاتلك الله!، فما أبقيت قولا لقائل!!

اذكرى حاجتك، قالت: أما الآن فلا، وقامت فعثَرتْ، فقالت: تَعِسَ[٣] باغِضُ على، ثم خرجت، فَبعث لها بجائزة سنية، فقبلتها!

---

(١) ذُبّ تحت لوائه: انضم إلى جنده مدافعا عن الحق. والصارم البتار السيف القاطع.

(٢) يا للرجال: تعجب من هول المصيبة. بالحائل: بالمتغير.

(٣) دعاء عليه بالهلاك.

١٦- بكارة الخُزاعية

دخلت على معاوية، وكانت قد كبِرت، وضَعُف بصرُها، ووهنت قوتها، تعتمد على جاريتين لها، فسلّمت وجلست، فرد عليها معاوية السلام، وقال: كيف أنت يا خالة؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين. قال: غَيَّرَكِ الدهرُ. قالت: هو كذا ذو غِير. من عاش كَبِر، ومن مات قُبِر!

-فقال عمرو بن العاص: هى - والله- القائلة يا أميرَ المؤمنين هذا الكلام:

١-يا زيدُ دُونَك فاستشِرْ من دارِنا   سيفا حُسامًا فى الترابِ دَفينا

٢-قد كنتُ أذْخرُه ليوم كريهةٍ   فاليومَ أبرزَهُ الزمانُ مَصُونَا

-وقال مروان بن الحكم: هى والله القائلة يا أمير المؤمنين:

١-أترى ابنَ هندٍ للخلافةِ مالِكًا

هيهاتَ ذاكَ- وإن أراد- بَعيدُ

٢-مَنَتْك نفسُك فى الخلاءَ ضَلالةَ

أخوك عمرو للشَّقا وسَعِيدُ

- **فقال سعيد بن العاص: وهى القائلة يا أمير المؤمنين:**

١-قد كنتُ أرجو أن أموتَ ولا أرى

فوق المنابر مِن أُميةَ خاطِبَا

٢-فاللهُ أخر مُدَّتِى فتطاوَلَتْ حتى

رأيتُ مِنَ الزمانِ عَجائِبَا

٣-فى كل يوم للزمان خطيبُهم

بين الجميع لآلِ أحمدَ عائبا

قالت: يا معاوية، إن هذه الجماعة جماعة حسنة، وأنا - والله- القائلة ذلك جميعه، وما خفى عنك أكثر!! فضحك معاوية، وكل من فى المجلس، ثم قال لها معاوية: ليس يمنعنا ذلك من أداء حقك، وقضاء حوائجك. قالت: أما فى هذا المجلس فلا، وانصرفت!



١٧- ريْطة بنت الطعان
شاعرة بني كنانة

قصتها مع دُريد بن الصِّمة تزدان بها كتب الأدب ومراجعه!

فذات يوم شهدت الصحراءُ العربية فرسانا أربَوْا على الأربعين ، يقودهم فارس بنى جُشَم: «دُرَيْد بن الصِّمة» قاصدين غزو «بنى كِنانة»، والتنكيلَ بهم لأحقاد قديمة متوارثة! واستقر بهم المُقام فى ظلال صخرة عاتية حتى يأتى الليل فيبدءوا الغارة على بنى كنانة! وبينما هم كذلك إذ لاح لهم رجل فى ناحية الوادى ومعه ظعينة![١]

فقال دُرَيْد: «قد يرانا هذا الرجل، وينبه علينا قومه إن تركناه! والرأى أن نقتله أو نأسره، ويكون هذا أولَ الغُنْم، فمن منكم يتصدى له، وله كل ما معه حتى الظعينة؟! فقام إليه شاب، فى عُنفوان العمر، وقال: إنى له! فقال له دُرَيْد: دونك الرجل![٢]

فامتطى جواده، ولما انتهى إليه صاح به، وألح عليه أن يستأسر[٣] ويسلم نفسه، وإلا فهو من الهالكين! ولكنه لم يجد منه إلا إعراضا وإباء، ثم رآه يُلقى زمام الراحلة ويقول للظعينة:

سِيـرِي علـى رِسْلِـك سَـيْـرَ الآمـن
سـيـرَ رَدَاح ذاتِ جـأشٍ سـاكـن[٤]

إنَّ انْـثِـنَـائِـي دون قِـرْنِـى شَـانِـئِـي
أَبْـلِـى بَـلائـي، واخـبُـرى وعـايـنـي[٥]

وأقبل على الفارس، وقال له:

«انجُ بنفسِك، واحتفظ بشبابك فلست لى بِنِدّ!» فقال فارس بن جُشَم: «ليس- والله- إلى النكوص من سبيل فخذ حِذرك، فإنى قاتلك!».

---

(١) الظعينة: الزوجة.

(٢) أمامك.

(٣) يسلم نفسه أسيرا.

(٤) على مَهَل. والرداح: ضخمة الردف سمينة الأوراك. والجأش: النفس أو القلب.

(٥) انثنائي: انصرافى. قِرني: مماثلي فى الشجاعة. شانئي: يجعلني بغيضا ويعيبني.

ثم جالا جولات، ولكن خر فارس بنى جشيم صريعا إثر ضربة فاتكة من «حامى الظعينة» الذى أخذ فرسه، وأعطاه لها!

ولما رأى دريد أن رسوله قد طال به المكث، بعث فارسا آخر لا يقل عنه بطولة وشجاعة، فلما انتهى إليه رأى صاحبه مجدلا[1]، ورأى الرجل قد أخذ بخِطام[2] بعير وكأن شيئا لم يكن! فصاح به مهددا إن لم يسلم نفسه أسيرا، ولكنه تصامم عنه وظل منطلقا لا يلتفت إليه، فعز على فارس بنى جُشَم أن يهمل هذا الإهمال، فأسرع إليه بجواده.. فلما رأى حارس الظعينة هذا الفارس الثانى يقترب منه، ألقى زمام الراحلة إلى الظعينة، وكر راجعا على مهاجمه، وهو يقول:

خلّ سبيلَ الحرة المنيعة إنك لاقٍ دونَها ربيعة[3]
فى كفه خَطّيّةٌ مُطيعةٌ أو لا فخذها طعنةً سريعةْ[4]
فالطعن منى فى الوغى شريعةْ[5]

ووجده أدرى من سابقه بفنون القتال، وأشد بأسا، فجال معه جولات، وما هى إلا برهة حتى صرع مهاجمه صرعة شنيعة، وألحقه بصاحبه فى وادى الموت!

أما حامى الظعينة فقد عاد إليها، وقلبه يفيض تيها وأنفة، وأخذ يقود البعير، واستأنف سيره. وما كاد يخطو خطوات حتى سمع فارسا ثالثا يصيح به، قد أرسله دُرَيْد لينظر ما صنع صاحباه من قبله، ولكنه لم يتوقف أو يتريث بل ظل منطلقا يقود ظعينته، ويجر رمحه، فزاد هذا الإعراض الفارس الثالث التهابًا، وقد رأى صاحبيه مجدّلين معفرين!

فقال حامى الظعينة لها: «اقصدى قصد البيوت» ثم أقبل على مهاجمه يقول:

ماذا تريدُ مِن شَتيم عابسِ ألم ترَ الفارسَ بعدَ الفارس؟!
أرداهما عاملُ رمح يابِسِ![6]

فرد عليه فارس بنى جُشَم: «أريد أن أذيقك كأس الموت، وأريق دمك، وأنكّل بك، وأمثل بجسمك جزاء وفاقا على ما اقترفتْه يداك مِن قَتْلِك هذين البطلين!

---

(١) مجدلا: صريعا.

(٢) مقود.

(٣) يعني نفسه.

(٤) خطية: منسوب إلى الخط بالبحرين تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تباع به.

(٥) الوغى: الحرب. وشريعة: طريقة.

(٦) شتيم: كريه الوجه. والعامل من الرمح: أعلاه مما يلي السنان بقليل.

فقال حامى الظعينة: « ويحك، ألم يكن فى مثلهما لك عظة؟! أتأبى إلا أن تلحق بهما؟! اغرُب عني[1]، وإلا فأنت فى عداد الهالكين ». فقال قِرنه: « خُذْ حِذْرَك، فإن صحبى يرتقبون عودتي! » فقال حامى الظعينة: « لن تعود وفى يدى هذا الرمح! » وحمل عليه حملة أردته قتيلا، ولكن رمحه انكسر.. فترك الفارس يتخبط فى دمه، ومضى نحو صاحبته التى أبت إلا أن تنتظر كيف تكون نهاية هذا الصراع؟!

فلما رأته يعود مظفرا عادت إليها طمأنِينَتُها، وأحست بأن إلى جانبها فارسا مغوارا، وبطلا صِنديدا.. واستأنفا السير حتى وصلا إلى بيوت الحي!

ولكن « دُرَيْدَ بنَ الصِّمة » قد رابه أن يذهب رسله فلا يعودون وظن أنهم قتلوا الرجل، وأخذوا الظعينة أسيرة.. فانطلق بنفسه، فوجد أصحابه قد قُتِلوا، فلحق بحامى الظعينة فوجده بدون رمح، وعز عليه أن يُنَازِلَه، وهو أعزل من السلاح، فقال له دريد: أيها الرجل، مثلُك لا يُقتَل، ولا أرى معك رمحا، والخيل ثائرة بأصحابها، ولو رأوك لقضوا عليك، فدونك هذا الرمح، وإنى منصرف إلى أصحابى فمثبطهم عنك إعجابا ببأسك وبلائك فى القتال، وشجاعتكِ النادرة المثال! وانصرف دريد، وقال لأصحابه: إن حامى الظعينة قد حماها، وقتل ثلاثة من أصحابكم، وانتزع منى رمحي، وعفا عني، ولا مطمع لكم فيه، ثم قال:

مــا إِن رأيــتُ ولا ســمــعــتُ بـمـثـلِـه
حــامــى الـظـعـيـنـةِ فـارسًـا لـم يُـقْـتَـلِ
أرْدَى فــوارسَ لــم يــكــونــوا نُــهــزةَ
ثــم اســتــمــرَّ كــأنــه لَــم يَــفْــعَــلِ[2]
مُــتَــهَــلِّــلًا تــبــدو أَســرَّةُ وجــهِــه
مـثـل الـحُـسَـام جـلـتـه كـفُّ الـصَّـيـقـل[3]
يــا لــيــت شــعــرى مَــن أبــوه وأُمــه
يـا صـاحِ مـن يـكُ مـثـلُـه لا يُـجْـهَـلِ[4]

---

(١) ابعد عني لا أرى وجهك.

(٢) يقال: « هو نُهزة المختلس »: صيد لكل أحد. والمراد: لم يكن فيهم مطمع لأحد لشجاعتهم وبأسهم.

(٣) الصيقل: الصقال، وهو من صناعته صقل السيوف وجلاؤها.

(٤) يا ليت شِعري: ليتني أعرف من أبوه إلخ.

ودارت الأيام دورتها، ثم كان أن أغارت بنو كِنانة على بنى جشم أخذوهم فيها على غِرة، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وأسروا عددا كبيرا وكان فيمن أسر بطل بنى جُشم، وحامي ذمارها، وفارسها « دريد بن الصمة! ».

وبينما هو فى محبسه عندهم مغلول اليدين فى دار مخارق الذى أسره عَنَّ لبعض فتيات الحى أن يتلهين بمداعبة الأسرى، والنظر إليهم مقيدين بالأغلال. وما أن رأت إحداهن « دريد بن الصمة » حتى صرخت صرخة ارتاعت لها أخواتها.. وقالت: هلكنا والله ماذا جرّ علينا قومنا؟! هذا والله الذى أعطى « ربيعة زوجي » رمحه يوم الظعينة! ثم ألقت عليه رداءها وقالت: « يا لقومي! أنا جارة له منكم.. هذا صاحبنا يوم الوادي » فسألوه من هو؟ فلم يجد بدا وقد أدرك أملا فى النجاة أن يذكر اسمه.. فأجاب: « دريد بن الصِّمة! ».

فقالت النسوة فى صوت واحد: الفارس المغوار.. يا للعار!! لقد أكبرنا-والله- فعلتك يوم الظعينة.. وقلنا: لا يصدر هذا إلا من كريم!

فسأل عن حامى الظعينة « ربيعة بن مكرم » أين هو؟ فقالت زوجته: قتله بنو سليم! قال: فما فعلت الظعينة؟ فقالت: أنا هيه.. وأنا امرأته! فطأطأ رأسه أسفا عليه، وإكبارا لامرأته التى عرفت الجميل ولما عاد القوم اختلفوا فى أمره، ولكنها تقدمت إلى القوم فى نديّهم، وهى متصَنعة، وأنشدت بِصوت قوى أخاذ:

١-سنجزى دُريدًا عن ربيعةَ نعمةً
وكل امرئ يُجزَى بما كان قَدَّما

٢-فإن كان خيرا كان خيرا جزاؤه
وإن كان شرا كان شرا مُذَمَّمَا

٣-سنجزيه نُعْمَىٰ لم تكن بصغيرة
بإعطائه الرمحَ الطويلَ المقوّما[1]

٤-فقد أدركتْ كفّاه فينا جَزاءَه
وأهلٌ بأن يُجزَى الذى كان أنعَمَا

---

(١) النُّعمى: هي النَّعماء ويراد بها الخفض والدعة.. والمال. والمراد: ما أسداه إلينا وما قدمه لزوجي من جميل.

٥-فـلا تـكـفـروه حـقّ نُـعـمـاهُ فـيـكـم
ولا تـركـبـوا تـلـك الـتـى تـمـلأ الـفـمـا[1]
٦-فـلـو كـان حـيًـا لـم يَـضِـقْ بـثـوابِـه
ذَرْعًـا، غـنـيـا كـان أو كـان مُـعْـدِمـا
٧-فـفُـكـوا دريـدا مـن إسـار مُـخـارِقٍ
ولا تـجـعـلـوا الـبُـؤسَـىٰ إلـى الـشـر سُـلَّـمـا

فكان شِعرُها القولَ الفصل، وأجمع القوم على أن يطلقوه من أسره فى غدِه ويقدموا لمخارق آسره ما شاء من فدية ولكنه أبى أن يأخذ فدية احتراما لرأى الجماعة. فلما أصبح الصباح أخذته ريطة بنت الطعان وكسته بما يناسبه وجهزته بمطية وزاد وسلاح، ولحق بقومه، وقد آلى ألا يغزو بنى كنانة!

١٨-حذام بنت الريان

اسمها على كل لسان، وقولها لا يختلف فيه اثنان: ويقول المفضل الضبى فى أمثاله:

سار «عاطس بن خلاج» ذات يوم إلى أبيها فى حِمير وخَثعم، وهَمْدان، ولقيهم «الريان» أبوها فى أربعة عشر حَيًّا من أحياء اليمن؛ فاقتتلوا قتالا شديدًا ثم تحاجزوا.

وخرج الريان ليلا هو وأصحابه هربا، وساروا ليلتهم ويومهم ثم عسكروا، فأصبح «عاطس» فغدا لقتالهم، فإذا الأرض منهم بلاقع!!

فجرّد خيله، وحث فى الطلب، فانتهوا إلى عسكر الريان ليلا فلما كانوا قريبا منهم أثاروا القطا[2] فمرت بأصحاب الريان، فخرجت «حَذامِ بنت الريان» إلى قومها فقالت:

---

(١) يريد الشر والحرب.

(٢) مجمع الأمثال للميداني. والقطا: جمع قطاة نوع من اليمام يفضل الحياة فى الصحراء.

ألا يا قومَنا ارتحلوا وسيروا   فلو تُرك القطا ليلا لناما!!

أي: أن القَطَا لو ترك ما طار هذه الساعة، وقد أتاكم القوم! فلم يلتفتوا إلى قولها وأخلدوا إلى المضاجع لما نالهم من التعب!

فهَبّ زوجها فيهم قائلا:

إذا قالت حَذامِ فصدقوها   فإن القول ما قالت حَذَامِ

فهبوا من نومهم، ولجئوا إلى وادٍ كان قريبا منهم، فنجَوْا من شر أعدائهم بفضل حذامِ!!

١٩- ليلى العفيفة بنت لكيز

كانت ليلى بنت لكيز شاعرة مُجيدة، وهى من بنى ربيعة، وتزوجها البَرَّاق الفارس المشهور: وكان أبوها قد نزل فى ناحية من بلاد الفرس، ومعه ابنته، وكانت من أجمل نساء زمانها!

وبلغ خبر جمالها ملك الفرس، فأرادها لنفسه، وأرسل من انتزعها من أبيها، ولكنها فضلت الموت والتعذيب على تلبية تلك الرغبة الآثمة وخيرته بين أن يقتلها أو يُعيدها لأبيها، ولما يئس منها أسكنها فى موضع، وأجرى عليها الرزق مكتفيا برؤيتها بين حين وآخر. وكان لليلى ابن عم من «بنى بكر» فارس شجاع يقال له: البرّاق، فاحتال حتى خلصها، ومن نظمها فى أثناء محنتها:

١- ليت للبرّاق عينا فترى   ما أُلاقى من بلاءٍ وعَنَا[1]

٢- يا كُلَيبًا وعُقيلا إخوتي   يا جُنيدًا أسعدونى بالبكا[2]

٣- عُذِّبت أختكم ياوَيْلكم   بعذاب النُّكْرِ صُبْحًا ومسَا[3]

---

(١) عنا: عناء ومشقة. وعَنِيَ الرجل: وقع فى الأسر فهو عانٍ.

(٢) أسعدوني: ساعدوني.

(٣) يا ويلكم: الويل: حلول الشر، وكلمة عذاب. النُّكر: الأمر المنكر، والشديد.

٤-غلّلوني قيّدوني ضربُوا ... مَلْمَسَ العفةِ مِنّي بالعَصَا[١]

٥-يكذبُ الأعجمُ ما يَقْرَبُني ... ومعي بعضُ حُشاشاتِ الحَيَا[٢]

٦-فأنا كارهةٌ بغيَكُم ... ويقينُ الموتِ شيء يُرْتَجى

٧-فاصطبارٌ أو عزاء حَسَنٌ ... كُلُّ نصرٍ بعد ضُرٍّ يرتجى

٨-أصبحت ليلى تُغَلّ كفُّها ... مثلَ تغليل الملوك العُظَما

٩-وتُقَيَّدُ، وتكبَّلُ جهرةً ... وتطالَبُ بقبيحات الخنا[٣]

١٠-قل لعدنانَ هُدِيتم شَمِّرُوا ... لبنى مَبغُوضٍ تَشْميرَ الوفا

١١-يا بنى تغلبَ سيروا وانصروا ... وذروا الغفلةَ عنكم والكَرَى[٤]

١٢-واحذروا العار على أعقابكم ... وعليكم ما بقيتم فى الدُّنا[٥]

وقالت ترثي غرثان أخا البراق

١-لما ذكرتُ غُرَيْثًا زاد بى كَمَدى ... حتى هممتُ من البَلْوَى بإعلانِ[٦]

٢-تربَعَ الحزنُ فى قلبى فذُبتُ كما ... ذاب الرَّصاصُ إذا أُصْلِى بنيران[٧]

٣-فلو ترانِيَ والأشجانُ تُقْلِقني ... عجبتَ برَّاقُ من صَبْرِى وكِتمانِي[٨]

٤-لا دَرّ دَرُّ كُلَيْبٍ يوم راحَ ولا ... أبى لُكَيزٍ، ولا خيلى وفرسانِي[٩]

٥-عن ابن روحان راحت وائل كَثَبًا ... عن حاملِ كُلِّ أثقالٍ وأوزانِ[١٠]

٦-وأسلموا المالَ والأهلين واغتنموا ... أرواحَهم فكبا زَنْدُ ابنِ رَوْحانِ[١١]

---

(١) غلّلوني: وضعوا فى يدي أو عنقي الغُلّ، وهو طوق من حديد أو جلد، يجعل فى عنق الأسير أو المجرم أو فى أيديهما. وملمس العفة: كناية عن الفرج.

(٢) حشاشات: جمع حُشاشة. وهي بقية الروح فى المربض. الحيا: الحياة.

(٣) الخنا: الفحش.

(٤) الكرى: النوم.

(٥) أعقابكم: أولادكم. الدنا: جمع دنيا.

(٦) كمدى: حزني المكتوم.

(٧) أصلى بنيران: ألقي فيها.

(٨) الأشجان: الأحزان والهموم. براق: منادى حذفت أداته.

(٩) لا در دره: دعاء عليه معناه: لا زكا عمله.

(١٠) كثبا: اجتمعوا.

(١١) كبا الزند: لم يخرج ناره.

٧-فتى ربيعةَ طوّافِ أماكنَها　　وفارسِ الخيلِ فى رَوْعٍ وميدانِ
٨-يا عينُ فابكى وجُودى بالدموع ولا　　تَمَلَّ يا قلبُ أن تبكى بأشجان
٩-فذكرُ غَرثانَ مَوْلَى الحيِّ من أسدِ　　أنسى حَياتى بلا شكٍّ وأنساني

ومن قولها فى وداع البرّاق

١-تَزَوَّدْ بنا زادًا فليس براجعٍ　　إلينا وِصَالٌ بعد هذا التقاطع
٢-وكَفكِفْ بأطرافِ الوَداع تمتُّعا　　جُفونَك من فيضِ الدموعِ الهوامع[1]
٣-ألا فاجزِنى صاعا بصاعٍ كما ترى　　تَصَوُّبَ عينى حسرةً بالمدامع[2]

- **ومن قولها فيه:**

١-برّاق سيدُنا وفارسُ خيلِنا　　وهو المُطاعن فى مضيق الجحفل[3]
٢-وعمادُ هذا الحيّ فى مكروهه　　ومؤمَّل يرجوه كلُّ مُؤمِّلِ

٢٠- رابعة بنت إسماعيل العدوية

ناسكة بَصْرية. . اتجهت بشعرها إلى الذات الإلهية. توفيت سنة ١٨٥هـ.

من شعرها قولها فى الذات الإلهية:

١-إنى جعلتُكَ فى الفؤادِ مُحَدّثي
وأبحتُ جِسمى من أراد جُلوسِي
٢-فالجسم منى للجليسِ مؤانسٌ
وحبيبُ قلبى فى الفؤادِ أنيسِي

---

(١) الهوامع: السائلات. وكفكف الدمعَ: مسحه مرة بعد مرة ليجف.
(٢) تصوب عيني: انحدار دموعها.
(٣) الجحفل: الجيش الكثير.

وقولها:

١-حبيبٌ ليسَ يَعْدِلُه حبيبُ
وما لِسَواهُ فى قلبى نَصيبُ

٢-حبيبٌ غاب عن بَصرى وشَخصي
ولكن عن فؤادى ما يغيبُ

وقولها:

١-وزادى قليلٌ ما أراه مُبَلّغي
أَلِلزّادِ أبكى أم لطولِ مَسافَتِي؟

٢-أتحرقُنى بالنار يا غايةَ المُنى
فأينَ رجائى فيك أينَ مَخافتي؟!

• هى والحسن البصري:

خطبها الحسن البصرى فردّته وقالت:

١-راحتى يا إخوتى فى خَلْوتي
وحَبيبى دائما فى حَضْرَتِي!

٢-لم أجد لى عن هواهُ عِوَضا
وهواه فى البَرايَا مِحْنتي

٣-حيثُما كنتُ أشاهدُ حُسْنَه
فهو مِحرابي.. إليه قِبْلَتِي

٤-إن أَمُتْ وَجْدًا، وَمَا ثَمَّ رِضَى
واعَنائى فى الوَرَى.. واشَقْوَتى!!

٥-يا طبيبَ القلبِ يا كُلَّ المُنَىٰ
جُدْ بِوَصْلٍ منكَ يَشْفِى مُهجتى

٦-يا سُرورِي.. يا حياتى دائما
نشأتى منك وأيضا نَشْوَتِي

٧-قد هجرتُ الخَلْقَ جَمعًا أَرتَجِي
مِنكَ وصْلا فَهوَ أقصَى مُنْيَتِي

-وقالت تناجى ربها :

١-أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ: حُبَّ الهوى   وحُبّاً لأنك أهلٌ لذاك

٢-فأما الذى هو حبُّ الهوى   فشُغلى بذكرِك عمّن سِواكَ

٣-وأما الذى أنتَ أهلٌ له   فكَشْفُكَ لى الحُجْبَ حتى أراكَ

٤-فلا الحمدُ فى ذا، ولا ذاك لي   ولكن لك الحمدُ فى ذا، وذاك!

٢١- ليلى العامرية

صاحبة قيس بن الملوح . . المجنون . . وللمجنون ديوان شعر فيها أما هى فقد روت عنها كتب الأدب بعض أبيات .

- **وقالت تصف حالتها وحالته:**

١-لم يكنِ المجنونُ فى حالةٍ   إلا وقد كنتُ كما كانَا

٢-لكنَّه باحَ بسِرِّ الهَوَى   وأنني قد ذُبتُ كِتْمَانَا

وقالت عن كتمانها هواها وقد باح بسر الهوى :

١-باح مجنونُ عامرٍ بهَواهُ   وكتمتُ الهوى فمِتُّ بوَجْدي[1]

٢-فإذا كان فى القيامة نُودى   مَن قتيلُ الهوىٰ؟! تقدّمتُ وَحدي!

وقالت تتحدث عن مسلكهما فى الحب :

١-كِلانا مُظهِرٌ للناسِ بُغضًا   وكُلٌّ عند صاحبِه مَكِينُ

٢-تُبلِّغُنا العيونُ بما أَرَدْنَا   وفى القلبين ثَمَّ هَوًى دَفِينُ

٣-وأسرارُ اللَّواحظِ ليس تَخْفَى   وقد تُغرِى بذى الخطأِ الظنونُ

٤-وكيف يفوتُ هذا الناسَ شيءٌ   وما فى الناس تُظْهِره العيونُ؟!

---

(١) بوجدي: بحزني.

٢٢- خولة بنت الأزور

للمرأة عندنا صفحات من الأمجاد لا تُنسى وبخاصة إذا خلّدها شعرُها!

ها هى ذى « خولةُ بنتُ الأَزْوَر » التى قامت بعد أن أُسِر أخوها « ضِرار » فى موقعة « أجنادين »[١] فتلثمت فى زى فارس، ومضت تحاربُ مع « خالد بن الوليد » الذى سار لإنقاذه!

قال خالد: إنه بينما هو فى الطريق مَرّ به فارس معتقِلٌ رُمْحَه لا يُرَى منه إلا الحَدقُ. وهو يقذف بنفسه، لا يلوى على ما وراءه، فلما نظر إليه قال:

ليت شِعْرِى من هذا الفارس؟ وايمُ الله إنه لفارس! ثم اتبعه خالد والناس من ورائه حتى أدرك جند الروم فحمل عليهم حتى دمّر كيانهم، وحَطّم مواكبهم! فلم يكن غير جولة جائل حتى خرج وسِنان رمحه يقطر دما وقد قَتل رجالا، ثم عرض نفسه للموت ثانية فاخترق صفوف القوم غير مكترث، وظنه الناس خالدا. . وقال الناس: من هذا الفارس الذى خرج كالشهاب على فرسه؟! وهنا ناشدهُ خالد بن الوليد أن يكشف اسمه، فرفع اللثام عن وجهه وقال: أنا خولة بنت الأزور الكندية! إنها من الباسلات الجميلات، لها وقائع مشهورة فى تاريخ الإسلام، فقد سجل التاريخ لها بأحرف من نور أنه: لما أُسِر أخوها « ضرار بن الأزور » فى وقعة « أجنادين » هجمت بالنساء، وقاتلت بهن قتال المستميت حتى خلّصت الأسرى من أيدى الروم، وكانت تقول:

نحنُ بناتُ تُبَّعٍ وحِمْيَرْ ... وضَرْبُنا فى القوم ليس يُنْكَر[٢]

لأننا فى الحرب نارٌ تُسْعَرْ ... اليوم تُسْقَوْن العَذاب الأكبرْ

وأُسِرَ أخوها مرةً ثانية فى « مرج دابق »[٣] فقالت:

---

(١) موقع بين الرملة وبيت جبرين فى فلسطين حدثت فيه معركة بين العرب بقيادة خالد بن الوليد والبيزنطيين. انتصر فيها العرب على البيزنطيين بقيادة أرطبون ٦٣٤م.

(٢) تُبّع: لقب أعاظم ملوك اليمن. والجمع تبابعة. وحِمْير بن سبأ بن يشجب أبو قبيلة. وموضع غربي صنعاء اليمن كما فى المحيط (حمر).

(٣) موضع فى سوريا بين منبج وأنطاكية.

١-ألا مُخْبِرٌ بعد الفِراقِ يخَبِّرُنا
فمن ذا الذى يا قومُ أشغَلكُم عنا؟[1]
٢-فلو كنتُ أدرى أنه آخِرُ الِّلقا
لكنا وقفنا للوَداعِ وودَّعْنَا
٣-ألا يا غرابَ البينِ هل أنت مُخْبِري
فهل بقدوم الغائبين تُبشرُنا[2]
٤-لقد كانت الأيامُ تزهو لقربِهم
وكُنا بهِم نَزْهُو، وكانوا كما كُنّا[3]
٥-ألا قاتلَ اللهُ النَّوَىٰ ما أمَرَّه!
وأقبحَه! ماذا يريد النَّوَىٰ منا؟![4]
٦-ذكرتُ ليالى الجمع كنا سويةً
ففرقنا ريبُ الزمانِ وشتَّتَنَا[5]
٧-لَئِن رجعوا يومًا إلى دارِ عِزِّهِم
لَثمَا خِفافًا لِلْمَطايا وقَبَّلنا
٨-ولم أنسَ إذ قالوا: ضِرارٌ مقيَّدٌ
تركناه فى دار العدوِّ ويَمَّمْنَا[6]
٩-فما هذه الأيامُ إلا مُعَارَةَ
وما نحنُ إلا مثلَ لفظٍ بلا معنى!
١٠-أرى القلبَ لا يختارُ فى الناس غيرَهُمْ
إذا ما ذَكَرْهُم قلبى المعَنّى[7]

---

(١) أشغلكم: شغلكم وصرفكم.

(٢) البين: الفراق. وغراب البين كان يتشاءم به لأنه نذير الفرقة! ولا تشاؤم فى الإسلام!

(٣) تزهو: تتيه، وتتعاظم، وتفتخر.

(٤) النوى: البُعد والفراق.

(٥) ريب الزمان: حوادث الدهر، وكذلك صرف الدهر، وريب المنون.

(٦) يممنا: قصدنا. جئنا.

(٧) المعَنّى: المكلف ما يشق عليه.

١١-سلام على الأحبابِ في كلِّ ساعةٍ
وإن بَعدُوا عنا، وإن مُنِعوا مِنّا

ثم قالت: لابد أن أخلصه، وآخذ بثأره، وتقدمت مع الجيش إلى أنطاكية، ومعها غيرها من النساء، ثم أنشدت:

١-أبَعدَ أخي تَلَذُّ الغَمْضَ عيني
فكيف ينامُ مَقروحُ الجفونِ؟!

٢-سأبكي ما حَيِيتُ على شقيقٍ
أعزّ عليَّ من عيني اليَمِين!

٣-فلو أني لَحِقتُ به قتيلاً
لهان عليَّ إذ هو غيرُ هُونِ(١)

٤-وكنتُ إلى السُّلُوِّ أرى طريقًا
وأَعْلَقُ منه بالحَبْلِ المَتين(٢)

٥-وإنا مَعْشَرٌ مَن مات مِنّا
فليسَ يموتُ موتَ المُستَكِين(٣)

٦-وإني إذ يُقالُ قضى ضِرارٌ
لَباكيةٌ بمُنسجِم هَتُونِ(٤)

٧-وقالوا: لِم بُكاكِ؟ فقُلتُ: مَهْلاً
أمَا أبْكِي وقد قطعوا وَتِينِي؟!(٥)

ثم هجمت فخلصته من الأسر!!

وستظل الشاعرة خولة بنت الأزور باقية على مر الأيام والأعوام رمزا للبطولة والوفاء!

---

(١) غير هون: غير ذليل، وليس ممن يستهان بهم.

(٢) أعلق: أتمسك.

(٣) المستكين: الخاضع الذليل.

(٤) قضى: هلك. بمنسجم: بدمع سائل. هتون: كثير القطر.

(٥) وتيني: الوتين: الشريان الرئيس الذى يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب.

٢٣- حمدة بنت زياد

كانت فتاة شاعرة أديبة، تحدَّث عن لطفها وظَرفها الجميع. ومما قالته فى الغزل:

١- ولَمَّا أَبَى الواشون إلا افتراقَنا
وما لهم عِندى وعندك من ثارِ[1]

٢- وشَنُّوا على أسماعِنا كلَّ غارةٍ
وقَلَّ حُماتى عند ذاكَ وأنْصاري

٣- غزوتُهُم من مُقْلَتيك وأدمعي
ومن نفسى بالسيف والسيل والنارِ!

وخرجت مرة للوادى مع حبيبة لها فرأت الأزهار فى جوانبه تتلألأ كأنها النجوم تساقطت من كبد السماء، والماء فى النهر يتماوج كأنه قطع من لجين[2]، ترمقه عيون الشمس، فأعجبها ذلك المنظر وأحبت أن تخوض بذلك النهر إتماما لترويح النفس، فنضت عنها ثيابها، وعامت ثم أنشدت تقول:

١- أباح الدمعُ أسرارى بِوَادِي
له للحُسْنِ آثارٌ بَوَادِي[3]

٢- فمن نهر يطوف بكل أرض
ومِنْ رَوْضٍ يَرُوقُ بِكلِّ وادِي

٣- ومن بين الظِّباء مَهاةُ أنسٍ
سَبَتْنِى، وقد ملكت فؤادي[4]

---

(١) ثار: هي ثأر خففت همزتها.

(٢) لجين- بضم اللام- فضة.

(٣) بَوَادي: ظاهرات.

(٤) المهاة: البقرة الوحشية، ويراد بها المرأة التى تشبه عيناها عيني البقرة الوحشية. سبتني: أسرتني.

٤- لـهـا لـحـظٌ تُـرَقِّـدُه لأمـرِ
وذاك الأمـرُ يـمـنـعـنـى رُقـادِي [١]

٥- إذا سَـدَلَـتْ ذوائـبَـهـا عـلـيـهـا
رأيـتَ الـبـدرَ فـى أفـقِ الـسَّـوادِ [٢]

٦- كـأن الـصُّـبـح مـات لـه شـقـيـق
فـمـن حَـزَنٍ تَـسَـرْبَـل بـالـحِـدادِ [٣]

٢٤- ولّادة بنت المستكفى

ولادة بنت الخليفة المستكفى . . كانت واحدة زمانها، المشار إليها فى أوانها، حسنة المحاضرة . . مشكورة المذاكرة [٤] كتبت بالذهب على طرازها الأيمن :

أنـا - والـلـهِ - أصـلُـح لـلـمَـعـالِـى
وأمـشـى مِـشْـيَـتِـى وأتـيـهُ تِـيـهَـا

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف ! !

أحبها « ابن زيدون » وهام بها، وقال فيها نونيتَه البديعة الرائعة ! ونافسه فى حبها الوزير « أبو عامر بن عبدوس »، فمرت به ذات يوم وأمام داره بركة من كثرة الأمطار، وقد نشر كُميْه، ونظر فى عِطفيه، وحشر أعوانه إليه فقالت :

أنـت الـخـصـيـبُ وهـذه مِـصْـرُ فـتـدفـقـا فـكِـلاكـمـا بـحـر [٥]

فتركته لا يجد حرفا ولا يرد طرفا !

والذى يغلب على الظن أن ولادة كانت بعيدة عن الإسفاف، مصونة عن التبذل، ولقد

---

(١) اللحظ: مؤخر العين مما يلي الصُّدغ.
(٢) سدلت ذوائبها: أرخت وأرسلت شعر مقدم رأسها.
(٣) تسربل: تغطى. والحِداد: ثياب المأتم.
(٤) المذاكرة : المكالمة، وتبادل الحديث.
(٥) الخصيب: أحمد بن عبد الله وزير المقتدر والقاهر. أديب وشاعر. عزل ونكب، وتوفى بالسكتة القلبية.

أكد المؤرخ «ابن بسام» ذلك بقوله: «كان يعشو أهل الأدب إلى ضوء غُرتها[1] ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عِشرتها، وقد تحدثت هي عن نفسها فقالت:

إنـي وإن نـظـر الأنـام لـبَـهْـجَـتي كـظِـبـاءِ مكـةَ صيـدُهـن حَـرامُ
يُخسَبْن مِن لِينِ الكلامِ فواحشا ويـصدُّهـن عـن الـخَنَـا الإسـلام[2]

ولقيها ابن زيدون ذات يوم، ولما أرادت الانصراف ودعها بهذه الأبيات:

١-ودّع الـصـبـرَ مُـحِـبٌّ ودّعـك
حـافِـظٌ مـن سِـرِّهِ مـا اسـتـودَعَـك
٢-يَـقـرعُ الـسـنّ عـلـى أن لَّـم يـكـن
زاد فـي تـلـك الـخُـطَـا إذ شـيَّـعـك
٣-يـا أخـا الـبـدر سَـنـاءً وسَـنَـا
حَـفِـظَ الـلـهُ زمـانًـا أطْـلَـعَـك
٤-إن يَـطُـلْ بـعـدك لـيـلـي.. فـلَـكَـمْ
بـتُّ أشـكـو قِـصَـر الـلـيـلِ مَـعَـك

وطال ابتعاد أحدهما عن الآخر مما جعل ولادة تكتب إليه:

١-ألا هـل لـنـا مـن بـعـد هـذا الـتـفـرقِ
سبـيـلٌ، فـيـشـكـو كُـلُّ صَـبٍّ بـمـا لَـقِـي[3]
٢-تَـمُـرُّ الـلـيـالى لا أرَىٰ الـبـيـنَ يـنـقـضـى
ولا الـصـبـرَ مـن رِقّ الـتـشـوق مُـعْـتِـقِـى
٣-سـقـى الـلـهُ أرضـا قـد غـدت لـك مَـنـزِلًا
بـكـلِّ سَـكُـوبٍ هـاطِـلِ الـوَبْـل مُـغْـدِقِ[4]

---

(١) يعشو: يقصد. والغُرَّةُ: بياض بالجبهة.

(٢) الخنا: الفحش.

(٣) الصب: المشتاق الذى يعاني من حرارة الحب.

(٤) كانت الدعوة المحببة إلى النفوس «الدعاء بالسقيا» لما للماء من أثر عظيم فى الحياة. سَكوب: مطر دائم السُّكوب. وهاطل الوبل: المطر الشديد الضخم القطر، والمغدق من المطر: كثير القطر. ويقال: هطل المطر: تتابع متفرقا عظيم القطر.

٢٥- حسانة التميمية

هى حسانة بنت أبى الحسين الشاعر كانت من أهل إلبيرة، وقد تأدبت على أبيها الذى كان أيضا من شعراء الأندلس! ولما مات لجأت إلى الحكم أمير الأندلس آنئذ، وكانت وسيلتها إليه تلك الأبيات :[١]

١-إنى إليك أبا العاصى مُوَجِّعة	أبا الحُسَنِ سقته الواكفَ الدِّيمُ[٢]
٢-قد كنتُ أرتعُ فى نُعمَاه عاكفةً	فاليوم آوِى إلى نُعماكَ يا حَكَمُ!
٣-أنت الإمام الذى انقاد الأنامُ له	وملّكته مقاليدَ النُّهى الأُمَمُ
٤-لا شيءَ أخشى إذا ما كنتَ لى كنَفًا	آوِى إليه، ولا يعرونىَ العدم
٥-لا زلتَ بالعزة القعساءِ[٣] مُرتديًا	حتى تذلَّ إليك العُرْب والعَجَمُ[٤]

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه، وأمرلَهَا بإجراء راتب، وكتب إلى عامله على إلبيرة فجهزها بجهاز حسن، غير أنه لما مات الحكم نالها بعض الضر من عامل بلدها «جابر بن لبيد» الذى لم يحرر لها أملاكها، ولم ينفذ ما خطه الحكم لها بيده فى هذا الشأن، فجاءت إلى الأمير الجديد: «عبد الرحمن الأوسط»، وأنشدته قصيدة منها :

١-إلى ذى النَّدى والمجدِ سارت ركائبي
على شحَطٍ تصلَى بنار الهَواجِرِ[٥]

٢-ليَجْبُرَ صَدْعِى إنه خيرُ جابر
ويَمنَعَنِى من ذى الظُّلامةِ جابرِ

٣-فإنى وأيتامى بقبضةِ كفِّه
كذى ريش أضْحَى فى مخالِبِ كاسِرِ

---

(١) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة للدكتور هيكل. رحمه الله .

(٢) مُوَجِّعة: ناعية. الواكف : المطر المنهمل. والديم : جمع ديمة: المطر يطول زمانه في سكون .

(٣) القعساء: الثابتة.

(٤) وردت هذه الأبيات فى نفح الطيب جا١ ص ٤٨٨ وانظر بعض أخبارها فيه.

(٥) شحط: بُعد. والهواجر: جمع هاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر.

٤-جـديـر لـمـثـلـى أن يُـقـالَ مـروءةً
لـموتِ أبـى الـعـاصـى الـذى كـان نـاصـري [(١)]

٥-سـقـاه الـحـيـا، لـو كـان حـيـا لـمـا اعـتـدى
عـلـيّ زمـان بـاطـشٌ بـطـشَ قـادرِ

٦-أيـمـحـو الـذى خـطَّـتـه يـمـنـاه جـابـرٌ
لـقـد سـام بـالأمـلاكِ إحـدى الـكـبـائـر [(٢)]

فلما فرغت من قصيدتها رق لها، فعزل الوالي، وأقرها على أملاكها، وأمر لها بجائزة. فانصرفت من عنده راضية مجبورة، وبعثت إليه بقصيدة منها:

١-ابـنُ الـهِـشَـامَـيـن خـيـرُ الـنـاس مـأثُـرَةً
وخـيـرُ مـنـتـجَـع يـومـا لِـرُوَّاد

٢-إن هـزّ يـوم الـوغـى أثـنـاء صـعـدتـه [(٣)]
روّى أنـابـيـبَـهـا مـن صِـرْف فِـرصـادِ [(٤)]

٣-قـل لـلإمـام: أيـا خـيـرَ الـوَرَى نَـسَـبًـا
مُـقـابَـلًا بـيـن آبـاءٍ وأجـدادِ

٤-جَـوّدْتَ طَـبْـعي، ولـم تـرضَ الـظُّـلامـة لـي
فـهـاك فـضـلَ ثَـنـاءٍ رائـحٍ غـادِ

٥-فـإن أقـمـتُ فـفـى نُـعـمـاك عـاكـفـةٌ
وإن رَحَـلْـتُ فـقـد زودتَـنـى زادي [(٥)]

وبعد.. فها هى ذى «حسانة التميمية»، وها هو ذا شِعرها.. وهو كما يبدو مزيج من الرثاء، والشكوى، والمدح، وطلب العون. وهو على جانب كبير من النضج الفني..

---

(١) يقال: من أقال عثرته، وأخذ بيده.

(٢) وردت هذه الأبيات فى نفح الطيب جـ٢ صحة ٤٣٨. وسام الإنسانَ ونحوه ذلا أو خسفا أو هوانا: أولاه إياه وأرادهُ عليه. الأملاك: جمع ملك- بكسر الميم أو ضمها- ما يملك ويتصرف فيه.

(٣) الصعدة: القناة المستوية.. والمراد: الرمح..

(٤) الفرصاد: صبغ أحمر. والمراد الدم.. وصِرف: خالص، والمراد: من دم خالص.

(٥) راجع هذه الأبيات فى: نفح الطيب جـ١ صفحة ٤٢٨- ٤٢٩.

يتسم بالأصالة والصدق، ففيه كثير من طبيعة المرأة، وحاجتها إلى الحماية، وبحثها عن الكنَف، وفزعها من القهر، وفرط إحساسها بالعُدوان، وصُراخها فى طلب الغَوْث، وجبر الصدع، وإِقالة العثرة!

***

٢٦- باحثة البادية

هى المفكرة، الكاتبة الشاعرة السيدة: « **مَلَك حفنى ناصف** ».

أبوها « حفنى ناصف » صاحب المآثر البالغة على اللغة والتعليم، وما من طالب فى زماننا، ولا فى الجيل الماضى إلا وهو مدين للرجل ببعض معرفته وثقافته، وشاكر له حظا من معلوماته ودروسه. والشيء من مَعدنه لا يستغرب!

ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦م، ولما ميزت أرسلها والدها إلى إحدى « المدارس الأولية »، ثم إلى « المدرسة السنية »، فحصلت منها على شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩٠٠ (وهى أول سنة تقدمت فيها الفتيات المصريات لنيل هذه الشهادة) ثم أتمت دراستها فى قسمها العالي، واختيرت مدرسة فى إحدى « مدارس البنات بالقاهرة ». وفى سنة ١٩٠٧ تركت التعليم العلمى بالمدارس، واشتغلت بالتعليم العملى فى بيت زوجها!

أخلاقها وأعمالها

كانت مدة دراستها خير نَموذج لقريناتها، ومن عايشتها من زميلاتها: أخلاق سامية، وسريرة صافية، ونفس أبية، ومثابرة على العمل. وكانت بعد زواجها تباشر أكثَر أعمالِ بيتها بنفسها لا لسبب سوى أن تكون قدوةً لغيرها من السيدات اللاتى يلقين حبال أمورهن على غواربها، ويتركن بيوتهن إلى من لا يحسن القيام عليها، والتدبير فيها، فيوقعن أزواجهن فى الفقر المدْقع والبلاء الشديد. وكانت إذا فرغت من شئون منزلها، عكفت على قراءة الكتب النافعة، ودراسة أحوال السيدات، وزيارة مدارس البنات، وفحص مناهج التعليم بها!

كل أولئك لتكوّن لها رأيا صحيحا، وفكرا ناضجا فى تربية البنات، وإصلاح حال الأمهات. وكان من رأيها فى تربية المرأة أن تباشر من أعمال الرجل ما لا ينافى الشرع

الشريف، وألا تكون زينتها مشغلة لها ولا عبئًا ثقيلا ينوء به بعلها. ولها كتاب أسمته « النسائيات ».

شعرها

قالت الشعر وهي في الحادية عشرة من عمرها. ومن شعرها تخاطب المرأة المصرية:

١-سيرى كسَيْرِ السُّحْبِ لا تأنيْ ولا تَتَعَجَّلي
٢-لا تكتسي أرض الشوا رعِ بالإزار المُسْبَلِ
٣-أمَّا السُّفورُ فحكمُه في الشرعِ ليس بمُعضِلِ
٤-ويجوز بالإجماعِ منـ ـهم عند قصد تَأَهُّلِ!
٥-ليس النقابُ هو الحجا بُ فقَصِّرى أو طوِّلي
٦-فإذا جهلتِ الفرقَ بينهما فَدُونَك فاسْألي
٧-من بعد أقوالِ الأئمةِ لا مجالَ لِمِقْوَلِي
٨-لا أبتغى غيرَ الفضيلةِ للنساء فأَجْمِلي

قيم تعتز بها الشاعرة وتفخر

١-بيَدِ العَفافِ أصونُ عِزَّ حِجَابي
وبِعِصْمَتى أسمُو على أتْرابِي
٢-وبِفِكْرةٍ وقّادةٍ وقريحةٍ
نَقَّادةٍ قَدْ كُمِّلَتْ آدابي
٣-ما ضَرّنى أدَبى وحُسْنُ تَعَلُّمِي
إلا بكوني زهرةَ الألْبابِ
٤-ما عاقنى خَجلى عن العَلْيا ولا
سَدْلُ الخِمارِ بلِمَّتِى ونِقَابي
٥-عن طَيِّ مِضْمارِ الرِّهانِ إذا اشتكتْ
صَعْبَ السباق مطامحُ الرُّكاب
٦-بَلْ صولتى فى راحتى وتفرُّسي
في حسن ما أسعَى لخير مآبِ

٢٧- عائشة التيمورية

لها ثلاثة دواوين؛ فارسي، وتركي، وعربي يسمى: «حِلية الطراز» وكانت نادرة زمانها بين أهل الإنشاء والإنشاد! وكان والدها يقول لوالدتها:

« دعى هذه الطُّفَيْلَة للقرطاس والقلم، ودونك شقيقتها فأدبيها بما شئت من الحِكَم »

وكانت والدتها تأبى عليها التفرغ للكتابة والأدب، وتعنفها على تركها التطريز ودروس التربية النسوية، وإقبالها على كتب الأدب والدواوين، لأن التفرغ للكتابة لم يكن محمودا من البنات فى جيلها!

ولكن والدها رتب لها المعلمين فى اللغة الفارسية والعربية، والمعلمات فى العَروض وموازين الشعر، حتى درست هذه الفنون وأجادتها، وضارعت فى نظم الشعر أحسن من نظموا فيه إذا استثنينا البارودى أولا، والساعاتى ثانيا!

وقد قال النقاد: إن شعر « السيدة عائشة التيمورية » يعلو إلى أرفع طبقة من الشعر ارتفع إليها أدباء مصر فى أواسط القرن التاسع عشر إلى عهد الثورة العرابية وقد تعبر الأنثى عن الغزل وتبدع فيه. . ولكن أصدق شعرها وأجوده الرثاء!

رثاء ابنتها

ماتت ابنتها « توحيدة » فى ريعان شبابها فقالت على لسانها من قصيدة:

١-أُمّاه، قد عزّ اللقاءُ، وفى غدٍ
سَتَرَيْن نَعْشِي كالعروسِ يَسيرُ

٢-وسينتهى المَسْعَى إلى الَّلحدِ الذى
هو منزلى ، وله الجموع تَصيرُ

٣-قولى لرب اللحد: رفقا بابنتي
جاءت عَروسًا ساقها التقدير[1]

---

(١) الذى يضعها فى لحدها وقبرها.

إلى أن تقول:

٤-أماه! لا تنسي- بحقِّ بنوتي-

قبرى لئلا يحزنَ المقبور[١]

ثم تقول:

٥-صوني جهاز العُرْسِ تَذْكارًا فلى

قد كان منه إلى الزّفافِ سُرورُ

ومن يسمع هذه الأبيات لا يشك فى أنها رثاء والدة تتفجع على عزيزتها كما تتفجع الثكلى! ومن غزلها:

١-فيا إنسانَ عينى غاب عنها

وبدّلنى به طولَ المَلالْ

٢-عَسَى أَلقاكَ مُبتهجًا مُعَافَى

وأُصبِح مُنشِدًا أملى صفالي

٣-لِتَهْنأ مُقلتى بسَنَا حبيبٍ

بديعِ الحسنِ محمودِ الخِصال

٤-وأَنظِمَ أحرُفى كالدُّرِّ عِقدًا

به جِيدُ الصحائِف كانَ حَالي[٢]

شكوى الظلام وضعف النظر

طرأت على الشاعرة حالة نفسية بعد فقد بنتها، وضعف نظرها، وطول سُهادها وبكائها عليها، فقالت:

١-أَبِيتُ ومُؤنِسى الخُفَّاشُ ليلا

وحالى معه شرُّ الحالتين

٢-فذاك بنور عينيه مُهَنّى

ولى أسف بحَجْبِ المُقْلَتَيْن

---

(١) المقبور: تعني نفسها.

(٢) كان حاليا: متزينا بشعري.

٣- وأَبْسُطُ للظلام أكفَّ بَثّى
وأشقى لَوعةً بالظُّلْمَتَيْنِ

٤- تراني مُغرِضًا عن كلِّ ضوءٍ
فهل خاصمتُ نورَ النَّيِّريْنِ؟!

٥- ينافرني السَّنا فأفرُّ منه
كأن الضوءَ يطلبني بدَيْنِ

٦- وأجنَحُ للظلامِ جُنوحَ صَبٍّ
دنا لحبيبِه بالرَّقْمَتَيْن[1]

رحمها الله لقد كانت تمثل جانبا من الحياة المصرية فى القرن التاسع عشر. إنها كانت تمثل البيئة التركية المصرية!

٢٨- نازك الملائكة

شاعرة كبيرة، ورائدة مجدّدة، طليعة فى الشعر الحر ودراسته ونقده.

ولدت فى بَغداد (١٩٢٣) ونشأت فى رعاية أمها الشاعرة سلمى عبد الرازق (أم نزار الملائكة)، وأبيها الأستاذ صادق الملائكة، فأتاحت لها هذه النشأة ما لم يتح لغيرها، فما أن أكملت دراستها الثانوية حتى انتقلت إلى دار المعلمين العالية، وتخرجت فيها، ثم اتجهت شطر الولايات المتحدة للاستزادة من مَعين اللغة الإنجليزية وآدابها، بالإضافة إلى آداب اللغة العربية التى أجيزت فيها.

صدر لها: «عاشقة الليل ١٩٤٧»، و«شظايا ورماد ١٩٤٩»، و«قرارة موجة ١٩٥٩».

ويتميز شعرها بالحساسية المفْرطة، وبالألم الحاد، إنه شعر امرأة من الشرق أحبت أن تعيش.. أن تحقق ما تصورته فى فجر عمرها عن غد موعود. فلما أدركت رأت الحياة على عكس ما اشتهت، فأصيبت بخيبة أمل مريرة.. تهرب إلى الليل.. تغالب شوقها المكتوم، ومن شعرها تحت عنوان:

---

(١) بالرقمتين: روضتين بناحية الصّمّان.

كبرياء

لا تَسَلْنى عن سِرّ أدمعى الحَرّى فبعضُ الأسرارِ يأبى الوُضوحا
بعضُها يؤثِرُ الحياةَ وراءَ الحِسّ لُغزا، وإن يكن مجروحا
بعضُها إن كشَفتُه يَستَحِلْ حُبّا مُهانا يموتُ موتًا حزينا
بعضُها بعضُها تكبّر أن يَكْـ شِفَ عما وراءَه أو يُبِينَا
ومِئاتُ الأسرار تكمُن في دَمعةِ حزنٍ تلوحُ فى مُقْلتين
ومئاتُ الألغازِ فى سكتةٍ تهتزُّ خلفَ انطباقةِ الشفتين
وعيونٌ وَارَاها أهدابُها أشْـ باحُ يأسٍ فى حَيْرَةٍ وانكسارِ
تؤثر الظِّلَّ والظلامَ ارتياعًا من ضِياءِ يَبُوحُ بالأسرارِ
وقلوبٌ تضمُّ أشلاءَها فو ق جِراحٍ وأدمُعٍ وذُهولِ
تُؤْثِرُ الموتَ كِبرياءَ ولا تنطِقُ بالسِّرّ.. بالرجاءِ الخَجُولِ

وتعيش بكل جوارحها مع كلّ شهيدٍ في فِلَسطين !

إنه سيبقى . . وإن صوته لم يزل منبعثًا، وستبعثه أمواج دجلة وقُراها. . لقد منحوه ألف عمر حين أردوه شهيدًا. . فتعال إليها في رسالتها : إلى : « **شهدائنا فى فِلَسْطين** » .

الشهيد

إلى شهدائنا فى فلسطين

فى دُجى الليلِ العميقْ . .
رأسُه النَّشوانُ ألقَوْه هَشِيمَا
وأراقوا دمَه الصافى الكريمَا
فوق أحجارِ الطريقْ

***

وعقابيلُ الجريمة[1]

---

[1] عقابيل : جمع عُقبول : الشديد من الأمور والدَّواهى.

حَمّلُوا أعباءَ ظَهرِ القدر
ثم ألقوْه طعاما للحُفر
ومتاعًا وغنيمة

***

وصباحًا دفنُوه
وأهالوا حِقدهم فوق ثَراهُ
عارُهم ظَنُّوه لن يبقى شذاهُ[1]
ثم ساروا ونَسُوهُ

***

واللّيالى فى سُراها
شهدت ما كان من جُهد ثقيلِ
كلما غَطَّوا على ذكرى القتيلِ[2]
يَتَحَدَّاهُمْ شَذَاهَا

***

حسبُوا الإعصارَ يُلْوى
إن تَحَامَوْه بسِتر أو جِدار
ورأوا أن يُطْفئوا ضوءَ النهار
غير أن المجدَ أقوى
ومن القَبْرِ المُعَطَّر

***

لم يزل منبعثا صوتُ الشهيدْ
طيفُه أثبتُ من جَيْشٍ عنيدْ
جَاثمٍ لا يتقهقرْ[3]

***

(١) الشذَا : قوة الرائحة .
(٢) غطاه : واراه وستره .
(٣) جاثم : ملازم مكانه لم يبرحه .


وســــيَــــبــقَـــى فـــى ارتـــعـــاشٍ
فـــى أغــانــيــنـــا وفـــى صــبــر الـــنــخــيــلِ
فـــى خُـــطـــى أغـــنـــامــنـــا فـــى كـــل مِـــيـــلِ
مـــن أراضـــيـــنـــا الـــعِـــطـــاشِ

***

فـــلْـــيُـــجَـــنُّـــوا إن أرادوا
دُونَـــهُـــمْ . . ولْـــيــقــتُــلــوه ألـــفَ قِـــتْـــلَـــهْ
فـــغــدًا تـــبــعـــثــه أمـــواجُ دِجْـــلَـــهْ
وقُـــرانـــا والـــحـــصـــاد .
يـــا لَـــحَـــمْـــقَـــى أغـــبـــيـــاءْ!
مَـــنَـــحُـــوه حـــيـــن أرْدَوْه شـــهـــيـــدًا
ألـــفَ عُـــمـــرٍ، وشـــبـــابًـــا وخـــلـــودَا
وجـــمـــالًا ونـــقـــاءْ!







الفصل الثاني

شاعرات تألقن في فن الرثاء

- ١-رثاء الأبناء..
- ٢-رثاء الإخوة..
- ٣-رثاء الأزواج..
- ٤-رثاء الآباء..
- ٥-رثاء الأهل والعشيرة..

أولًا: رثاء الأبناء

أعرابية ترثى ابنها [١]

قيل لأعرابية مات ابنها: أحسن الله عزاءك! [٢]

قالت: إن فقدى إياه آمننى كل فقد سواه، وإن مصيبتى به هونت عليّ المصائب بعده، ثم أنشأت تقول:

١-مَن شاءَ بَعدَكَ فَلْيمتْ — فعليك كنتُ أحاذِرُ
٢-كنتَ السَّوادَ لناظِري — فعَمَى عليكَ الناظِرُ [٣]
٣-ليت المنازلَ والديا — رَ حفائرٌ ومقابِرُ
٤-إنى وغيرى لا مَحَا — لةَ حيثُ صِرْتَ لصائِرُ!

ويقول الشيباني: وها هى ذى امرأة من هُذيل هلك أهلها فى الطاعون [٤] ولم يبق إلا ابن وحيد فزوجته حتى إذا لم يبق إلا البناء [٥] أتاه أجله، فلما فرغوا من جهازه [٦] دُعيت لتوديعه، فأكبت عليه ساعة، ثم رفعت رأسها وقالت:

ألا تلكَ المَسَرةُ لا تدومُ — ولا يَبقَى على الدَّهْرِ النعيمُ
ولا يبقى على الحَدثَانِ عُفْرٌ — بشاهقةٍ له أمٌ رءومُ [٧]

ثم أكبت عليه أخرى فلم تقطع نحيبها [٨] حتى فاضت نفسها فدفنا جميعا!

ويقول خليفة بن خَياط:

---

(١) العقد الفريد- المراثي. ١، ٢، ٣ .

(٢) العَزَاء: الصبر على ما نابها.

(٣) السواد من العين: حدقتها.

(٤) الطاعون: داء ورميّ وبائي سببه مكروب يصيب الفئران، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى، وإلى الإنسان!

(٥) البناء: الدخول. يقال: بنى بزوجته وعليها: دخل بها.

(٦) جهازه: بفتح الجيم وكسرها: ما يحتاج إليه.

(٧) الحدَثان: حدَثَانُ الدهر: نوائبه وحوادثه. عفر: ظبى خالط بياضه حمرة فصار لونه كالعفر. فهو أعفر. وجمعه عُفْر. رءوم: تحب وليدها وتعطف عليه وتلزمه. والشاهقة: الجبال العالية.

(٨) نحيبها: بكاءها المعلن.

ما رأيت أشدّ كمدًا[١] من امرأة من شيبان قُتل ابنُها، وأبوها وزوجُها، وأمُّها، وعمتُها، وخالتُها مع الضحاك[٢] الحَرُورِي، فما رأيتها قط ضاحكة، ولا مبتسمة حتى فارقت الدنيا، وقالت تَرثيهم:

مَن لقلبٍ شفّه الحَزَنْ ولِنَفْسٍ ما لها سكَن[٣]
ظعنَ الأبرارُ فانقلبوا خيرُهم من مَعشَرٍ ظعنوا[٤]
معشرٍ قَضَوْا نحبَهم كُلُّ ما قدَّموا حَسَنُ[٥]
صبَروا عن السيوف فلم يَنكُلوا عنها، ولا جَبُنوا[٦]
فِتيةٌ باعوا نفوسَهُمُ لا وربِّ البيتِ ما غُبِنُوا[٧]
فأصاب القوم ما طلبوا مِنّةً ما بعدها مِنَنُ[٨]

السُّلَكَةُ أُمُّ السُّلَيْك

تنعى ولدها

كان السُّلَيْك بن السُّلَكة من « صعاليك العرب »[٩] العدّائين فى الجاهلية. وكان من أَدَلّ الناس بالأرض، وأعلمهم بمسالكها وأشدهم عدْوًا.

خرج ذات يوم هاربا من الطاعون، فبينما هو سائر إذ لدغته أفعى فمات فقالت أمه ترثيه:

١-طاف يبغى نَجْوَةً من هلاكٍ فهلك![١٠]
٢-ليت شِعرى ضَلَّةً أيُّ شيءٍ قتلك؟![١١]

---

(١) كمدا: حزنا شديدا.

(٢) زعيم الخوارج الحرورية. استولى على الكوفة واتخذها مركزا لرد هجمات مروان الثاني آخر الخلفاء الأمويين. قتله مروان فى نواحي ماردين.

(٣) شفه: أرَقّه. وذهب ببعضه.

(٤) ظعن: ارتحل.

(٥) قضوا نحبهم: النحب: الأجل، وقضى نحبه: مات.

(٦) ينكلوا: يجبنوا وينكُصوا.

(٧) ما غبنوا: ما نقصوا. لقد ربحوا .

(٨) المِنة- بكسر الميم- الإحسان والإنعام. وجمعها: منن.

(٩) صعاليك العرب: فُتَّاكها.

(١٠) النجوة: المرتفع من الأرض. ويقال: هو بنجوة من هذا الأمر: بعيد عنه بريء سالم.

(١١) ليت شعري: ليتني أعلم ما حدث لك. ضَلة: الضَّلة: الحيرة. ويقال: ذهب دمه ضِلةً- بكسر الضاد- يقال: ذهب دمه ضِلةً: هدرًا بلا ثأر.

٣-أمـريـضٌ لـم تُـعَـدْ أم عَـدُوٌّ خـتَـلـك؟![1]

٤-أم تَـوَلّـى بـك مـا غـالَ فـى الـدهـر السُّلَك؟![2]

٥-والـمـنـايـا رَصَـدٌ لـلـفـتـى حيـثُ سَـلَك[3]

٦-أيّ شـيءٍ حَـسَـنٍ لـلـفـتـى لـم يـكُ لـكْ؟!

٧-كـلُّ شـيءٍ قـاتـلٌ حـيـن تَـلـقَـى أجَـلَـك[4]

٨-طـال مـا قـد نـلـتَ فـي فـى غـيـرِ كـدٍّ أمـلَـكْ[5]

٩-إنَّ أمـرًا فـادحًـا عـن جـوابـى شـغَـلَـكْ![6]

١٠- سَـأُعَـزِّى الـنـفـسَ إذْ لـم تُـجـبْ مَـن سَـأَلَـكْ[7]

١١-لـيـت قـلـبـى سـاعـة صَـبْـرَهُ عـنـك مَـلَـكْ[8]

١٢-لـيـتَ نـفـسِـى قُـدِّمَـتْ لـلـمَـنـايَـا بـدَلَـك![9]

أم حكيم جويرية بنت قارظ
زوجة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب

ذبح الطاغية بُسر بن أرطاة[10] طفليها، وتركها ذاهلة اللُّب، تهيم فى كل وادٍ، وتبكيهما بأشعار محزنة ومن شعرها :

١-ألا يـا مَـن سَـبَـى الأخَـوَيْـن أمُّـهـمـا هـى الـثَّـكْـلَـى[11]

٢-تُـسَـائـلُ مَـنْ رَأَى ابـنـيـهـا وتَـسْـتَـسْـقـى فـمـا تُـسْـقَـى[12]

---

(١) ختلك: خدعك عن غفلة.

(٢) السُّلك: أبوه. وغاله: أصابه بشر.

(٣) رصد : بالمرصاد . والمنايا : جمع منية: الموت.

(٤) ،(٥) إذا دنا الأجل فكل شيء سم يقتل وكثيرًا ما نلت مقصدك من غير تعب.

(٦) ،(٧) الفادح: الأمر العظيم، والمعنى: إن الذي منعك عن جوابي أمر عظيم، وسأسلى النفس بالصبر إذا صار جوابي عليك من الممتنعات.

(٨) ،(٩) أتمنى أن يملك قلبي الصبر عنك ساعة، أو أن نفسي هي الهالكة دونك.

(١٠) بسر بن أرطاة (ت حوالي ٨٦هـ ، ٧٠٥م) قائد من رجال معاوية. وجّه به معاوية بعد التحكيم، وأمره أن يسير بالجيش فى البلاد، ويقتل من وجد من شيعة علي، فقتل الكثير من أتباع علي ﷺ وشيعته، وآل البيت. وقد ذبح بيده ولدين لعبيد الله بن العباس. وجُنّ فى أخريات عمره!!

(١١) سبى الأخوين: أسرهما. الثكلى: التى فقدت ولدها أو زوجها.

(١٢) تستقي الأخبار عن ولديها، فما يطفئ نارها أحد.

٣-فلما استيأست رجعت بِعَبْرَةٍ والِهِ حَرَّى[١]
٤-تُتَابِعُ بين وَلْوَلَةٍ وبين مدامعٍ تَتْرى[٢]

وتقول:

من دلّ والهة حرّى....!! [٣]

١-يا مَن أحسَّ بابنيّ اللَّذين هما
كالدُّرَّتين تَشَظّى عنهما الصَّدَف؟![٤]

٢-يا مَنْ أحسَّ بابنيّ اللذين هما
سَمْعِى وقلبي، فقلبى اليومَ مُزْدَهفُ![٥]

٣-يا مَنْ أحسَّ بابنيّ اللَّذين هما
مُخُّ العِظام فمُخى اليوم مُختطَفُ![٦]

٤-نُبِّئت بُسْرًا وما صَدَّقتُ مازعموا
من قولهم، ومن الإفك الذى اقترفوا[٧]

٥-أنحى على ودَجىْ طِفْلَيَّ مُرْهَفةً
مَشحوذةً، وكذاك الإثمُ يُقترف[٨]

٦-حتى لقيتُ رِجالًا من أرومته
شُمُّ الأنوفِ لهم فى قومهم شَرَفُ[٩]

٧-فالآن ألعن بُسْرًا حقَّ لَعْنَتِه
هذا لَعَمْرُ أبى بُسْرٍ هو السَّرف[١٠]

---

(١) الوالهة: من اشتد بها الحزن حتى كاد يفقدها عقلها. (٢) تترى: متابعة.

(٣) زوجة عبيد الله بن العباس وقد ذبح بسر بن أرطاة ولديها. وكان عبيد الله بن العباس عامل على بن أبى طالب على اليمن تزوج امرأة من بني الحارث بن كعب، وأنجب منها ولدين وأرسل معاوية قائده لإجلائه عنها.

(٤) يقال تشظى العود: تطاير قطعا. وتشظى الصدف عن اللؤلؤ: تشقق عنه.

(٥) مزدهف: مملوء بالعداوة على قاتلهما. معرض للهلاك مأخوذ. (٦) مخ الشيء: خياره.

(٧) بُسر: هو بُسر بن أرطاة قائد من رجال معاوية، وقد سبق التعريف به.

(٨) أنحى على ودجى: أقبل. والودج: عرق فى العنق يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة. وهما ودجان. مرهفة: رقيقة ويقال: سيف رهيف.

(٩) الأرومة: الأصل. شُم الأنوف: فيهم أنفة وإباء.

(١٠) السَّرَف: الضراوة بالشيء والوَلوع به فهو متعطش للدماء!

٨-مـن دَلّ والـهـة حَـرّى مُـوَلّـهـة
علـى حـبيبـيـن قـد أرْدَاهُـمَـا الـتـلـفُ![1]

أم عامر على قبر ابنها

وَقَفَتْ أعرابية على قبر ابنٍ لها يقال له : عامر ، فقالت :

١-أقـمْـتُ أبـكـيـه عـلـى قـبـره مَـن لـى مِـن بَـعـدِكَ يـا عـامـرُ؟!
٢-تـركـتـنـى فـى الـدار لـى وَحْـشَـةٌ قـد ذَلّ مـن لـيـس لـه نـاصِـرُ![2]

وقالت فيه:

١-هو الصبرُ والتسليمُ لله والرِّضا إذا نـزلَـتْ بـى خُـطّـةٌ لا أشـاؤهـا[3]
٢-إذا نـحـن أُبْـنَـا سـالـمـيـن بأنفُسٍ كِرام رجَتْ أمرًا فَخَابَ رَجاؤها[4]
٣-فأنفُسُنا خيرُ الـغـنـيـمـة إنـهـا تئوبُ، ويبقى ماؤها وحياؤها[5]
٤-ولا بِـرَّ إلا دُونَ مـا بَـرّ عـامِـرٌ ولـكـن نـفـسًـا لا يـدومُ بـقـاؤهـا
٥-هو ابنيَ أمْسَى أجْرُه لي وعزّني عـلـى نـفـسِـه ربٌّ إلـيـه ولاؤهـا[6]
٦-فإن أَحْتَسِبْ أُوجَرْ، وإن أبكِه أكُنْ كباكيةٍ لم يُحْيِ ميتًا بكاؤها[7]

أعرابية تندب ابنًا لها[8]

قالت أعرابية تندب ابنا لها:

أبُـنَـيَّ غـيَّـبَـك الـمَـحَـلُّ الـمُـلْـحَـدُ إمّا بَعُدْتَ فأين من لا يَبْعُدُ؟![9]
أنـت الـذى فـى كـل مُـمْـسَـىً لـيـلـةٍ تَبْلَى ، وحُزنك فى الحشى يتجدد

---

(١) المولهة: الوالدة فُرق بينها وبين ولديها. أرداهما: أهلكهما، وأسقطها. والتلف: الهلاك والعطب. ويقال: ذهبت نفسه تلفا: هدرا.
(٢) وقريب منه ما جاء في المثل: «ذل من لا سفيه له!».
(٣) الخُطة: الأمر، أو الحالة. لا أشاؤها: لا أريدها.
(٤) أُبنا: رجعنا.
(٥) ماء الوجه: رونقه.
(٦) عزني على نفسه: غلبني. ولاؤها: ملكها.
(٧) أحتسب: يقال: احتسب الأجر عند الله: ادخره. واحتسب ولده: صبر على وفاته مدخرا الأجر على صبره. أوجر: أثاب وأحصل على الأجر.
(٨) العقد الفريد. المجلد الثالث.
(٩) مكان اللحد والدفن.

وقالت فيه أيضا :

١-لئن كنت لهوًا للعيون وقُرَّةً لقد صرت سُقْمًا للقلوب الصَّحائِح[١]
٢-وهوّن حُزني أن يومك مُدركي وأنّي غدا من أهل تلك الضَّرائح[٢]

وقالت أعرابية أخرى ترثي ولدها[٣]

١-يا قَرحةَ القلبِ والأحشاءِ والكَبِد
يا ليتَ أُمَّك لم تَحْبَل ولم تَلِدِ[٤]
٢-لما رأيتُك قد أُدرِجتَ في كَفَنٍ
مُطَيَّبًا للمنايا آخِرَ الأبدِ
٣-أَيقَنتُ بعدَك أني غيرُ باقيةٍ
وكيف يبقى ذِراعٌ زال عن عَضُدِ؟![٥]

***

(١) الصحائح : السليمة.
(٢) الضرائح: جمع ضريح وهو القبر.
(٣) العقد الفريد المجلد الثالث.
(٤) القرحة: البثرة إذا دب فيها الفساد.
(٥) العضد: ما بين المرفق إلى الكتف.

ثانيًا : رثاء الإخوة

١- زينب بنت العوام القرشية الأسدية

أسلمت، وبقيت إلى أن قُتل ابنها عبد الله بن حكيم بن حزام يوم الجمل، فرثته، وذكرت أخاها الزبير بن العوام بأبيات منها :

١-قتلتم حَواريَّ النبيِّ وصِهرَه ... وصاحبه فاستبشروا بجحيم[١]

٢-وقد هدنى قتلُ ابن عفانَ[٢] قبله ... وجادت عليه عَبرتى بسَجُوم[٣]

٣-أعينيّ جُودا بالدموع وأَفْرِغا ... على رَجُلٍ طَلْقِ اليدين كَريم

٤-وقد كان عبدُ الله يدعى بحارث ... وذى خُلّةٍ مِنَّا، وحَمْلِ يتيم[٤]

٥-فكيف بنا، أم كيف بالدِّينِ بعدما ... أُصيب ابنُ أرْوى، وابنُ أمِّ حكيمِ؟!

٢- ميسون أخت المقصص الباهلية

هى من بنى الصَّمُوت شاعرة من شعراء الإسلام كانت أيام عبدالملك بن مَرْوان، وهى ترثى بهذه الأبيات أخاها المقصص حين قتله هلال أخو بنى سِمال بن عوف . وكان من حديثه أن المقصص أخا بنى الصموت خرج أيام فتنة ابن الزبير يأخذ الصدقات ممن يمر به من الناس حتى أتى « بنى قنفذ من بنى سليم »، فأخذ صدقاتهم، ثم بعث إلى « هلال » أن ابعث إليّ بابنتك! فقال هلال : إن كان تزويجا فليأتنا فإنه كفء، فقال : إنما أردت أن تُمشّطَ رءوسنا، وتتحدث معنا! فضرب هلال الرسول، فركب المقصص فى فرسان ثلاثة حتى هجم على الحي، فثاروا إليه، فناوشوه قليلا، وحمل المقصص على هلال، فخاف هلال أن يطعنه

---

(١) الحواريّ: الصاحب والناصر، وقد جاء في نهاية غريب الحديث لابن الأثير. الزبير ابن عمتي، وحواريّ من أمتي، أي خاصتي من أصحابي وناصري. وكان الزبير زوجا لأسماء أخت السيدة عائشة فهو صهر الرسول ﷺ وصاحبه.

(٢) سيدنا عثمان ﷺ .

(٣) بسَجُوم : بدمع غزير.

(٤) ابنها. والخُلّة: المحبة التي تخللت القلب، وأهل مودتها. واليتيم: من يعز نظيره.

وليس معه سلاح، فوجد أُثفية[١]، فاقتلعها ورماه بها فقتله، وانهزم أصحابه. فركب أولياء المقصص حين هدأت الفتنة إلى الحجاج، وذكروا أمر صاحبهم، فأهدر دمه، فقالت أخته الأبيات الآتية وكان مقتله بناحية «هضيب القليب» وهو موضع بنجد.

١- يا طولَ يومي بالقليب فلم تكد
شمسُ الظهيرة تُتَّقى بحجاب[٢]

٢- ومُرَجَّمٍ عنك الظنونَ رأيتَهُ
ورآك قبل تأمّلِ المرتاب[٣]

٣- فأفأت أُدْمًا كالهِضابِ وجامِلاً
قد عُذْنَ مثلَ علائفِ المقضاب[٤]

٤- لكُمُ المُقَصَّصُ لا لنا إن أنتمُ
لم يأتكم قومٌ ذَوُو أَحْسَابِ[٥]

٥- فكِهٌ إلى جَنْبِ الخِوانِ إذا غدت
نكباءُ تَقْلَعُ ثابتَ الأطنابِ[٦]

٦- وأبو اليتامى ينبتُون ببابه
نبتَ الفِراخ بكالئٍ مِعتَابِ[٧]

---

[١] الأثفية: إحدى أحجار ثلاثة توضع عليها القدر والجمع أثافي وأثافٍ.

[٢] القليب: اسم موضع. وتتقى: تحتجب. والمعنى: طال يومي بالقليب حتى ظننت أن شمسه ليس لها غروب!

[٣] ومُرَجّم: الواو.. واو رب، والمرجم من الرجم بالغيب، وهو التكلم بالظن وبغير علم.

[٤] أفأت: أي رجعت بالفيء وهو الغنيمة. والأدم من الظباء بيض تعلوهن جدد فيهن غبرة. ومن الإبل: البياض الواضح. والهضاب: جمع هضبة، وهي الجبل المنبسط. وجامل: جمع جمل. والعلائف: جمع علوفة وهي ما يسمن في البيوت. والمقضاب: المزرعة التي تنبت القضب. ومعنى البيتين: ورب رجل كذبته ظنونه فبلغه خبر غزوك فظن أنك بالبعد منه، فأغرت عليه قبل أن يتأمل ما شك فيه من أمرك، فأصبت من الفيء بإغارتك عليه ما أعطيت منه إبلا عظيمة سمينة.

[٥] المقصص: اسم المرثي. والمعنى: إن لم يأتكم قوم ذَوُو حسب يطلبون ثأر المقصص، فهو رجل منكم مهدور الدم لا منا.

[٦] الفكه: الحسن الخُلق الضحوك. والنكباء: ريح عادلة عن مهب الرياح المعروفة والخوان: ما يؤكل عليه الطعام. والأطناب: حبال الخيمة، والمعنى: أنه حسن الخلق ضحوك عند قربه من الخوان مع من يطعمهم من المحتاجين حين هبوب الريح التي تقلع أصول الخيام وتهلك الزرع، فينشأ عنها شدة الجدب.

[٧] ينبتون: يجتمعون. والفراخ: دود يكون في العشب. والكالئ: موضع الكلأ وهو العشب. والمعشاب: الكثير العشب. والمعنى: أنه كان ملجأ لليتامى، متفقدا لأحوالهم، فكانوا يجتمعون عند بابه كاجتماع الدود في العشب.

٣ ـ عمرة بنت مرداس
ترثي أخاها

هى أخت العباس بن مِرداس السّلمى. شاعرة مُجيدة مُقِلّة.. مخضرمة.. أمها الخنساء بنت عمرو الشاعرة! قالت:

١-أعيـنـيَّ لـم أَخْتِـلْـكُـمـا بِـخِـيـانـةٍ
أَبَـى الـدهـرُ والأيـامُ أن أَتـصَـبَّـرَا[١]

٢-ومـا كـنـت أخـشـى أن أكـونَ كـأنّـنـي
بـعـيـرٌ إذا يُـنـعَـى أُخَـيَّ تـحـسَّـرَا[٢]

٣-تـرى الـخـصـم زُوَرًا عـن أُخَـيَّ مـهـابـةً
ولـيـس الـجـلـيـسُ عـن أُخَـيّ بـأزوَرَا[٣]

٤ ـ أم الأغر بنت ربيعة
أخت كليب

قالت ترثي غرثانا أخا البراق، وتحرض بنى بكر على الأخذ بثأره!

ألا فـابـكـى أعـيـنـى لا تَـمَـلّـي ... فـلـى بـمـصـابـنـا أبـدًا عـويـلُ[٤]
فـلا سَـلِـمَـت عـشـيـرتُـنـا وعـادت ... إذا صُـرع ابـنُ روحـانَ الـنـبـيـلُ
إذا رُحْـتُـم وخَـلَّـفـتُـم هُـبِـلْـتُـم ... لـغـرثـانِ فـلا راحَ الـقـبـيـلُ[٥]
فَـرِحـتُـم بـالـغـنـائـم حـيـن رُحـتـم ... وبـان بـمـوتـه الـغُـنْـمُ الـجـلـيـلُ[٦]

---

(١) ختله: خدعه. والمعنى: يا عيني ما خدعتكما بخيانة، ولا حذرتكما من البكاء، وأنتما مدينان لي، وما رضيت الأيام مِنّى سلوا وتصبرا.

(٢) تحسر البعير: سقط تعبا. والمعنى أني كنت قبل هذه الرزية واثقة بصبري، إلى أن أُخبرت بموت أخي، فصرت كأني بعير حمل فوق الطاقة فسقط تعبا.

(٣) الزور: جمع أزور، وهو المنحرف. والمعنى: أن أخي كانت خصماؤه منحرفة عنه لعظم هيبته، وجلساؤه فى أنس وحبور، فكأن هيبته مرارة على الأعداد، وحلاوة للأصدقاء.

(٤) العويل: رفع الصوت بالبكاء والصياح، وحرارة الحزن والحب من غير نداء ولا بكاء.

(٥) هُبِلْتُم. ثكلتكم أمهاتكم.

(٦) بان: بعد.

تـركـتـم ذا الـحـفـاظ وذا الـسـرايـا   وراءكـم أضـلـكـم الـدلـيـل[1]
فـقـل لـنـويـرةٍ وكـلـيـبَ مَـهـلاً   أقـيـمـا إن خِـزيـكـمـا طـويـل![2]

٥ - لامرأة من هذيل[3]
فى رثاء إخوة وابن

كانت امرأة من هُذَيل لها عشرة إخوة، وعشرة أعمام فهلكوا جميعا فى الطاعون، وكانت بِكرا لم تتزوج، فخطبها ابن عم لها فتزوجها، فلم تلبث أن اشتملت[4] على غلام، فولدته فنبت نباتا كأنما يمد بناصيته، وبلغ، فزوّجته، وأخذت فى جهازه[5]، حتى إذا لم يبق إلا البناء[6] بأهله، أتاه أجله، فلم تشقّ له جيبا[7]، ولم تدمع لها عين، فلما فرغوا من جهازه دعيت لتوديعه، فأكبت عليه ساعة، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه، وقالت:

١ -ألا تـــلـــك الـــمَـــسَـــرَّةُ لا تـــدومُ
ولا يـــبـــقـــى عـــلـــى الـــدهـــرِ الـــنـــعـــيـــمُ
٢ -ولا يـــبـــقـــى عـــلـــى الـــحَـــدَثـــان عُـــفْـــرٌ
بـــشـــاهـــقـــةٍ لـــه أُمٌ رَءُومُ[8]

ثم أكبت عليه أخرى، فلم تقطع نحيبها، حتى فاضت نفسُها، فدفنا جميعا.

---

(١) ذا الحفاظ: صاحب الذَّب عن المحارم، والمنع عند الحروب، والوفاء بالعقد. وذا السرايا: جمع سرية وهي القطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس إلى ثلثمائة. أو هي من الخيل نحو أربعمائة.
(٢) مهلا: رفقا لا تعجلا.
(٣) العقد الفريد المجلد الثالث.
(٤) اشتملت على غلام: حملت به.
(٥) جهازه: بفتح الجيم وكسرها: ما يحتاج إليه. يقال: جهاز العروس، والمسافر، والجيش، والميت.
(٦) يقال بنى بزوجته وعليها: دخل بها.
(٧) جيب القميص ونحوه: ما يدخل منه الرأس عند لبسه. وشق الجيوب على الميت عادة جاهلية أبطلها الإسلام. ولم تشق له جيبا: صبرت!
(٨) الحدثان: نوائب الدهر. والعُفر: الذكر من تيس الجبل. وهو جنس من المعز الجبلية. والحدثان الليل والنهار.

٦- أخت الوليد بن طريف[١]

قالت أخت الوليد بن طريف[٢] ترثى أخاها الوليد بن طريف :

١- أيا شجرَ الخابورِ ما لكَ مُورقًا
كأنك لم تجزَعْ على ابنِ طَريفِ؟![٣]

٢- فتًى لا يريد العِزَّ إلا من التقى
ولا المالَ إلا مِن قَنًا وسُيوفِ[٤]

٣- ولا الذُّخرَ! إلا من كُلِّ جرداءَ صِلْدِم
وكلِّ رقيقِ الشفْرتين حليفِ[٥]

٤- فقدناه فِقدانَ الربيعِ فليتَنا
فديناه من سَادَاتِنا بِأُلوفِ

٥- خفيفٌ على ظهر الجَوادِ إذا عَدَا
وليس على أعدائه بخفيفِ!

٦- عليك سلامُ الله وقفا فإنني
أرى الموتَ وقَّافًا لكلِّ شريفِ!

---

(١) هي الفارعة (أو فاطمة، وقيل: ليلى) بنت طريف بن الصلت التغلبية الشيبانية شاعرة من الفوارس، كانت تركب الخيل، وتقاتل وعليها الدرع والمغفر، وهي أخت الوليد بن طريف) الخارجي. اشتهرت بقصيدة لها فى رثائه، ومنها هذه الأبيات. وقال ابن خلكان: كانت تسلك سبيل الخنساء فى مراثيها لأخيها صخر.

(٢) العقد الفريد.

(٣) شجر الخابور: شجر له زهر زاهي المنظر، أصفر جيد الرائحة.

(٤) قنًا: رماح. والمراد: أنه مجاهد شريف.

(٥) الجرداء: القصيرة الشعر. والصلدم: الدابة القوية الحافر. ورقيق الشفرتين: السيف.

٧-الخنساء ترثى أخاها صخرًا!
السيدة تماضر الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية

هي: أرثى شواعر العرب، وأحزن من بكى وندب! كان أبوها عمرو، وأخواها معاوية وصخر سادات بنى سُلِيم من مضر، وكانت هى أجمل نساء زمانها، فخطبها «دُريد بن الصِّمة» فارس جُشَم، فرغِبَتَ عنه، وآثرت التزوج فى قومها، فتزوجت منهم. وكانت تقول المقطعات من الشعر، فلما قُتل شقيقها معاوية، ثم أخوها لأبيها صخر جزعت عليهما جزعا شَديدًا، وبكتهما بكاء مُرًّا. وكان أشدُّ وجدها على صخر، لأنه شاطرها هى وزوجها أمواله مرارًا فهاج حزنُها، الشِّعْرَ فى نفسها، فقالت المراثى المطولات، وفاقت النساء والرجال فيها. وأطالت عليهما البكاء والعويل حتى تقرحت مآقيها، وحتى ضرب بها المثل فى الحزن والبكاء وكثرة الرِّثاء!

إسلامها

وجاء الإسلام فوفدت مع قومها على النبى ﷺ وأسلمت، وكان يعجبه شعرها ويستنشدها، ويقول: هيه يا خَناسِ، ويومئ بيده!

وما فتئت تبكى صخرا قبل الإسلام وبعده، حتى عميت، وبقيت إلى أن شهدت حرب القادسية مع أولادها الأربعة، فأوصتهم وصيتها المشهورة، وحضتهم على الصبر عند الزحف فقتلوا جميعا! فقالت: «**الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم**»، ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها، وتوفيت بالبادية فى خلافة معاوية.

الخنساء ترثى أخاها صخرًا

١-ما هَاج حُزنَك؟ أَمْ بالعين عُوَّارُ أم ذَرَفَتْ أَنْ خَلَتْ مِنْ أهلها الدارُ(١)

٢-كأنّ عينى لذِكراهُ إذا خَطَرَتْ فيضٌ يَسِيل على الخدّين مِدْرارُ(٢)

---

(١) ما: استفهامية. والعُوّار- بضم العين- رمد العين. وذرّفت- براء مشددة-: قطرت قطرًا متتابعا. تقول: أي شيء هاج حزنك؟ أبك رمد؟ أم سكبت الدموع لخلو الدار من أهلها؟.

(٢) كأن عيني: أي دموع عيني. والفيض: الماء الكثير. والمِدرار: الغزير.

٣-تبكي لِصَخرٍ هي العَبْرى وقَدْ وَلِهَتْ ... ودُونَه من جَديدِ التُّرْب أستارُ[(١)]

٤-تبكي خَنَاسُ فما تنفَكّ ما عَمِرتْ ... لَهَا عليه رَنينٌ وهْيَ مِقْتَارُ[(٢)]

٥-تبكي خناس على صخر وحَقّ لَها ... إذ رابها الدهر، إن الدهرَ ضَرَّارُ[(٣)]

٦-لابد من مِيتةٍ في صَرْفِها غِيَرُ ... والدَّهْرُ في صَرْفه حول وأطوارُ[(٤)]

٧-يا صَخْرُ وَرّادَ مَاءٍ قد تناذَره ... أَهْلُ المواردِ ما في وِرْدِه عَارُ[(٥)]

٨-مَشْيَ السَّبنْتى إلى هيجاءَ مُضْلِعةٍ ... له سلاحان: أنيابٌ وأظفارُ[(٦)]

٩-فما عَجُولٌ على بَوٍّ تُطيفُ به ... لها حنينان: إصغارٌ وإكبارُ[(٧)]

١٠-تَرْتَعُ ما رتَعَتْ حَتّى إذا ادّكرتْ ... فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ[(٨)]

١١-لاتَسْمَنُ الدهرَ في أرضٍ وإن رُبِعَتْ ... فإنما هي تَحْنانٌ وتَسْجَارُ[(٩)]

١٢-يومًا بأوجَدَ مِنّي يومَ فارقني ... صَخْرٌ، وللدهرِ إحلاءٌ وإمرارُ[(١٠)]

١٣-وإنّ صَخْرًا لكافينا وسَيِّدُنا ... وإنّ صَخْرا إذا نَشْتُو لنَحّارُ[(١١)]

---

(١) الضمير في تبكي يعود على الخنساء. والعَبرى: التي لا تجف دموعها وعبراتها، والوله: شدة الجزع. والأستار هنا: الأحجار والتراب يهال على الميت. قولها: من جديد الترب يدل على قرب موته، وهذا يستلزم شدة جزعها عليه.

(٢) ما عمرت: أي مدة عمرها. والمِقتار: التي أصابتها فَتَرة: أي ضعف.

(٣) رابها الدهر: أي رأت منه ما تكرهه.

(٤) في صرفها: أي في حدوثها وتصرفها. وغِيَر الدهر: أحداثه وأحواله. والحَوْل: التحول والتقلب. والأطوار: الأحوال.

(٥) تَنَاذَره أهل الموارد:- بتاء مفتوحه- أي: أنذر بعضهم بعضا وخوّف بعضهم بعضا عاقبة وروده في ذلك الماء. تقول: وردت يا صخر حوض المنية (الموت)، وقد خافه كل وارد، على أنه ليس في وروده من عار، لأنه لا مفر منه.

(٦) السَّبِنْتَى: الجريء والنمر. والهيجاء: الحرب، والمضلعة: الشديدة.

(٧) العَجول- بفتح العين-: التي يموت ولدها من الإبل والنساء وهو صغير. والبَوُّ: جلد ولد الناقة محشوًّا يُدْنى منها فتَرْأَمُهُ. والإصغار في الحنين: خفض الصوت به. والإكبار رفعه. وتتمة الكلام في البيت الثاني عشر.

(٨) ترتَعُ: ترعى، أي أنها ترعى ما دامت ناسية ما أصاب ولدها حتى إذا ذكرته لم يقر لها قرار من شدة الحزن.

(٩) رُبعت- بضم الراء-: أصابها مطر الربيع. أي: تبقى هزيلة على مدى الأيام حتى لو كانت في أرض معشبة أصابها مطر الربيع لأنها دائما في حنين إلى ولدها. والتَّسْجَار- بفتح التاء-: مد الصوت بالحنين مِن سجر يسجر.

(١٠) بأوجدَ: خبر «ما عَجُول» قبل هذا البيت ببيتين.

(١١) نشتو: ندخل في الشتاء. وخصصته لأنه زمن الجدب والشدة.

١٤-وإن صَخرًا المقدامُ إذا ركبوا وإن صخرًا إذا جاعوا لعَقّارُ [١]

١٥-أغَرُّ أبْلَجُ تأتَمُّ الهُدَاةُ به كَأنه عَلَمٌ فى رأسِه نَارُ [٢]

١٦-جَلْد، جميلُ المحيّا، كاملٌ وَرِعٌ ولِلْحُروب- غداة الرَوْعِ- مِسْعَارُ [٣]

١٧-حَمّالُ ألوِيةٍ، هَبّاطُ أوديةٍ شَهّادُ أنْدِيةٍ، للجيش جَرّارُ [٤]

١٨-فبتُّ ساهرةً للنّجْمِ أرقُبُه حَتّى أتى دون غَوْرِ النَّجم أستارُ [٥]

١٩-لِيَبْكِه مُقْتِرٌ أفْنَى حَرِيبتَه دَهْرٌ، وحَالَفه بؤسٌ وإقتارُ [٦]

٢٠-ورُفقةٌ حار هاديهم بمَهلَكةٍ كَأنّ ظُلْمتَها فى الطُّخْية القارُ [٧]

٢١-لا يمنع القومَ إن سألوه خِلْعَتَه ولا يجاوزه بالليل مُرّارُ [٨]

ألا يا صخر

ومن قولها ترثى أخاها صخرا:

١-ألا يا صخرُ إن أبكيتَ عيني
فقد أضحكتنى زمنًا طويلاً

٢-دفعتُ بكَ الخُطوبَ وأنت حَيٌّ
فمن ذا يَدْفَعُ الخَطْبَ الجليلا! [٩]

---

(١) نَحّار: كثير عقر الإبل ونحرها للضيفان.

(٢) الأغرّ: الكريم الفِعال والشريف. والأبلج: البعيد ما بين الحاجبين. وهذا مما يمدح به الرجل. والعَلَم:- بفتح العين واللام-: الجبل. تصفه بأنه هادي الهداة، وأنه فى الشهرة والظهور أوفى هداية الناس إلى الشرف والمجد كالجبل فى قمته نار.

(٣) الجَلْد: الشديد القوىّ. والورع: المجتنب لما لا يعنيه. وفى رواية: «ذرع»، والذَّرِع: الحسن العشرة. والرَّوع:- بفتح الراء- الخوف والحرب. ومِسْعار: أي موقد نار الحرب.

(٤) تصفه بالشجاعة والسيادة، فهو حامل اللواء فى الحرب، وهو لا يعتصم بالجبال خوفا بل يهبط الوديان للقتال، ثم إنه حكيم راجح الرأي يشهد أندية العقلاء من القبيلة وأصحاب الرأي فيها.

(٥) الغور: غروب النجم وسقوطه. وتريد بالنجم الثاني صخرا، أي: حتى عجلت ظلمات القبور فغيبت صخرا دون أن يبلغ من الحياة أمدَ أمثاله.

(٦) مُقتِر: -بضم الميم وسكون القاف وكسر التاء- فقير. والحريبة: ما يعيش الإنسان به من المال.

(٧) المهلكة:- بفتح الميم واللام- مكان الهلاك. والطُّخية: بضم الطاء وسكون الخاء- الظلمة الشديدة.

(٨) المرارُ: بضم الميم وراء مشددة- جمع مارّ. أي لو سئل ثوبه ما منعه، ولا يمر به إنسان إلا أضافه.

(٩) الخطب: الأمر الشديد ينزل. وجمعه خطوب.

٣-إذا قَبُحَ البكاء على قتيلٍ
رأيتُ بكاءَك الحَسَنَ الجميلاَ

ومن جيد شعرها فى رثائه:

١-يذكّرُني طلوعُ الشمسِ صخرًا	وأذكره لكلِّ غُروب شمس
٢-فلولا كثرةُ الباكين حولي	على إخوانِهم لقتلتُ نفسي
٣-ولكن لا أزَالُ أرى عجُولاً	ونائحةَ تنوح ليوم نحسِ(١)
٤-هُمَا كِلتاهُمَا تبكى أخاها	عشيةَ رُزْئِه أوغِبّ أمسى(٢)
٥-وما يبكين مثل أخى ولكن	أُسَلِّى النفس عنه بالتأسّي(٣)
٦-فقد ودعت يوم فِراقِ صخرِ	أبى حَسّانَ لَذَّاتى وأُنسِي(٤)
٧-فيالَهفى عليه ولهف أُميّ	أيُصبحُ فى الضريح وفيه يُمسى؟!(٥)

بين عمر رضي الله عنه والخنساء فى حزنها:

قال الأصمعي: نظر عمر بن الخطاب إلى الخنساء، وبها نَدَب فى وجهها، فقال: ما هذه النُّدوب(٦) يا خنساء؟ قالت: من طول البكاء على أَخَوَيَّ! قال لها: أخواك فى النار! قالت: ذلك أطول لحزنى عليهما! إنى كنت أُشْفق عليهما من القتل، وأنا اليوم أبكى لهما من النار!، وأنشدت:

١-وقائلةٍ والنعشُ قد فاق خَطْوَها
لِتُدْرِكَه: يالهفَ نفسِى على صخرِ!!

---

(١) عَجُولاً: امرأة ثكلى.
(٢) الرزء: المصيبة. وغِب بمعنى: بعد.
(٣) التأسي: الاقتداء.
(٤) أبي حسان : كنية صخر.
(٥) اللهف: الحزن والأسى. ويقال: يا لهف فلان: كلمة يتحسر بها على ما فات. ويقال: يا لهفى عليه.
(٦) جمع ندَب بفتح الدال: أثر الجرح.

٢-ألا ثَكِلَتْ أم الذين غَدَوْا به
إلى القبر، ماذا يحملون إلى القبر؟![1]

- **بين عائشة رضى الله عنها والخنساء:**

دخلت خنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وعليها صَدَارٌ من شعر قد استشعرته[2] إلى جلدها، فقالت لها: ما هذا يا خنساء؟! فوالله لقد توفى رسول الله ﷺ فما لبسته! قالت: إن له معنًى دعاني إلى لباسه، وذلك أن أبى زوجنى سيد قومه، وكان رجلا مِتلافا، فأسرف فى ماله حتى أنفده، ثم رجع فى مالى حتى أنفده أيضا!

ثم التفت إليّ فقال: إلى أين يا خنساء؟! قلت: إلى أخى صخر. قالت: فأتيناه، فقسم ماله شطرين، ثم خيرنا فى أحسن الشطرين، فرجعنا من عنده، فلم يزل زوجي حتى أذهبَ جميعَه. ثم التفت إليّ، فقال لي: إلى أين يا خنساء؟ قلت: إلى أَخِي صخر. قالت: فرحلنا إليه، ثم قسم ماله شطرين، وخيرنا فى أفضل الشطرين، فقالت له زوجته: أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين؟! فقال:

١-وألا أمنحها شِرارها فلو هلكت قددت خِمارَها[3]
٢-واتخذت من شعَرٍ صَدارَها وهى حَصان قد كفتنى عَارَها[4]

فآليت أن لا يفارقَ الصَّدَار[5] جسدى ما بقيت!

- **الخنساء تصف أخويها صخرا ومعاوية:**

قيل للخنساء: صفى لنا أخويك، صخرا، ومعاوية، قالت: كان صخر- والله- جُنَّةُ[6] الزمان الأغبر، وزُعاف[7] الخميس الأحمر! وكان - والله- معاوية القائل والفاعل. قيل: لها: فأيهما كان أسنى وأفخر؟ قالت: أما صخر فحر الشتاء، وأما معاوية فبرد الهواء. قيل لها: فأيهما أوجع وأفجع؟ قالت: أما صخر فجمر الكبد، وأما معاوية فسَقام الجسد، وأنشأت تقول:

---

(١) ثكلت أمهم: فقدتهم. ويقال: ثكلته أمه: دعاء عليه بالهلاك.
(٢) استشعرته: لبسته شعارا. والشعار: ما ولى جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب.
(٣) قدد: مبالغة فى القد، وهو الشق طولا.
(٤) الحصان: المتزوجة العفيفة.
(٥) الصَّدار: ثوب يغطي به الصدر. (٦) الجُنة- بضم الجيم- كل ما وقى من سلاح وغيره.
(٧) الزّعاف: بضم الزاي: السريع القتل ويقال: سم زعاف: سريع القتل. والخميس: الجيش الجرار سمى بذلك لأنه خمس فرق (المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق).

١-أسدان محمرا المخالب نَجدةً بَحرانِ في الزمن الغَضُوب الأنمر[١]

٢-قمران في النادي رفيعا مَحْتَدٍ[٢] في المجد فرعا سُودَدٍ متخيرّ[٣]

وقالت ترثى أخاها صخرا:

١-ألا ما لِعَيني ألاما لَها لقد أخضَلَ الدمعُ سِربالَها[٤]

٢-أمِن بعد صخر من آل الشريـ ـد حلّت به الأرض أثقالها[٥]

٣-فآليتُ آسَى على هالكٍ وأسأل باكيةً ما لَها؟!

٤-وهَمَّت بنفس كلُّ الهموم فأولى لنفسيَ أولى لها![٦]

٥-سأحملُ نفسى على خطةٍ[٧] فإما عليها وإما لها!

هند بنت عتبة والخنساء

أقبلت الخنساء بنت عمرو بن الشريد من الموسم فوجدت الناس مجتمعين على « هند بنت عتبة بن ربيعة » وهى تُنشدهم مراثىَ أهل بيتها، فلما دنت منها قالت لها: على من تبكين؟! قالت: أبكى سادة مَضَوْا!! قالت: فأنشديني بعض ما قلت، فقالت هند:

١-أبكى عَميدَ الأبطَحين كِلَيهما
ومَانِعَها من كل باغٍ يُريدها[٨]

٢-أبِى عُتبةَ الخيراتِ ويحَكِ فاعلمي
وشيبةَ والحامى الذِّمارَ وليدها[٩]

---

(١) الذى لا يلقى إلا وهو غضبان. سيئ الخلق. (٢) المحتد: الأصل.

(٣) السودد: السيادة والمجد والشرف.

(٤) أخضل: ندى وبلل. وسربالها: أي جفنها. تريد العين.

(٥) حلت: من الحلية: زينت. والأثقال: أجساد بني آدم، أي أن الأرض زينت موتاها بهذا الرجل الشريف. وقيل: إن الأرض سقط بموته عنها ثقل، وكانت العرب تقول: الفارسُ الجواد ثقل على الأرض، فإذا قتل أو مات سقط به عنها ثقل.

(٦) يقال فى التهديد والوعيد: أولى لك: قد وليك، أي قاربك الشر.

(٧) فى الأغاني « آلةٍ » مكان « خطةٍ ». والخُطة: الأمر أو الحالة، وفى المثل: « جاء وفى رأسه خطة »: أمر قد عزم عليه.

(٨) الأبطح: المكان المتسع يمر به السيل، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار، ومنه أبطح مكة. وعميد الأبطحين: من يعتمد عليه. وما نعها: حاميها.

(٩) إنها تبكي أباها عتبة بن ربيعة، وعمها شيبة بن ربيعة، وأخاها الوليد.

٣-أولـئـك آلُ الـمـجـدِ مـن آلِ غـالـبٍ
وشـيـبَـةَ حـيـن يـنـمـى عَـديـدُهـا

وهنا قالت الخنساء:

١-أبـكـى أبـى عـمـرًا بـعـيـنِ غـزيـرةٍ
قـلـيـلٌ- إذا تُـغْـفِـى الـعـيـونُ- رُقـودُهـا

٢-وصـخـرًا ومَـن مـثـلُ صـخـرٍ إذا بـدا
بـسـاحـتـه الأبـطـالُ قَـبًّـا يـقـودهـا[١]

ثالثاً: رثاء الأزواج

١- قالت امرأة من بني الحارث ترثي زوجها[٢]

١-فـارس مـا غـادروه مُـلْـحَـمَـا   غـيـرَ زُمَّـيْـلٍ ولا نِـكْـسٍ ولا وَكِـلْ[٣]
٢-لـو يـشَـا طـار بـه ذو مَـيْـعَـةٍ   لاحـقُ الآطـالِ نـهْـدٌ ذو خُـصَـلْ[٤]
٣-غـيـر أن الـبـأسَ مـنـه شِـيـمَـةٌ   وصُـروف الـدهـرِ تـجـرى بـالأجَـلْ[٥]

٢- عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثي أزواجها!

كانت عند ابن أبى بكر الصديق ﵁ فأحبها حبا شديدا شغلته عن تجارته، فأمره أبوه فطلقها، وأشفق عليه أبوه لِمَا رأى عليه من الهم والحزن وأمره فراجعها، فلم تزل عنده

---

(١) وبكت الخنساء أباها وأخاها صخرا. والقب: رئيس القوم وسيدهم، والفحل من الناس.
(٢) حماسة أبى تمام- الرثاء.
(٣) «ما» من قولها: «ما غادروه» زائدة. والملحم: ما جعل لحمًا للسباع والطير. والزُّمَّيل: الضعيف. والنِّكس: المقصر عن غاية المجد والكرم. والوَكِل: الجبان الذي يتكل على غيره. والمعنى: أن الذي قُتِل فارس تُرِكَ في المعركة لَحمًا للطير مع كونه كان مِقدامًا ذا بأس، يقدم على الأمور بنفسه، غير ضعيف.
(٤) الميعة: نشاط الفرس. والأطل: الخاصر. ولاحقه: ضامره. والنهد: القوي. والخصلة - بالضم - لفيفة من شعر. والمعنى: أنه لو أراد النجاة لطار به فرس هذه صفاته، لكنه اختار الموت على الحياة.
(٥) المعنى: لا عيب فيه غير أنه جعل البأس شيمته، ولكن لا مخلص من الأجل ونوائب الدهر.

حتى قتل يوم الطائف، رُمى بسهم فمات، فجزعت عليه جزعا شديدا، وقالت ترثيه، وهى صحابية شاعرة فصيحة لها جمال وكمال فى عقلها ومنظرها، وجزالة فى رأيها:

١- آليتُ لا تنفكُّ عينى حزينةً ... عليكَ، ولا ينفكُّ جلدىَ أغبرا [١]

٢-فِللَّهِ عَينًا من رأى مثلَه فتًى ... أشدَّ، وأحمى فى الهِياج وأصبرَا [٢]

٣-إذا أُشْرِعَتْ فيه الأسنةُ خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمحَ أشقَرا [٣]

ثم خطبها عمر بن الخطاب فتزوجها، فمكثت عنده حتى قُتل عنها.. قتله أبو لؤلؤة، وقالت ترثيه:

١-عينُ جودى بعَبرةٍ ونَحيب ... لا تَمَلِّى على الأميرِ النجيب

٢- فجعتنى المَنُون بالفارس المُعْلَم ... يوم الهياج والتأتيب [٤]

٣-عصمةُ اللهِ والمعينُ على الدهـ ... ـرِ، غياثُ الملهوفِ والمكروب

٤-قُل لأهلِ البأساء والضُّرِّ: موتوا ... قد سقته المنون أمُّ الرّقوب [٥]

وقالت فى رثائه أيضا [٦]:

مَنْ لنفسٍ عادها أحزانُها ... ولعينٍ شَفَّها طولُ السَّهَدْ [٧]

جَسَدٌ لُفِّفَ فى أكفانِه ... رحمةُ الله على ذاك الجَسَدْ [٨]

فيه تفجيعٌ لِمَولًى غارمٍ ... لم يدَعْه اللهُ يمشى بِسَبَدْ [٩]

---

(١) آلى- حلف- والمعنى: أقسمت لا أترك البكاء عليك، ولا يمس جلدي ماء أغتسل به من الغبار حزنا على فقدك.

(٢) الهياج: الحرب، والمعنى أنه كان عديم المثال ومن العجيب رؤية فتى مثله أكثر منه كرا وحماية وصبرا على القتال.

(٣) إذا أشرعت فيه الأسنة، الضمير يرجع إلى الهياج، ويترك الموت أحمر: أي شديد. والمعنى أنه كان إذا أشرعت فى الحرب الأسنة إلى الفرسان خاضها، فلا يرجع حتى يترك الرمح شديدا، ويسفك دماء كثيرة.

(٤) التأتيب: من تأتب الرجل: جعل حمالة القوس على صدره، وأخرج منكبيه منها فتصير القوس على منكبيه، ويقال: تأتب قوسه على ظهره، والتأتب- على المجاز- لبس السلاح.

(٥) أم الرقوب: الداهية.

(٦) ديوان الحماسة ج١ .

(٧) عادها: جاءها وابتدأها. وشفها: أضربها ونقصها. والمعنى: من أستنجده لنفس نزلت بها الأحزان؟، ومن لعلاج عين أضربها، ونقصها طول السَّهر.

(٨) رحمة الله على ذاك الجسد. جملة دعائية اعتراض بين الأوصاف.

(٩) المولى: ابن العم هنا. والغارم: من لزمته الدية. والسّبد: الشيء القليل. ومعنى البيتين: رحم الله جسدا جهز بما يجهز به الموتى، وفجع به مواليه الذين كانوا يعيشون بخيره. وإذا لحق أحدهم غرم احتمله عنه حتى لم يُبق شيئا من ماله!

ثم تزوجها الزبير بن العوام، فمكثت عنده حتى قُتل عنها منصرفا من معركة الجمل، بواد السباع، قتله ابن جُرموز، فرثته وهي تقول:

١-غدر ابنُ جُرموزٍ بفارسِ بُهمَةٍ[(١)] يومَ اللقاءِ، وكان غيرُ مُعَرِّدِ[(٢)]

٢-يا عمرُو لو نبهتَه لوجدتَه لا طائشا، رُغبَ الجَنان، ولا اليد[(٣)]

٣-ثكلتك أمُّك أن قتلت لمسلما حلّت عليك عقوبةُ المُتعَمِّدِ

فخطبها على بن أبى طالب ﷺ فبعثت إليه: إنى لأضِنُّ بك عن القتل، وإنما استحيت فامتنعت، وقد تزوجت باثنين من بعد قولها:

آلَيتُ لا تنفك عينى سخينةً عليك ولا ينفك جلدى أغبرا!!

وكان ابن عمر ﷺ يقول: من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة!

٣- جارية على قبر زوجها[(٤)]

قال الأصمعي: دخلتُ بعضَ مقابر الأعراب، ومعى صاحب لي، فإذا جارية على قبر عليها من الحُلَل والحُلِيّ ما لم أر مثله: وهى تبكى بعين غزيرة!

فالتفت إلى صاحبى فقلت: هل رأيتَ أعجبَ من هذه؟ قال: لا والله، ولا أحسبنى أراه! ثم قلت لها: يا هذه؛ إنى أراك حزينة، وما عليك زيّ الحزن.

فأنشأت تقول:

فَإنْ تسألاني: فيمَ حُزْني؟ فإنني
رهينةُ هذا القبر يا فتيان![(٥)]
وإنى لأستحييه والتُّربُ بيننا
كما كنتُ أستحييه حين يراني[(٦)]

(١) البُهمة: الشجاع الذى يستبهم مأتاه على أقرانه.

(٢) المعرد: الذى يهرب، ويفر من الحرب.

(٣) الرغب: شدة النهم والحرص على الدنيا، الجنان: الفؤاد.

(٤) العقد الفريد.

(٥) رهينة هذا القبر: لا أبرحُه مشدودة إليه.

(٦) أستحييه: أخجل منه حيا وميتا، وأعمل له حسابا.

أهـابُـك إجـلالاً وإن كـنـتَ فـى الـثـرى
مـخـافـة يـومٍ إن يَـسُـؤْكَ لـسـانـي[1]

ثم اندفعت فى البكاء، وجعلت تقول:

يا صـاحـب الـقـبـر يـا مَـن كـان يـنـعـم بي
بـالاً، ويُـكـثـر فـى الـدنـيـا مـواسـاتـي[2]
قـد زُرْتُ قـبـرَك فـى حَـلْـيٍ وفـى حُـلَـلٍ
كـأنـنـى لـسـتُ مـن أهـلِ الـمُـصـيـبـات[3]
أردتُ آتـيـك فـيـمـا كُـنْـتُ أعـرفُـه
أن قـد تُـسَـرُّ بـه مـن بـعـضِ هـيـئـاتـي
فـمـن رآنـى رأى عَـبْـرةً مُـوَلّـهـةً
عَـجـيـبـةَ الـزّى تـبـكـى بـيـن أمـوات[4]

٤- ابنة عم النعمان بن بشير الأنصاري

تزوجها مالك بن عمرو الغساني، ثم قتل عنها فاحتُبِسَ كلامُها حولا!

فقال أهلها: زوجوها غيره لعلها تسلو وتُفيق! فزوجوها رجلا من أبناء الملوك، فلما كانت الليلة الأولى من بنائِه بها قالت:

١- يقول رجال: زَوِّجوها لَعَلّها تُفيقُ، وتَرْضى بعده بخليل[5]
٢- فأضمرتُ فى النفسِ الذى ليس بعده رجاءٌ لها، والصدقُ أفضلُ قيلِ[6]

---

(١) الثرى: التراب المبلل بالندى.
(٢) مواساتي: تسليتي ومشاطرتي أحزاني.
(٣) الحَلْى: الحُلِيّ. والحُلَل: جمع حُلة، وهي الثوب الجيد الجديد غليظا أو رقيقا، وثوب له بطانة، وثوبان من جنس واحد، وثلاثة أثواب، وقد تكون قميصا وإزارًا ورداء.
(٤) العبرة الدمعة. مولّهة: فرق الموت بينها وبين زوجها. والمولهة: شديدة الحزن حتى كاد يذهب بعقلها! والزي: الهيئة والمنظر. اللباس.
(٥) الخليل: الزوج.
(٦) أضمرت فى النفس الذى ليس بعده رجاءلها: وهو زوجها الذى فقدته. وعزمت عليه بقلبها وطوته على حبه والوفاء له.

٣-أبَعْدَ ابنِ عمروٍ سيّد القوم مالكٍ أُزَفُّ إلى زوجٍ بعَضْبٍ كليل؟[١]

٤-وخَبَّرني أصحابُه أن مالِكَا خَفيفٌ على العِلَّات غيرُ ثقيل[٢]

٥-وخَبَّرَني أصحابُه أنّ مالِكَا ضَرُوبٌ بماضي الشفرتين صَقِيلِ[٣]

٦-وخَبَّرني أصحابُه أن مالكَا جَوَادٌ بما في الرحْل غيرُ بخيلِ

٧-وخبَّرَني أصحابُه أن مالكَا ثوَى، وتنادَى صحبُه برحيل[٤]

٨-فما كان يشريني خليلي بخُلّةٍ وما كنت أشري مالكا بخليل![٥]

٥-فاطمة الخزاعية

جاء في الأمثال العربية: «**فلان يدفع ظالمَه بالراح**» أي: لا ناصر له!

وهذا مثل يضرب للذليل الذي ليست لديه قوة يدفع بها، فهو يدفع عن نفسه براحته، وليس له ناصر ينصره بالسلاح! وقالت فاطمة الخزاعية[٦] هذه الأبيات في الجرّاح زوجها:

يا عينُ بَكّي عند كلّ صباح

جُودي بأربعةٍ على الجرّاح[٧]

قد كنتَ لي جبلاً ألوذُ بظلّه

فتركتني أضحى بأجردَ ضاح[٨]

---

(١) بعضب كليل: بسيف غير قاطع.

(٢) العِلات: على كل حال.

(٣) ضروب: مبالغة من الضرب. وشفرة السيف حده. صقيل: مجلو والمراد أنه شديد القطع.

(٤) ثوى: أقام في القبر ودفن.

(٥) يشريني: يبيعني ويستغني عني، وخُلة الرجل زوجته. والخليل: الزوج، والصديق الخالص.

(٦) هي فاطمة بنت الأحجم الخزاعية كان أبوها أحد سادات العرب في الجاهلية. وهو زوج خالدة بنت هاشم ابن عبد المطلب. وفاطمة هذه تعد في الصحابة. وهذه الأبيات تمثلت بها السيدة فاطمة الزهراء أو عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يوم وفاة الرسول ﷺ.

(٧) بكّي: أكثري من البكاء عند كل صباح. تريد أن وقت نكايته في الأعداء كان في الصباح. فأرادت أن تجعل إزاء فعله حينئذ البكاء عليه في هذا الوقت. والمراد بالأربعة: آماق العين، وهي مجاري الدمع إلى العين وتريد بهذا الكثرة. والمعنى: يا عيني أكثري البكاء كل صباح على الجراح واستنزلي الدموع الكثيرة عليه.

(٨) الأجرد: الأملس، والضاحي: البارز للشمس. والمعنى: كنت لي ملجأ أعتصم به. والآن قد تركتني غرضا لسهام الأيام.

قد كنتُ ذات حَمِيَّةٍ ما عشتَ لي
أمشي البِرازَ وكنت أنت جناحي[١]
فاليوم أخضعُ لِلذَّليل وأتّقي
منه وأدفع ظالمي بالرَّاحِ[٢]
وأَغُضُّ مِن بَصَرِي وأعلمُ أنه
قد بان حَدُّ فوارسي ورماحي[٣]
وإذا دعت قمرية شجنًا لها
يومًا على فَنَنٍ دعوت صَبَاحِي[٤]

وقالت أيضا:

إخوتي لا تبعدوا أبدًا ... وبَلَى - والله- قد بَعِدوا[٥]
لو تَمَلَّتْهم عشيرتُهم ... لاقتناءِ العِزِّ أو وَلَدُوا[٦]
هان من بعض الرزيّةِ أو ... هان من بعض الذى أجِدُ[٧]
كلُّ ما حَيٍّ وإن أَمِروا ... واردُ الحوض الذى وردوا[٨]

---

(١) الحمية: الأنفة والعزة. والبراز: الفضاء، وجناحي: أي قوتي. والمعنى قد كنت فى حياتك صاحبة عزة وأنفة أقطع الفلاة الواسعة وحيدة لا أرهب أحدًا إذ كنت قوتي وحصني.

(٢) الراح: الكف. والمعنى: إني أصبحت اليوم ذليلة خاضعة لكل امرئ ولو ذليلا، خائفة ممن أرادني بسوء، ليس لي ما أدفع به ظالمي إلا كفى.

(٣) بان: انفصل- والمعنى أني أعرض عمن نالني بسوء لعلمي أن الذى كان قائدا للفوارس، وكان كحد الرمح فى الشدة والقوة انفصل عني.

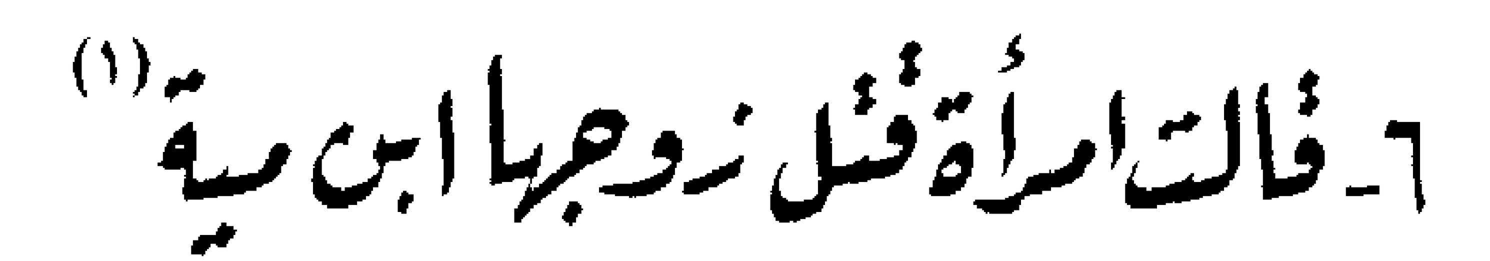
(٤) الشجن: الحزن. أو الحبيب. فعلى الأول يكون مفعولا له، وعلى الثاني مفعولا به. والفنن: الغصن الناعم. والمعنى: أني إذا سمعت نوح القُمرية حزنا على إلفها فوق الغصن ناديت: واسوء صباحاه!!

(٥) إخوتي: منادى. والمعنى: يا إخوتي لا أريد هلاككم طول الدهر ولكن الله قدر ضد مرادي.

(٦) تملتهم: تمتعت بهم زمنا طويلا.

(٧) هان: جواب لو. والرزية: المصيبة. ومعنى البيتين: لو تمتعت بهم عشيرتهم زمنا طويلا حتى حازت العز، أو خلفوا أولادا لخف بعض المصيبة، أو بعض ما أجده من الحزن.

(٨) ما: زائدة. وأمروا: أي عمروا، والضمير فيه يرجع إلى كل. والمعنى: كل الأحياء وإن عمروا طويلا لابد أن يردوا الحوض الذى ورده إخوتي.



٦- قالت امرأة قتل زوجها ابن مية [١]

لقد قتل زوجها فى جوار الزِّبرقان بن بدر فلم يطلب بثأره!

وقصة ذلك أن رجلا من بين عبد القيس يقال له: « ابن مية » كان جارا « للزِّبرقان بن بدر »، فقتله رجل من بنى عوف بن كعب، وهو فى جوار الزبرقان يقال له: هزال فى موضع يقال له: شبرمان، فأبطأ الزبرقان فى طلب ثأره، فقالت امرأته هذه الأبيات. فحلف الزبرقان ليقتلن هزالا، ثم سعت بنو سعد حتى أرضوه، ودفعوا دية ابن مية.

١- متى تَرِدُوا عُكاظَ توافقوها
بأسماءٍ مَجادِعُها قِصارُ [٢]

٢- أجيرانَ ابن مَيةَ خبروني
أعَينٌ لابن ميةَ أم ضِمارُ؟ [٣]

٣- تجلَّلَ خِزْيَها عوفُ بن كَعبٍ
فليس لخَلْفِها منه اعتذارُ [٤]

٤- فإنكم وما تُخفون منها
كذاتِ الشيب ليس لها خِمارُ [٥]

---

(١) حماسة أبى تمام.

(٢) عكاظ: اسم سوق كانت للعرب فى الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع فيها كل سنة يتفاخرون، ويحضرها شعراؤهم، ويتناشدون ما أحدثوه من الشعر. والمجادع: من جدعه إذا قطعه. تقول للذين لم يأخذوا ثأر زوجها: إذا حضرتم سوق عكاظ، ووافقتم أهلها تصاممتم لكثرة ما تسمعون من عيوبكم كأن أسماعكم مجدوعة.

(٣) ابن مية: اسم زوجها المقتول. والعين: النقد الحاضر. والضمار: الدين الذى لا يرجى قضاؤه- والمعنى: هل تستطيعون أن تدركوا ثأر زوجي، أو يذهب دمه هدرًا.

(٤) تجلل خِزْيَها: أي: لبسه. والخَلْف- بسكون اللام- أولاد السوء، ولا يستعمل إلا فى الذم. والمعنى: أن بني عوف هم الذين لبسوا مذلة هذه الخطة، وركبهم خزيها، ولا مخلص لبنيهم من ذلك الخزي الذى لحقهم.

(٥) فإنكم.. إلخ معناه: أنكم فى محاولتكم أن يخفى على الناس ما ركبكم من ذل هذه الخطيئة ومخازيها مثل امرأة شمطاء لا خِمار لها تغطي به شيبها، فالأمر أظهر من أن يكتم!

٧- العوراء بنت سبيع

تبكي زوجها عبدَالله وتصفه بما فيه فتقول:

١- أبكي لعبد الله إذْ حُشَّتْ قبلَ الصُّبْحِ نارُه[(١)]

٢- طيانَ طاوي الكشح لا يُرخَى لِمُظْلمةٍ إزارُه[(٢)]

٣- يَعْصِي البخيلَ إذا أرا دَ المجدَ مخلوعا عِذارُهُ[(٣)]

ترى بم وصفته؟

٨- امرأة من طيّئ غاب عنها زوجها ابن الأشد [(٤)]

قالت تصور ما هي فيه وتصف غائبها الذي خفيت عليها أخباره، وأبطأ رجوعه إليها:

١- تأوّب عيني نُصْبُها واكتئابُها
ورجّيتُ نفسا راثَ عنها إيابُها[(٥)]

٢- أُعَلّلُ نفسي بالمُرَجَّم غَيْبُه
وكاذبْتُها حتى أبانَ كِذابُها[(٦)]

---

(١) حُشّت: أوقدت. والمعنى: أني أبكي لفقد عبد الله حين أوقدت نار حربه قبل الصبح فقتل.

(٢) الطيان: أصله الجائع. فاستعير له طاوي الكشح، أي: مضمر البطن، ليس بضخم الجنبين. ويقال: رجل طوى كشحه: أي أعرض بوده. والمُظلمة: المرأة التى أظلم عليها الليل. والمعنى: أنه كان ضامر البطن معرضا عما لا يريد وُدّه، عفيفا. وكان من عادتهم فى الجاهلية أن الواحد منهم إذا طرق امرأة بالليل لفاحشة، وقضى منها مرادَه أرخى إزاره راجعا على أثر قدمه لئلا يخرج الأمر من حد الخَفَاء.

(٣) العِذارُ للفرس: اللجام. والمعنى: أن كان لا يطيع بخيلا على بخله إذا أراد المجد، ولا يبالي بقول عاذل كالفرس الذى خلع لجامه فلا يستطاع رده. انظر حماسة أبى تمام ج١ .

(٤) حماسة أبى تمام.

(٥) التأوّب: الرجوع. والنصب: التعب. والاكتئاب: الحزن. وراث: أبطأ. والإياب: الرجوع. والمعنى: توالى البكاء من عيني ورجع إليها تعبها وحزنها. وعلقت رجائي بنفس غائبة عني، وقد خفيت أخبارها علي، وأبطأ رجوعها إليّ.

(٦) علّله به: شغله. والغيب: الخبر. والترجيم: التكلم بلا علم. وأبان: ظهر. والمعنى: إني أشغل نفسي، وألاطفها بمن خبره يظن به الظنون تسكينا لها فلا زلت أعاملها بالكذب حتى ظهر الأمر.

٣-أَلَهفِى عليك ابنَ الأشدّ لبُهمةٍ
أفرَّ الكماةَ طعنُها وضِرابُها[1]
٤-متى يَدْعُهُ الداعى إليه فإنه
سميعٌ إذا الآذانُ صَمَّ جوابُها[2]
٥-هو الأبيضُ الوضّاحُ لو رُمِيَتْ بِه
ضواحِ من الريان زالت هضابُه[3]

٩ـ أسماء بنت أبي بكر[4]

قالت أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين ترثى زوجها الزبير بن العوام، وكان قتله عمرو ابن جرموز المجاشعى بوادى السباع، وهو منصرف من وقعة الجمل:

غدر ابن جُرموز بفارسِ بُهمة
يوم الهياج، وكان غير مُعَرِّدِ[5]
يا عمرُو لو نبهته لوجدته
لا طائشا رعنَ الجَنانِ ولا اليَدِ[6]
ثكلتك أُمُّك إن قتلتَ لَمُسْلِمًا
حَلّت عليك عقوبةُ المُتَعَمِّد[7]

---

(١) البهمة: الشجاع. وتأنيث الضمير فى البيت مراعاةٌ للفظ البهمة. أفرّ: طرد وجعلهم يفرون أمامه. والكماة: الشجعان. والمعنى: إني فى غاية التحسر عليك يابن الأشد لشجاعتك التى طردت بها الشجعان عن بعضهم بطعنك وضِرَابك.

(٢) المعنى: أنه كان إذا ناداه المستغيث إلى أن يدفع عنه ما هو فيه من الأمر النازل به فإنه يسرع بإجابته حين لا تصغى آذان غيره إلى الاستغاثة بل تصم.

(٣) تريد بالأبيض الوضاح: خلوص النسب، واشتهار الذكر، والضواحي: النواحي. والريان: جبل معروف. والهضاب: ما دون المرتفع من الجبال. والمعنى: أنه صافى النسب، مشهور الذكر لكرمه، وعفته، فلو رميت به نواحي الريان لزالت هضابها من أماكنها لشدة بأسه وهيبته.

(٤) العقد الفريد.

(٥) فارس بُهمة: شجاع يستبهم على قِرنه وجه غلبته. يوم الهياج: يوم الحرب. غير معرد: غير هارب.

(٦) الطائش: الأهوج أو الذى لا يصيب إذا رمى. وليس جبانا.

(٧) ثكلتك أمك: فقدتك. ما قتلت إلا مسلما عمدا، ومن قتل مسلما متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها.

١٠-لبانة بنت ريطة بن على

تزوجها محمد الأمين أخو المأمون . . وابن هارون الرشيد وولى عهده، وكانت من أجمل نساء زمانها، ولكنه قتل قبل أن يبنى بها، فقالت ترثيه :

١-أبكيكَ لا للنعيم والأُنسِ
بل لَلمعالى والرّمْحِ والفَرَسِ[١]

٢-أبكى على سيد فُجِعْت به
أرْمَلَنى قبل ليلة العُرس[٢]

٣-يا فارسًا بالعراء مُطَّرَحًا
خانته قُوادُه مع الحرسِ[٣]

٤-من للحروب التى تكون بها
إن أُضرِمَتْ نارُها بلا قَبَس؟![٤]

٥-من لليتامى إذا هم سَغَبُوا
وكلِّ عانٍ، وكل مُحْتَبَسِ؟![٥]

٦-أم مَن لِبرّ، أم مَنْ لفائدةٍ
أم مَنْ لذكرِ الإلهِ فى الغَلَسِ؟![٦]

---

(١) أبكيك لما فقدته من نعيم وأنس بموتك. . والمعالي: جمع مَعْلاة وهي الرفعة والشرف، والرمح والفرس دليل الفروسية والشجاعة القتالية.

(٢) أرملني: جعلني موته أرملة.

(٣) تشير إلى ما حدث بين الأمين والمأمون من خلاف على الحكم.

(٤) القبس: النار، أو شعلة منها.

(٥) سغَبوا: جاعوا مع تعب. والعاني: الذليل والأسير من يفك أسره؟! وكل محتبس: كل محبوس: تفرج عنه. . من لهؤلاء جميعا بعدك؟!

(٦) ومن للبر وعمل الخير والمعروف وإفادة الناس، وتحقيق مصالحهم وذكر الله فى ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح (الغلس). وكان النبي ﷺ يصلي بغلس. لقد فقدنا بفقدك المثل العليا والقيم النبيلة والدين والدنيا!



١١- أعرابية ترثي زوجها (١)

كُنّا كغصنين في جُرثومةٍ بَسَقا
حِينًا على خير ما تَنمِي به الشجرُ (٢)
حتى إذا قيل: قد طالت فُروعُها
وطاب قِنْواهما واستمطر الثمرُ (٣)
أخْنَى علَى وَاحدِي رَيبُ الزمانِ وما
يُبقي الزمانُ على شيءٍ ولا يذَرُ (٤)
كنا كأنجُمِ ليلٍ بينها قمرٌ
يجلو الدُّجَىٰ فهَوى مِن بينِها القمرُ (٥)

١٢- الرباب زوجة الحسين بن علي

رثته حين قتل بقولها:

١- إن الذي كان نورًا يستضاء به
بكَرْبلاءَ قتيلٌ غيرُ مَدْفونِ (٦)
٢- سِبطُ النبيِّ جزاك اللهُ صالحةً
عَنّا، وجُنِّبْتَ خُسْرَانَ الموازينِ (٧)
٣- قد كنت لي جبلاً صعبًا ألوذ به
وكنت تصحبنا بالرُّحم والدينِ (٨)

---

(١) العقد الفريد.

(٢) الجُرثومة: الأصل. بسقا: ارتفعا. ما تنمى: ما تزيد وتزدهر.

(٣) قِنْواهما: مثنى قِنْو وهو العِذْق بما فيه من الرطب. واستمطر الثمر: حان قطافه وطلب.

(٤) أختى عليه الدهر وريب الزمان: أهلكه وأتى عليه.

(٥) الدجى الظلام. هوى: سقط من علو إلى سفل وهلك.

(٦) كربلاء: مدينة في العراق استشهد فيها الحسين بن علي ﷺ وأهل بيته وأصحابه وفيها قبورهم.

(٧) سِبط النبي: بكسر السين وسكون الباء- ابن ابنته فاطمة الزهراء.

(٨) ألوذ به: أحتمي. الرُّحم: الرقة والعطف.

٤-مَن لليتامىٰ، ومَن للسائلينَ، ومَن
نعني، ويأوى إليه كلُّ مِسْكينِ؟![1]

٥-واللهِ لا أبتغى صِهرًا بِصِهْرِكُمُ
حتى أُغَيّبَ بين الرملِ والطينِ![2]

١٣-وقالت أم عمرو بنت وقدان

تحث قومها على الثأر لأخيهم:

١-إن أنتمُ لم تطلبوا بأخيكمُ فَذَرُوا السلاحَ وَوَحِّشُوا بالأبرَقِ[3]

٢-وخذوا المكاحِلَ والمجاسِدَ والْبَسُوا نُقُبَ النساءِ فلَبِئْسَ رهطُ المرهَقِ[4]

٣-ألهاكُم أن تطلبوا بأخيكم أكلُ الخَزيرِ ولَعْقُ أجردَ أمحقِ[5]

---

(١) نعني: نقصد، والاستفهام للتحسر.

(٢) الصهر: النسب. أغيب بين الرمل والطين: أُقبر.

(٣) ووحشوا: أي: كونوا مع الوحوش. والأبرق: الأرض التى بها طين ورمل. معناه: إن لم تأخذوا بثأر أخيكم فكونوا مع الوحوش بالأبرق، واتركوا حمل السلاح، لأنكم لا تغنون شيئا.

(٤) المكاحل: جمع مُكحلة. والمجاسد: جمع مجسد، وهو الثوب المصبوغ بالجساد، أي الزعفران. والنقب، جمع نقبة وهي ثوب كالإزار له معقد كالسراويل تلبسه المرأة. والمرهَق: المضيق عليه. والمعنى: إن لم تنتقموا من أعدائكم بأخذ ثأر أخيكم فتشبهوا بالنساء، فبئس القوم الضعفاء أنتم.

(٥) الخزير: الخزيرة، وهي شبه عصيدة فيها لحم، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. والأجرد: اللبن المنزوع عنه زبده. والأمحق: الممحوق. والمعنى: شغلكم عن إدراك ثأر أخيكم ما أنتم فيه من المأكل الذى لا فخر فيه، وإنما الفخر أن تطلبوا ثأر أخيكم.



رابعًا: رثاء الآباء

بنات عبد المطلب يرثينه

كان لعبد المطلب جد النبى ﷺ ست كلهن شواعر وهن:

١-أروى بنت عبد المطلب.

٢-أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب.

٣-أميمة بنت عبد المطلب.

٤-بَرّة بنت عبد المطلب.

٥-صفية بنت عبد المطلب. ٦-عاتكة بنت عبد المطلب.

وكانت عاتكة أنبهَهن صِيتًا لقوة شِعرها، ونُبل فخارها! وإليك نماذج من شعرهن جميعا فى الرثاء![1]

١- أروى بنت عبد المطلب

عاشت أروى إلى أيام عُمرَ رضي الله عنه، وقالت ترثى أباها (بطلب منه قبل وفاته).

١-بكَتْ عَينى وحُقَّ لها البكاءُ

على سَمْحٍ سجيتُه الحَياءُ[2]

٢-على سهلِ الخليقةِ أبطَحيٍّ

كريمِ الخِيم شيمتُه العَلاءُ[3]

---

(١) قال ابن هشام فى السيرة النبوية: ولم أر أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر إلا أنه لما رواه عن محمد ابن سعيد بن المسيِّب كتبْناه! السيرة النبوية ج١ ص١٥٩.

(٢) حق لها: ساغ لها. سمح: جواد سخي. سجيته: طبيعته وخلقه. الحياء: الاحتشام.

(٣) الخليقة: الطبيعة التى يخلق المرء عليها. الأبطح: المكان المتسع يمر به السيل، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار. ومنه أبطح مكة. وأبطحىّ: أي من قريش البطاح، وهم الذين ينزلون بين أخشبي مكة. والخِيم- بكسر الخاء- السجية والطبيعة والأصل. شيمته: خلقه. العَلاء: الرفعة والشرف.

٣-على الفَيّاضِ شيبةَ ذى المعاليَ
أبيكِ الخيرِ ليس له كِفاءُ[١]
٤-طويلِ الباعِ أبيضَ شَيظَميّ
أغرَّ كأن غُرَّته ضياءُ[٢]
٥-أَقَبِّ الكشحِ أروعَ ذِى فُضولِ
له المجدُ المقدمُ والثناءُ[٣]
٦-أبيِّ الضيمِ أبلجُ هِبْرزِيّ
قديم المجد ليس به خفاء[٤]
٧-ومَعْقِلِ مالك، وربيعِ فهد
وفيصلِها إذا الْتُمِس القضاءُ[٥]
٨-وكان هو الفتى كرما وجُودًا
وبأسًا حين تنسكب الدماء[٦]
٩-إذا هاب الكماةُ الموتَ حتى
كأن قلوب أكثرهم هَواءُ[٧]

---

(١) الفيّاض: كثير العطاء، شيبة: شيبة الحمد. ذي المعالي: صاحب الرفعة والشرف جمع مَعْلاة. أبيك الخير: يقال: لعمر أبيك الخير: ذي الخير. كِفاء: جمع كفء وهو المماثل، وليس له كفاء: لا مماثل له.

(٢) طويل الباع: طويل الجسم. وطويل الباع فى كذا: بلغ الغاية فيه. أبيض: نقي. شيظميّ: الشيظم: الأسد، والطويل، والطلق الوجه. والشيظمى: المِقول الفصيح أيضا. أغر: شريف سيد. والغرة بياض فى الجبهة. ووجه منير.

(٣) أقب الكشح: ما بين الخاصرة والضلوع. ويقال: قَبّ قبيا: دق خصره، وضمر بطنه فهو أقب. أروع: ذكى الفؤاد. ذو فضول: يتصف بالفضيلة. الثناء: المدح.

(٤) أبى الضّيم: لا يقبل الذل ولا يرضي به. أبلج الوجه: تنضر وجهه سرورا. هِبْرِزِي: جيد وكل شيء جميل وسيم فهو هِبرزي. ليس به خفاء: واضح ظاهر معروف.

(٥) معقل: ملجأ وحصن. وربيع فهد: هو لهم بمنزلة الربيع للأرض. فيصلها: الذى يفصل بين الحق والباطل وحاكمها وقاضيها. وفى رواية ابن هشام: وفاصلها.

(٦) تنسكب الدماء: يدور قتال. والبأس: الشدة.

(٧) الكماة: جمع كَمِيّ وهو البطل المدجج بالسلاح. كأن قلوب أكثرهم هواء: جبناء ولا قلب لهم. قلوبهم فارغة.

١٠-مضى قُدُما بذى رأى مصيب

عليه حين تُبصِرُه البَهَاءُ![1]

- **وقالت فى رثاء أبيها:**

١-عَينيّ جُودا بدَمْعٍ غيرِ مَمْنونِ

واهمِلا؛ إن دمعَ العين يَشْفِيني[2]

٢-إنى نسيتُ أبا أروى وذِكْرَتَهُ

من غير ما بِغضةٍ مِنّي ولا هُونِ[3]

٣-مازال أبيضَ مِكرامًا لِأُسرتِهِ

رحبَ المحاسِنِ فى خِصْبٍ وفى لِينِ[4]

٤-من آل عبد منافٍ إن مَهلكه

ولو لَقيتُ رغوبَ الدهرِ يعصيني[5]

٥-من الذين متى ما تغْشَ ناديَهم

تَلْقَ الخَضارِمَةَ الشُّمَّ العرانينِ[6]

---

(١) قدما: أقدَمَ فى شجاعة وجرأة. البهاء: الجمال. قال ابن إسحاق: فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيب، أنه أشار برأسه، وقد اعتقل لسانه: أن هكذا فابكينني!

(٢) غير ممنون: غير مقطوع. اهملا: اهملا واسكبا الدمع.

(٣) أبا أروى: عبد المطلب. وذِكرتَه: صِيتَه. بِغضة: بكسر الباء: مقت وكراهية. هون: هوان، ومهانة، ومذلة.

(٤) أبيض: نقي. مِكرامًا: كثير الكرم. رحب المحاسن: كثيرها.

(٥) مَهلكه: هلاكه وموته.

(٦) الخضارمة: جمع خِضرِم. وهو الكثير الواسع. كثيري الجود والعطاء والمعروف. الشم: جمع الأشم، وهو المترفع المتكبر، والعرانين: جمع عرنين وهو ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم. وشم العرانين: أباةٌ أعزة.

٢- أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب

• **قالت ترثى أباها « بطلب منه قبل وفاته »:**

١-ألا يا عينُ جُودى واستَهِلّى
وبَكّى ذا النَّدَى والمَكْرُماتِ[١]

٢-ألا يا عينُ ويحك أسعفيني
بدمعٍ من دموعٍ هاطلاتِ[٢]

٣-وبَكّى خيرَ مَن ركب المَطَايَا
أباكِ الخيرَ تيّارَ الفُراتِ[٣]

٤-طويلَ الباع شيبةَ ذا المعالي
كريمَ الخِيمِ محمودَ الهِباتِ[٤]

٥-وَصُولاً للقرابةِ هِبرزِيّا
وغيثًا فى السنين المُمْحِلات[٥]

٦-وليثًا حين تشتجرُ العَوالِي
تروقُ له عيونُ الناظراتِ[٦]

---

(١) جودي بالدموع واستهلّي: أريقي دمعك حتى يتساقط. بكّي ذا الندى: صاحب الجود والكرم. بكيه: اذكريه بما هو أهل له وقولي فى رثائه ما يستحقه من مدح. والمكرمات: جمع مكرمة وهي فعل الخير.

(٢) ويحك: كلمة ترحم وتوجع. الهاطلات: السائلات بالدموع.

(٣) وبَكّى: ابكيه وارثيه. المطايا: جمع مطية، وهي ما يمتطى.. كالخيل والجمال. وتركب الخيل للسباق.. وللحرب.. وللزينة والفروسية وكان أبوها خير من ركب المطايا فهو خير هؤلاء جميعا. أباك الخير: ذا الخير، أو أصله الخَيِّر بالتشديد فخففت، تيار الفرات: يشبه الفرات فى تدفقه بالجود والخير والعطاء. والفرات: العذب. والتيار: معظم الماء.

(٤) طويل الباع: بلغ الغاية فهو مثل أعلى. والخيم: السجية والطبيعة والأصل. محمود الهبات: يهب الجليل ويعطي الكثير. والهبات: جمع هبة وهي العطية الخالية من الأعواض والأغراض.

(٥) وَصولا للقرابة: يحسن إليهم ويعطف عليهم، ويرفق بهم. ويراعي أحوالهم. هِبرزيا- بكسر الهاء- مِقداما فى كل شيء أو هو الحاذق فى أموره، أو الوسيم الجميل. الممحلات: شديدة الجدب فهو لهم كالغيث والمطر يحيي الأرض بعد موتها.

(٦) ليثا: أسدا. تشتجر العوالي: تتداخل الرماح بعضها فى بعض. يقال: تشاجرت الرماح: اختلط بعضها ببعض عند اشتداد المعركة. تروق له: تصفو وتعجب به.

٧-عـقـيـلَ بَـنِـي كِـنـانـةَ والـمُـرَجّـى

إذا مـا الـدهـرُ أقـبـل بِـالـهَـنـاتِ[١]

٨-ومَــفْــزَعَــهـا إذا مـا هَـاجَ هَـيـجٌ

بـداهـيـةٍ، وخَـصْـمَ الـمُـعـضِـلاتِ[٢]

٩-فـبـكّـيـه ولا تَـسْـمِـي بـحُـزنِ

وبَـكّـي - مـا بـقـيـتِ - الـبـاكـيـاتِ[٣]

● وقالت بعد وفاته:

١-مـا لـلـديـار قـد أُفْـحِـمَـتْ   مـن ربِّـهـا مَـيْـتِ الـجَـلال[٤]

٢-مَـيْـتِ الـرَّزِيَّـةِ والـمـصـيـبـةِ   والـفـضـيـلـةِ والـفَـعَـال[٥]

٣-فـلـئـن هـلـكـتَ لَـتُـورِثَـنّ مِـن   خـيـر مـيـراث الـرجـال[٦]

٤-الـمـالُ والـمـجـدُ الـتـلـيـدُ   فُـضُـولُ صَـوْنٍ وابـتـذال[٧]

٥-الـعِـزّ والـزاد الـكـثـيـرُ   وإنْـسُـهـا كـمَـهَـا الـرّحـال[٨]

٦-الـتـارك الـمـالَ الـخـبـيـثَ   وبـاذلُ الـكـسـبِ الـحَـلال

---

(١) عقيل بنى كنانة: سيدها. والمرجي: موضع الرجاء والأمل، والهنات الدواهي جمع هَناة وهي الداهية! أو هي كناية عن القبيح جمع هنة.

(٢) مفزعها: تفزع إليها وتلجأ. هيج: ثورة لمشقة أو ضرر أو الحرب. يقال: هاج الشر، وهاجت الحرب. خَصْم المعضلات: لا تلبث أن تحل على يديه.

(٣) بكيه: ارثيه، وتحدثي عن أياديه. ولا تسمى: ولا تسأمي، فسهّل الهمزة.

(٤) أفحمت: سكتت وعجزت عن الجواب وعلاها الهم والحزن. وأفحمت: بكت حتى انقطع نفسها وصوتها. من ربها: وصاحبها وسيدها. الميْت: الذى فارق الحياة. الجلال: العظمة.

(٥) لقد كان موته. رزية ومصيبة، وموتا للفضيلة. والفَعال: الأعمال العظيمة.

(٦) بعد موتك ستترك لنا ميراثا عظيما من المجد.

(٧) التليد: القديم. الفُضول: جمع فضل وهو الإحسان ابتداء بلا علة.

(٨) يراد بالإنس: الصديق الصفى. والمها: البلورة.

٣- أُميمة بنت عبد المطلب

- **قالت ترثى أباها (بطلب منه قبل وفاته):**

١-أَلَا هلَك الراعى العشيرةَ ذو الفقدِ
وساقى الحَجيجِ، والمحامى عن المجدِ[(١)]

٢-ومن يَأْلَفُ الضيفُ الغريبُ بيوتَه
إذا ما سَمَاءُ الناسِ تَبْخَلُ بالرعدِ[(٢)]

٣-كسبتَ وليدًا خيرَ ما يكسِبُ الفتى
فلَمْ تَنفَكِكْ تزدادُ يا شيبةَ الحمدِ[(٣)]

٤-أبو الحارثِ الفياضُ خلَّى مكانَهُ
فلا تبعَدَنْ إذ كُلُّ حَيٍّ إلى بُعْدِ[(٤)]

٥-فإنى لَبَاكٍ ما بَقيتُ ومُوجَعٌ
وكان له أهلاً لِمَا كان من وَجْدي[(٥)]

٦-سقاه وليُّ الناسِ فى القبرِ مُمْطِرًا
فسوف أُبَكِّيه وإن كان فى اللحدِ[(٦)]

٧-فقد كان زينًا للعشيرة كلِّها
وكان حميدا حيثما كان من حَمْدِ

---

(١) هلك: مات. عشيرة الرجل: بنو أبيه الأقربون وقبيلته. والراعي العشيرة يرعاها ويتعهدها ومسئول عن حمايتها. ذو الفقد: الباذل المعطي.

(٢) تبخل بالرعد: لا تجود بالمطر فيكون جدب وقحط فلا يجد الناس إلا بيوته. وفى رواية: ومن يُؤْلف الضيفَ الغريب بيوته. أي يجعله يألفها.

(٣) منذ نشأتك وأنت تتحلى بالفضائل فلا تفتأ تزداد مع طول العمر يوما بعد يوم، وعاما بعد عام.

(٤) إذا كان مكانه قد خلا بموته، وتباعدت الأشباح والأجساد، فستظل الأرواح تتقارب. وفى رواية ابن هشام «فكل حي» بدل «إذْ كل حي».

(٥) الوجد: الحزن.

(٦) ولي الناس: ربهم. دعاء له بالسُّقيا.

٤- بَرّة بنت عبد المطلب

● **بكت أباها (بطلب منه قبل وفاته) بهذه الأبيات:**

١-أعـيـنـيّ جُـودا بـدمـعٍ دَرِرْ
عـلـى مـاجـدِ الـخِـيـمِ والـمُـعـتَـصَـرْ[١]

٢-عـلـى مـاجِـدِ الـجَـدّ وارِى الـزِّنـاد
جـمـيـلِ الـمُـحَـيَّـا عـظـيـمِ الـخَـطَـرْ[٢]

٣-عـلـى شيـبـةِ الـحـمـدِ ذى الـمُـكـرُمـات
وذى الـمـجـد والـعِـزّ والـمُـفْـتَـخَـر[٣]

٤-وذى الـحِـلْـم والـفـضـلِ فـى الـنـائـبـات
كـثـيـرِ الـمَـفـاخِـرِ جَـمِّ الـفَـخَـر[٤]

٥-لـه فـضـلُ مَـجْـدٍ عـلـى قـومِـه
مـنـيـرٌ يَـلُـوحُ كـضـوءِ الـقَـمَـرْ[٥]

٦-أتَـتْـه الـمـنـايـا فـلـم تُـشْـوِه
بـصَـرْفِ الـلـيـالـى ورَيْـبِ الـقَـدَرْ![٦]

---

(١) دَرِر: مدرار كثير الدر.. وكثير الدموع. والخِيم: السجية والطبيعة والأصل. والماجد: النبيل الشريف. ويقال: فلان منيع المعتصر: كريم المعتصر، أي منيع الملجأ كريم عند المسألة.

(٢) وارى الزناد: مستعد للخير حين يندب ونقيضه «كابى الزناد» وهو الذى يندب للخير فلا ينتدب. والمحيّا: الوجه. عظيم الخطر: رفيع القدْر والشأن.

(٣) ما يفتخر به من محاسن له ولقومه.

(٤) الفخر بسكون الخاء ويحرك كما هنا: التمدح بالخصال كالافتخار. وهي بالجيم كما فى ابن هشام: العطاء والكرم، والجود، والمعروف، والمال وكثرته.

(٥) فضل مجد: زيادة وتميز وتفرد.

(٦) المنايا: جمع منية: الموت. صرف الليالي: نوائبها وحِدْثانها. وصرف الدهر، وريبُ المنون وريب القدر: حوادث الدهره. فلم تشوِه: لم تبق شيئا منه.

٥- صفية بنت عبد المطلب

- **عمة النبى ﷺ ولها مواقفها فى الإسلام، قالت تفخر على قريش:**

١-ألا مَن مُبلغٌ عنى قريشًا ... ففيمَ الأمرُ فِينا والإمارُ؟![١]

٢-لنا السلفُ المقدّمُ قد علمتُم ... ولم توقد لنا بالغدر نار![٢]

٣-وكلّ مَناقِب الخيراتِ فينا ... وبعضُ الأمر مَنقَصةٌ وعار[٣]

- **وقالت تبكى أباها (قبيل وفاته) بطلب منه:**

١-أرِقتُ لصوتِ نائحةٍ بلَيلِ ... على رجلٍ بقارعة الصّعيدِ[٤]

٢-ففاضت عند ذلكُمُ دُموعي ... على خدى كَمُنحدِرِ الفريدِ[٥]

٣-على رجل كريم غيرِ وغْلِ ... له الفضلُ المُبينُ على العبيدِ[٦]

٤-على الفياضِ شيبةَ ذى المعالي ... أبيك الخيرِ وارثِ كلِّ جُودِ[٧]

٥-صَدوقٍ فى المواطنِ غيرِ نِكْسٍ ... ولا شَخْتِ المقام ولا سَنيدِ[٨]

٦-طويلِ الباعِ أروعَ شيظَمِيّ ... مُطاعٍ فى عشيرته حَميدِ[٩]

٧-رفيعِ البيتِ أبلجَ ذى فضولٍ ... وغيثِ الناسِ فى الزمنِ الجَرُودِ[١٠]

---

(١) الأمر: الحال والشأن. والإمار: الإمارة والولاية.

(٢) ولم توقد إلخ: يحافظون على العهد ولا يغدرون. أوفياء بعهودهم لا ينقضونها.

(٣) المناقب: جمع مَنقبة وهي الفعل الكريم والمفخرة. المنقصة: النقص. والعار: كل ما يلزم منه سبة أو عيب.

(٤) قارعة الطريق: وسطه. الصعيد: وجه الأرض والمرتفع منها.

(٥) الفريد: الحَبّ من فضة وغيرها يفصل بين حبات الذهب واللؤلؤ. فى العقد، الدّر.

(٦) غير وَغْل: غير ضعيف: نَذْل ساقط مقصر فى كل شيء. على العبيد: على الناس.

(٧) وارث كل جود: أصيل ماجد كريم. الخير: أرادت الخيِّر بالتشديد فخففت، ويجوز أن يكون الخير ضد الشر جعلته خيرا كله.

(٨) نِكس: ضعيف رَذْل مقصر عن غاية النجدة والكرم. شَخْت المقام: دنيّه. وسنيد: دَعيّ. والسنيد: الضعيف الذى لا يستقل برأي.

(٩) طويل الباع: بلغ الغاية، فهو مثل أعلى. والأروع: الذكي الفؤاد. شَيظَمى: الشيظم كحيدر: الطويل الجسم الفتى من الإبل والخيل والناس كالشيظميّ.

(١٠) رفيع البيت: ماجد. أبلج: مضيء مشرق ما بين الحاجبين وبين العارض والأذن، الجَرود. يقال: سنة جَرُود: مقحطة شديدة المَحْل. والحرود بالحاء: الناقة القليلة الدر. شبه الزمن فى جدبه بها.

٨-كـريم الـجَـدّ لـيس بـذي وُصُـوم يـروقُ عـلـى الـمسوَّدِ والـمَسُودِ[١]
٩-عـظـيـم الـحلـمِ من نـفـرٍ كـرامٍ خَـضَـارِمَـةٍ مَـلاوثَـةٍ أسَـودِ[٢]
١٠-فـلـو خُـلِّـدَ امـرؤ لـقـديـم مَـجْـدٍ ولـكـن لا سـبـيـلَ إلـى الـخُـلـودِ!
١١-لـكـان مـخـلَّـدا أخرى الـلـيـالي لفضلِ المجدِ والحسب التليدِ[٣]

• وقالت ترثى أخاها الحمزة :

١-أُسـائـلُ عـن أصـحـابِ أُحْـدٍ مـخـافـةً
بـنـاتِ أبـى مـن أَعْـجَـمٍ وخـبـيـرِ[٤]
٢-فـقـال الـخـبـيـرُ : إن حـمـزةَ قـد ثـوى
وزيـرَ رسـولِ الـلـهِ خـيـرَ وزيـرِ[٥]
٣-دعـاه إلـهُ الـحـقّ ذو الـعـرشِ دعـوةً
إلـى جَـنَّـةٍ يَـحْـيَـا بـهـا وسُـرورِ
٤-فـذلـك مـا كـنـا نُـرَجِّـى ونـرتَـجِـي
لـحـمـزةَ يـومَ الـحَـشـرِ خـيـرُ مَـصـيـرِ
٥-فـوالـلـهِ لا أنـسـاك مـا هـبّـتِ الـصَّـبـا
بُـكـاءً وحُـزْنًـا مَـحْـضَـرِى ومَـسِـيـرى[٦]
٦-عـلـى أسـدِ الـلـهِ الـذى كـان مِـدْرَهًـا
يـذود عـن الإسـلامِ كُـلّ كَـفُـورِ[٧]
٧-فـيـا لـيـتَ شِـلْـوِى عـنـد ذاك وأعـظُـمـي
لَـدَى أضـبُـعٍ تَـقْـتـاتُـنـى ونُـسـورِ[٨]

---

(١) وَصُوم: الوصم: العار، والعيب، والجمع: وُصوم. يروق على المسّود والمسود: يزيد عليهم فضلا.
(٢) خضارمة جمع خِضرِم وهو الجواد المِعطاء والسيد الحَمُول. ملاوثة: شرفاء.
(٣) التليد: القديم.
(٤) أعجم: غير فصيح، ويقابله الخبير، أي أسائل الجميع. (٥) ثوى: أقام واستقر.
(٦) الصّبا: ريح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار. محضري ومسيري: فى حالتى إقامتي وارتحالي.
(٧) مدرها : سيدا شريفا وزعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم، والمحامي.
(٨) الشلو: واحد الأشلاء. وهو العضو والقطعة من اللحم.

٨-أقول وقد أعلى النَّعِيُّ عَقيرتي
جزى اللهُ خيرًا من أخٍ ونَصيرِ ![1]

وقالت ترثي رسول الله ﷺ :

١-ألا يا رسولَ اللهِ كنتَ رجاءَنا
وكنتَ بنا بَرًّا ولم تكُ جافيا[2]

٢-وكنتَ رحيمًا هاديًا ومُعَلِّما
ليَبْكِ عليك اليومَ من كان باكيا

٣-فِدَى لرسولِ اللهِ أُمِّى وخالَتِي
وعَمِّي، وخالي، ثم نَفسى ومَالِيَا

٤-فلو أن ربَّ الناسِ أبقى نبيَّنَا
سَعِدْنا، ولكنْ أمرُه كان ماضيَا

٥-عليكَ من اللهِ السلامُ تحيةً
وأدخِلْتَ جَنَّاتٍ من العَدْنِ راضيا[3]

٦-عاتكة بنت عبد المطلب من فخرها!

« عكاظ » سوق كانت تجتمع فيه العرب كل عام للاتِّجار، وإنشادِ الشعر، وهذه الأبيات تتصل بحوادث عكاظ وما كان يدور على أرضها!

١-سائِلْ بنا فى قومنا ولْيَكْفِ من شَرٍّ سماعُهْ[4]
٢-قيسًا وما جمعوا لنا فى مَجمعٍ باقٍ شَناعُهْ[5]

---

(١) النَّعِيُّ: المخبر بالموت. والعقيرة: الصوت.
(٢) ولم تك جافيا: غليظا. وصدق الله ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].
(٣) جنات عدن: جنات إقامة لمكان الخلد فيها.
(٤) « وليكف من شر سماعُه » هذا مثل. ويراد بالشر هنا الحرب. أي: أن الحديث عن الحرب وما تجره من أهوال يغني عن مشاهدتها!
(٥) شناعه: قبحه.

٣-فـيـه الـسَّـنَـوَّرُ والـقَـنـا والـكـبـش مُـلْـتَـمِـعٌ قِـنـاعُـه[١]

٤-بـعـكـاظ يُـعْـشِـى الـنـا ظريـن إذا هُـمُ لـمحـوا شعـاعُـه[٢]

٥-فـيـه قـتـلـنـا مـالـكـا قَـسْـرًا وأسـلـمـه رَعَـاعُـه[٣]

٦-ومُـجَـدّلاً غـادرتـه بـالـقـاعِ تـنـهـشُـه ضِـبَـاعُـه[٤]

• وقالت ترثى أباها قبيل وفاته:

١-أعـيـنـيّ جُـودَا ولا تـبـخَـلا بـدَمْـعِـكُـمـا بـعـد نـوم الـنّـيَـام[٥]

٢-أعـيـنـيّ واسـتَـعْـبِـرَا واسـكُـبـا وشُـوبـا بـكـاءَ كُـمـا بـالْـتـدام[٦]

٣-أعـيـنـيّ واسـتـخـرطـا واسـجـعـا عـلـى رجـل غـيـر نِـكْـس كَـهَـام[٧]

٤-على الجَحْفَل الغَمْرِ فى النائبات كـريـم الـمـسـاعـى وفـيّ الـذّمـام[٨]

٥-على شيبةِ الحمدِ وارى الزنادِ وذى مَصْدَق بَعْدُ ثَبْت المقام[٩]

٦-وسيفٍ لدى الحرب صِمصَامَةٍ ومُرْدِى المُخاصِم عند الخِصام[١٠]

٧-وسهلِ الخليقة طَلْقِ اليدين وَفِـى عُـدُمْـلِـيّ ضَـمـيـم لُـهـام[١١]

٨-تـبـنّـك فـى بـاذِخٍ بـيـتُـه رفـيـعُ الـذُّؤابـةِ صـعـب الـمـرام[١٢]

---

(١) السَّنَوَّر: الدِّرع. والقَنا: الرماح. الكبش: رئيس الجيش. القناع: بَيض الحديد التى تلبس على الرأس.

(٢) عكاظ: سوق كانت تجتمع فيه العرب كل عام للاتجار وإنشاد الشعر والمفاخرة. ومثلها مجنة وذو المجاز.

(٣) القَسْر: القهر. الرَّعاع: سِفلة الناس.

(٤) المجدّل: المطروح على الجدالة وهي الأرض. والقاع: ما استوى من الأرض. النهش: انتزاع اللحم بالأسنان.

(٥) ابكيا، ولا تذوقا للنوم طعما. والهمزة للنداء.

(٦) استعبر فلان: جرت دمعته: ويقال: استعبرت عينه. واسكبا دموعكما. وشوبا: امزجا. بالتدام: بضرب الصدر والوجه. مما حرمه الإسلام بعد.

(٧) استخرطا: لجّا فيه واشتدا. واسجعا: رددا الصوت. غير نِكس: ليس ضعيفا رذلا مقصرا عن غاية النجدة والكرم. وليس كهاما: غير بطيء عن الحرب والنصرة. والكهام: الكليل المسن.

(٨) الجحفل: الجيش الكثير. الغمر فى النائبات: كثير المعروف سخي. وفيّ العهد والأمان والكفالة.

(٩) وارى الزناد: مستعد دائما فى خدمة من يطلبه. ويقال: شجاع ذو مصدَق- كمنبر- صادق الحملة صادق الجري. والثَّبْت: الشجاع. ويقال: هو ثبت المقام: بعيد المرام.

(١٠) صَمصامة: مُصَمّم، والصّمصام: السيف الذى لا ينثني كالصَّمصامة. ومُردى: مهلك. المخاصم: الخَصْم.

(١١) سهل: مائل إلى اللين. والخليقة: الطبيعة التى يخلق المرء عليها. طلق اليدين: سخيّ كريم سمح، وفى: أصلها وفيّ وخففت ياؤها للوزن. العُدُمليّ: مضمومة العين- كل مُسِنٍّ قديم. لُهام كغراب: كثير الخير، ضميم: محض. لُهام: عظيم

(١٢) تبنّك فى عزه: تمكن. باذخ: عال. الذؤابة: من كل شيء: أعلاه. ويقال فلان ذؤابة قومه: شريفهم والمقدم فيهم. المرام: المطلب، ويقال: هو ثبت المقام، بعيد المرام.

أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق رثَتْ أباها بقولها:

إنّ مـاءَ الـجُـفـونِ يَـنْـزَحُـه الـهَـمّ
وتـبـقـى الـهـمُـومُ والأحـزانُ [١]
لـيـسَ يَـأسُـو جَـوَى الـمُـرزّأ مَـاءٌ
سَـفَـحَـتْـه الـشُّـئُـون والأَجْـفَـانُ [٢]

٧- قتيلة بنت النضر بن الحارث [٣]

كان النضرُ مع قريش على الرسول ﷺ فى غزوة بدر فأمر الرسول ﷺ بقتله، فقالت قُتَيْلة بنت النضر ترثيه:

١-يـا راكـبًـا إن الأُثَـيْـلَ مَـظِـنَّـةٌ　　مِنْ صُبْحِ خامسةٍ وأَنْتَ مُوَفَّقُ [٤]
٢-أبْـلِـغْ بِـهَـا مَـيْـتًـا بـأنّ تَـحِـيّـةً　　مَا إنْ تَزَالُ بِهَا النجَائِبُ تَخْفِقُ [٥]
٣-مِـنّـى إلـيـكَ، وعَـبْـرَةً مَـسْـفُـوحـةً　　جَادَتْ بواكِفِها، وأخرى تَخْنُقُ [٦]
٤-هَلْ يَسْمَعَنّي النَّضْرُ إن ناديتُه　　أَمْ كيفَ يسمع ميت لا ينطِقُ [٧]
٥-أمُحَمَّدٌ يا خيرَ ضِنْءٍ كريمةٍ　　فى قومها، والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ [٨]

---

(١) الهم: الحزن. ينزحه الهم: يجعله يقل أو ينفد. وتبقى الهموم والأحزان فى القلب.

(٢) يأسو: يداوي ويعالج. جوى المرزأ: اشتداد وجده المرزأ: المصاب بالرّزايا فى خياره وأماثله. الشئون: جمع شأن. وشئون العين: مجاريها الدمعية.

(٣) قال ابن إسحاق صاحب المغازي: لما نزل رسول الله ﷺ «الصفراء»، - وقال ابن هشام: «الأثيل» - أمر علي بن أبى طالب بضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبرا بين يدي رسول الله ﷺ فقالت أخته قتيلة بنت الحارث ترثيه. وفى المؤرخين من يقول: إنها بنت النضر. وهي من قريش فى الطبقة الأولى. كان يقول: أنا أحسن من محمد حديثا.

(٤) يبدو شعر قتيلة على قوته أكرم شعر موتور وأعفه وأسلمه؛ وإليك معاني المفردات لتكون أقدر على فهم ما أرادت قوله: الأُثيل: بضم الهمزة موضع فيه قبر النضر. تقول: إن الأثيل يظن أن تبلغه فى صبح الليلة الخامسة، إذا وفقت ولم يمنعك عائق.

(٥) النجائب: جمع نجيبة، وهي جياد الإبل. وخفقان النجائب شدة اهتزازها. وإن زائدة.

(٦) مني: متعلق بأبلغ فى البيت السابق، أي أبلغ تحية مني إليك، والمسفوحة: المصبوبة. أي بلغه مني رسالة، واذكر له عبرة على فقده سالت، وعبرة أخرى جمدت، وأخذ حزنها بالحلق فخنقه.

(٧) أم هنا للإضراب بمعنى بل، أي: بل كيف يسمع إلخ.

(٨) الضنء: الأصل، والولد. والكريمة: النجيبة، والمعرق: من له أصول راسخة فى الكرم. والمعنى: أن أمك شريفة وأباك عريق فى المجد.

٦-ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ؟ ورُبَّما مَنَّ الفَتَى، وهوَ المَغِيظُ المحْنَقُ [(١)]

٧-أوْ كُنتَ قابلَ فِدْيةٍ فَلْيُنْفِقَنْ بأعَزِّ ما يَغْلُو به ما يُنفِقُ [(٢)]

٨-فالنضر أقربُ من أسَرْتَ قرابةً وأحقهم إن كان عِتق يُعْتَقُ [(٣)]

٩-ظَلّت سُيوف بنى أبيه تَنُوشُهُ لِلّهِ أرحامٌ هُناكَ تشقَّقُ [(٤)]

١٠-صَبْرًا يقادُ إلى المَنيةِ مُتعبًا رسْفَ المقَيّد وهوَ عانٍ مُوثَقُ [(٥)]

خامسا: رثاء الأهل والعشيرة

١- أمامة العدوانية

بنت ذى الإصبع العَدوانى الشاعر الفارس المشهور قالت تبكى قومها:

كم مِن فَتَى كانت له مَيعَةٌ أبلَجَ مثلِ القمرِ الزاهرِ [(٦)]

قد مَرّتِ الخيلُ بحافاتِهم مَرَّ الحَيَا بالجَبَلِ العاطر [(٧)]

قد لَقِيَتْ فهمٌ وعدوانُها قتلاً وهُلْكا آخِرَ الغابرِ [(٨)]

كانوا ملوكا سادةً فى الورى دهرًا لها الفخر على الفاخِرِ [(٩)]

---

(١) إذا كنت كذلك فما كان ضرك لو مننت عليه وأطلقت سراحه ولم تقتله، فقد يعفو الكريم، وهو منطو على الغيظ والحنق.

(٢) أي: وما ضرك لو قبلت فدية، فإنك إن فعلت أنفقنا لفديته أعز وأغلى ما نملك.

(٣) كان تامة، أي وأحقهم بأن يعتق إن حصل منك عتق وفكاك.

(٤) تنوشه: تتناوله. ولله أرحام!: تعجب، أي: لم يقتله أحد غير بني أبيه، فعجبا من أرحام يقطعها أصحابها!

(٥) صبرا: أي حبسا حتى يقتل. والمعنى: أنه يقاد إلى الموت بعد الحبس وهو متعب يرسف رسف المقيد، أي: وهو أسير موثق.

(٦) مَيْعة- على وزن ضيعة- ميعة الشباب أوله. أبلج: مسفر منير. الزاهر: المتلألئ الحسن اللون.

(٧) حفاف الشيء: ما استدار حوله وأحدق به. الحيا: المطر. العاطر: طيب الريح.

(٨) فهم أبو حي. هُلكا؛ بضم الهاء: موتا. آخر الغابر: الباقي والماضي. وغابر بني فلان بقيتهم.

(٩) الورى: الخلق.

حتى تَسَاقَوْا كاسَهم بينَهم بَغْيا فيَا لَلشّارِب الخاسر![1]
بادوا فمن يحلُلْ بأوطانهم يَحْلُل برسمِ مُقفرٍ داثر[2]

٢-عاصيةُ البولانية

قتل بنو محارب من قومها الكثيرين مع ذلهم وضعفهم فآلمها أن تكون هزيمة قومها على يد هؤلاء اللئام؛ فقالت:

١-أعاصِيَ جودي بالدموع السَّواكبِ
وبكِّي -لك الويلاتُ- قتلى مُحارِب![3]
٢-فلو أن قومي قَتَّلَتْهم عِمارَةٌ
من السَّرَوَاتِ، والرُّءوسِ الذوائِب[4]
٣-صَبَرْنا لما يأتي به الدهر عامدًا
ولكنما أثآرُنا في مُحَارِبِ[5]
٤-قَبِيلٌ لِئَامٌ إن ظَهَرْنَا عليهمُ
وإن يغلبونا يوجدوا شر غالبِ[6]

---

(١) تساقوا كأسهم بينهم: عدا بعضهم على بعض. فيا للشارب الخاسر.. تعجب ممن شربوا كأس الموت وسقاه بعضهم بعضا.

(٢) بادوا: هلكوا. داثر: زائل.

(٣) أعاصيَ: الهمزة للنداء. وعاصيَ منادى مرخم عاصية، ومحارب: قبيلة. والمعنى: لا تبخلي يا عاصية بانصباب الدموع من عينيك، والبكاء على من قتله بنو محارب!

(٤) العِمارة: الحي العظيم يحمي نفسه، وينفرد عن غيره، والسروات: الرؤساء، والذوائب: الأعالي- والمعنى: لو كان الذين قتلوا قومي من الأشراف والرؤساء لكنت لزمت الصبر.

(٥) صبرنا جواب لو فى أول البيت الثاني. والأثآر: جمع ثأر. والمعنى: لو أصابنا غير محارب من الأشراف لكنا صبرنا لذلك، ولكن أصابتنا محارب على ذُلّها وضعفها!

(٦) قبيل لئام : أي: هم قبيل لئام . وقولها : إن ظهرنا عليهم ، أي: غلبناهم . والمعنى: هم قوم لئام، فإن غلبناهم فلا فخر لنا بذلك؛ لأنهم لئام، وإن غلبونا فهم شر غالب. تريد أنه لا اشتفاء فى الانتقام منهم.

٣- ريطة بنت عاصم

قالت تبكى ديار عشيرتها بنى عامر على رزئها:

١-وقفت فأبكتنى بدار عشيرتي
على رُزئهن الباكياتُ الحواسِرُ[١]

٢-غَدَوْا كسُيوفِ الهند وُرَّادَ حَوْمَةٍ
من الموتِ أعْيَا وِردَهُنّ المَصادِرُ[٢]

٣-فوارس حاموا عن حريمى وحافظوا
بدار المنايا والقَنا مُتشَاجِرُ[٣]

٤-ولو أن سَلْمَى نالها مثلُ رُزْئنا
لهُدّتْ، ولكنْ تَحَمَّلَ الرُّزءَ عامِرُ[٤]

٥-كأنهم تحت الخوافِقِ إذْ غَدَوْا
إلى الموت أُسْدُ الغابتين الهَوَاصِرُ[٥]

---

(١) الرزء: فقدان الحبيب. والحواسر: الكاشفات عن وجوههن والمعنى: إني لما رأيت النساء عند وقوفى بدار العشيرة باكيات كاشفات الوجوه مما أصبن به بكيت لبكائهن.

(٢) الوراد: جمع وارد. والحومة: موضع القتال. وأعيا وردهن المصادر: معناه: لم يصدروا عنها. والمراد: أن الذين فقدوا كانوا كسيوف الهند فى قوة الطعن، فغدوا واردين موضع القتال، فلم يصدروا عن ورودهم لكونهم مقتولين.. ذهبوا ولم يعودوا.

(٣) الحريم: الموضع الذى تلزمهم حمايته، والمتشاجر: المشتبك والمتداخل. والمعنى: أنهم شجعان منعوا حريمي عن استطالة أيدي الأعداء إليها، وثبتوا على المحافظة فى حال اشتباك الرماح.

(٤) سلمى: أحد جبلي طيئ. وهدّت: كسرت. وعامر: تحبيلتها. والمعنى: لو أن الجبل المدعو بسلمى: أصابه مثل رزيتنا لذُك، وتكسر ولكن تحملها بنو عامر.

(٥) الخافق: المضطربُ. والهصر: الدفع والكسر. والهواصر واحده هاصِر، والمعنى: أنهم لما ساروا فى الصباح إلى لقاء العدو، والرايات عليهم خافقة أشبهوا الأسود الكواسر فى غاباتها.

٤- لامرأة من شيبان في رثاء ذويها (١) الذين قتلوا مع الضحاك

يقول خليفة بن خياط: ما رأيت أشدَّ كمدا من امرأة من بنى شيبان قتل ابنها، وأبوها، وزوجها، وعمتها وأمها، وخالتها مع الضحاك الحروري(٢) فما رأيتها قط ضاحكة، ولا مبتسمة، حتى فارقت الدنيا، وقالت ترثيهم:

١- مَنْ لقلبٍ شفَّه الحَزَن ... ولنفسٍ مالها سَكَنُ
٢- ظَعَنَ الأبرارُ فانقلبوا ... خيرُهم من مَعشَرٍ ظعنوا(٣)
٣- مَعْشَرٌ قَضَوْا نُحُوبَهم ... كُلُّ ما قدموا حَسَنُ
٤- صَبَروا عندَ السيوفِ فلم ... يَنكُلُوا عنها، ولا جَبُنُوا(٤)
٥- فتيةٌ باعوا نُفوسَهُمُ ... لا وربِ البيتِ- ما غُبِنُوا
٦- فأصاب القوم ما طلبوا ... مِنَّةٌ ما بعدها مِنَنُ(٥)

٥- وجيهة بنت أوس الضَّبِّية

أنطقها الحب.. حُبُّ عشيرتها على البعد.. ووجدت من يَعذِلها ويلومها على هذا الشوق، وذلك الحب، فقالت:

١- وعاذلةٍ تغدو عليّ تَلُومُني
على الشوقِ لم تمحُ الصبابةَ من قَلْبي(٦)
٢- فما ليَ إن أحببتُ أرضَ عَشِيرتي
وأبغضتُ طرفاءَ القُصَيبَةِ من ذَنْب(٧)

---

(١) العقد الفريد - الجزء الثالث (المراثى).
(٢) هو الضحاك بن قيس الشيباني (... - ١٢٩هـ) زعيم حروري من الشجعان الدهاة.
(٣) ظعنوا: ارتحلوا.
(٤) نكل عن الأمر: جبن ونكص.
(٥) المِنة: الإحسان والإنعام.
(٦) ورُبَّ عاذلةٍ تغدو عليّ باللوم على ما أنا فيه من الغرام والشوق لا يؤدي عَتْبُها إلى طائل، إذ أنها لا تطيق أن تمحو بعذلها ما في قلبي من الصبابة.
(٧) الطرفاء: شجر. والقصيبة: موضع من أرض اليمامة لتيم وعدي، وعكل، وثور بني عبد مناة بن أد بن طابخة. والمعنى: حيث لا يجدي العذل، فمالي من ذنب يضرني إن أحببت أرض عشيرتي وأبغضت طرفاء القصيبة.

٣-فلو أنّ ريحًا بلّغت وحْيَ مُرسِلٍ
حَفِيٍّ لناجَيتُ الجنوبَ على النَّقْبِ [(١)]
٤-فقلتُ لها: أدّي إليهم رسالتى
ولا تَخْلِطيها- طال سعدُك- بالتُّرْبِ [(٢)]
٥-فإنى إذا هبّتْ شَمالاً سألتُها
هل ازدادَ صَدَّاحُ النُّمَيرةِ من قُرْبِ؟ [(٣)]

٦-امرأة من بنى حنيفة [(٤)]

- ترثى يزيد بن عبد الله بن عمرو الحنفي :

أَلَا هَلَكَ ابنُ قُرّانَ الحميدُ
أخو الجُلَّى أبو عَمرٍو يزيدُ [(٥)]
أَلَا هَلَكَ امْرُؤٌ هلكت رجال
فلم تُفْقَد، وكان له الفُقودُ
أَلَا هلَكَ امرُؤٌ حَبّاسُ مالٍ
على العِلاّتِ مِتلافٌ مفيدُ [(٦)]
أَلَا هلك امرُؤٌ ظلّت عليه
بِشَطِّ عُنَيزَةٍ بقَرٌ هُجودُ [(٧)]

---

(١)الوحى: الرسالة. والحفىّ: الملح فى سؤاله، أو هو الذى يتعلم الشىء باستقصاء. والنقب: الطريق فى الجبل.

(٢)طال سعدك- اعتراض حسن جميل. والغرض منه الدعاء للريح، وقولها: لا تخلطيها بالترب: كناية عن الذل والإهانة تنهاها عن أن تذلها وتهينها، ومعنى البيتين: لو أمكن للريح أن تبلغ رسالة مرسل ملحّ فى سؤاله لناجيت ريح الجنوب المارة على طريق الجبل فقلت لها: أدّى إلى أحبتي رسالتى، ولا تهينيها وتذليها بخلطها بالتراب. أطال الله سعدك!

(٣) شمالا: ظرف منصوب. أي: هبت الريح شمالا، وكأن الجَنوبَ كانت تهب من ناحية أرض حبيبها مستقبلة لديار أحبتها، فلذلك جعلتها رسولها. وكانت الشمال تهب من ناحية أرض حبيبها مستقبلة بلادها، فلذلك زعمت أنها تسائلها عما أبهم عليها من أخبارهم، والصدح: الصوت. والنميرة: هضبة بين بخر والبصرة بعد الدهناء. والمعنى: أني أسأل الريح إذا هبت من جهة الشمال التى هي ناحية أرض الأحبة: هل ازدادت أصوات أهل النميرة من قرب؟

(٤) المفضليات ج٢ ص٣٦ .

(٥) الجُلَّى: الفُعْلَى من الأمر الجليل وهو العظيم.

(٦) العِلات: الشدائد.

(٧) البقر: النساء، فهو تشبيه. والهجود: المنتبهات.

سمِعن بموته فظَلِلْن نوْحَا
قِياما ما يُحَلّ لهن عُودُ[1]

٧-فدوى طوقان

شقيقة شاعر فلسطين الراحل إبراهيم طوقان ، ومعظم شعرها فى الرّثاء . .

وقد أكسبها هذا اللون الحزين مسحة شعرية رائعة تنفطر لها القلوب . .

ولها قصيدة نشرت فى مجلة الرسالة الأدبية عام ١٩٣٨م بعنوان (أبي . .).

مهداة إلى النبراس الذى أضاء أفق حياتها . . إلى ذلك العزيز الذى يتململ على فراش المرض فى ظلمات السجن . . . إلى أبي » وبعد مناجاتها والدها تقول :

١- وطني، بى مِمَّا عَراكَ شُجونُ ... وبقلبى عَمَّادهاك كُلومُ[2]

٢- الرَّزايَا حلّت بساحِك والأيامُ ... جارت، والبؤسُ فيك عَميمُ

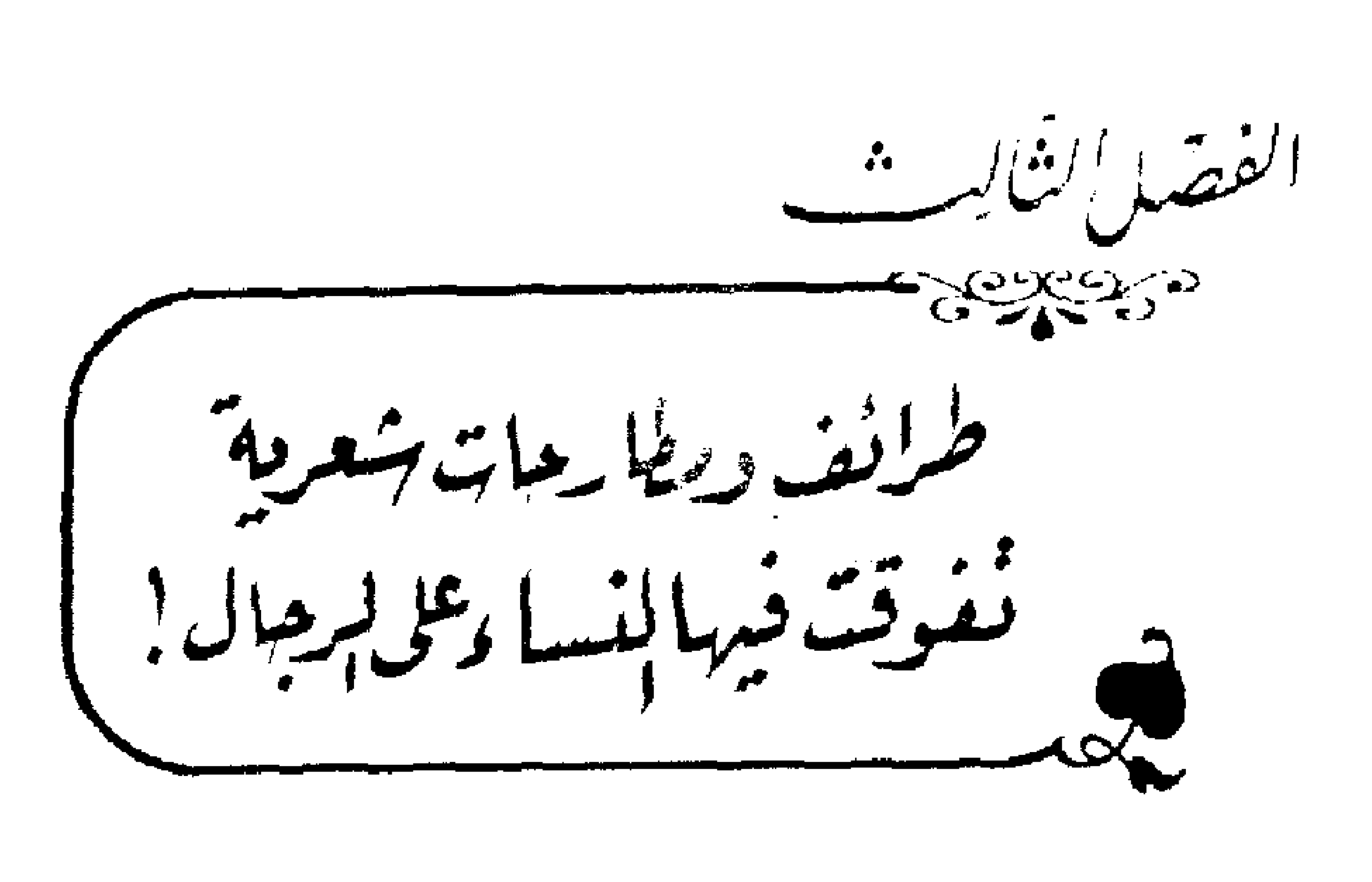
٣- الأيَامَى ويا لَبؤسِ الأيَامَى ... خَضّبَ الأرضَ دمعُها الجميمُ[3]

---

(١) ما يحل لهن عود: لا يطعمن شيئا، وأصل ذلك فى البهائم كأنه يقول: كأنهن لحزنهن عليه، وتركهن الأكل حرم عليهن المرعى.

(٢) شجون: هموم وأحزان جمع شجن. والكُلوم: جمع كَلْم: وهو الجرح.

(٣) الجميم: الكثير المجتمع.



« المطارحة : لون من الحوار والمبادلة »

- وقد اخترت لك هذه المطارحات لتقف على لون من ألوان الشعر النسائي:

١-المرأة التى شكت زوجها إلى الخليفة عمر ﷺ

٢-سُعدَى وحبيبها وموقف معاوية منهما.

٣-هارون الرشيد وشاعرة من بنات العرب.

٤-إحداهن تشكو إلى الخليفة المأمون.

٥-غسان بن جَهضم وأم عُقبة.

٦-ابن الدمَيْنة وزوجته، ولَحَظَاتُ عتاب!

٧-الجارية التى أعجب بها الخليفة المأمون.

٨-هند بنت أُثاثة وهند بنت عتبة.

٩-عفراء وعُروة.

١٠-حوار بين ليلى امرأة سالم بن قحفان وزوجها.

١١-على بن الجهم وجارية له.

١٢-دعبِل الخُزاعي، والجارية التى ارتجف لها فؤاده.

١٣-نزهون الغَرناطية والوزير أبو بكر بن سعيد.

١٤-الشاعر الديلمى وإحدى الشاعرات.

١٥-جارية ومولاها.

١٦-الحطيئة وزوجته.

١٧-جارية وحبيبها.

١٨-سارة ابنة الشاعر الهراوى وصديق والدها الشاعر محمد الأسمر.

١- المرأة التي شكت زوجها إلى الخليفة العادل عمر بن الخطاب

قال الزبير بن بكار:

أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقالت: يا أميرَ المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار، ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل لطاعة الله- عز وجل- فقال لها:

نعم الزوجُ زوجُك!! فجعلت تكرر عليه القول، ويكرر عليها الجواب! فقال له «كعب الأسدي»:

يا أمير المؤمنين، هذه المرأة تشكو زوجها من مباعدتِه إياها عن فراشه!!

فقال عمر: كما فهمتَ كلامَها فاقض بينهما! فقال كعب: عليّ بزوجها(١)، فأُتِيَ به فقال له:

إن امرأتَكَ تشكوك! فقال: أفي طعام أو شراب؟

قال: لا.. فقالت المرأة:

١- يـأَيُّـهـا الـقـاضـي الـحـكـيـمُ رُشْـدُه
أَلْـهَـى خَـلـيـلـي عـن فِـراشـي مَـسـجـده(٢)

٢- زهَّـده فـي مَـضـجَـعـي تـعـبُّـده
فـاقـضِ الـقَـضَـا كـعـبٌ، ولا تُـرَدِّده

٣- نـهـارُه ولـيـلُـه مـا يـرقُـدُه
فـلـسـتُ فـي أمـر الـنـسـاء أحْـمَـدُه!

-فقال زوجها:

١- زهَـدنـي فـي فَـرشِـهَـا وفـي الـحَـجَـلْ
أَنّـي امـرؤ أذهـلـنـي مـا قـد نَـزَلْ(٣)

---

(١) عليّ بزوجها: أحضروه.

(٢) الحكيم رشدُهُ: الموفق في حكمه. خليلي: زوجي. مسجده: صلاته.

(٣) الحجل: جمع حَجَلة- بفتحتين، وهي بيت يزين للعروس بالثياب. والسُّتور كالقبة.

٢-فى سورة النحلِ وفى السبع الطُّوَل
وفى كتاب الله تخويفٌ جَلَلْ[1]

- **فقال كعب:**

إن لها حقّا عليكَ يا رجُلْ
نصيبُها فى أربعٍ لِمَن عَقَلْ
فأعطها ذاك ودَع عنك العِلَلْ

ثم قال: إن الله – عز وجل- قد أحلّ من النساء مَثنى وثُلاث، ورُباع فلك ثلاثة أيام ولياليهن، تعبد فيهن ربك!

فقال عمر: والله ما أدرى من أى أمرَيْك أعجب؟! أمن فهمك أمرَهما؟ أم من حُكمِك بينهما؟! اذهب فقد وليتُك قضاءَ البَصْرة!



٢- سُعْدى وحبيبها وموقف معاوية منهما

جلس معاوية فى مجلس كان له بدمشق، فرأى قادما من بَعيد فى شدة الحر، فقال للخادم: إن كان يقصدنى فلا تمنعه! فلما دخل عليه، قال له معاوية:

ممن الرجل؟ قال: من تميم.

قال: ما الذى جاء بك؟ قال: جئتك شاكيا، وبك مستجيرا، قال: ممن؟ قال: من « مَرْوان بنَ الحكم » عاملك[2]، ثم أنشد هذه الأبيات:

١-مُعَاوِىَ، ياذا الجُودِ والفَضْلِ والحِلْمِ
وياذَا الندى، والعلمِ، والرّشدِ، والنُّبْلِ[3]

(١) السبع الطول من سور القرآن هي (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، واختلفوا فى السابعة فمنهم من قال: الأنفال وبراءة، ومنهم من قال إنها سورة يونس. ويقصد بالتخويف الجلل: ما أعده الله من عذاب للعاصين.. فقصر فى حقوق الزوجية، ورده كعب إلى الصواب. وجلل: عظيم.

(٢) العامل: الوالي. يقال: ولاة الخليفة وعماله. (٣) الندى: الكرم.

٢-أتيتُك لَمَّا ضاق في الأرض مَذْهَبِي
فياغَوْثيَ، لا تقطعْ رجايَ من العدلِ!
٣-وجُدْ لي بإنصافٍ من الجائِرِ الذي
بَلاني بشيءٍ كان أيسرُه قَتْلِي
٤-سَبَاني «سُعدى» وانبَرَى لخصومتي
وجَارَ ولم يَعْدِل، وغاصبني أهلي [١]
٥-وهمّ بقتلٍ غير أنّ مَنِيَّتي
تأنّت، ولم أستكمل الرزقَ من أجَلي [٢]

فلما سمع معاوية إنشاده، قال له:

مهلا يا أخا العرب، اذكر قصتك، وأَفصِحْ عن أمرك! قال: كانت لي زوجة هي ابنة عمي، وكنت لها محبا، فحل بنا قحط، واشتدت بي الحال، فسألني أبوها فراقها، وهددني، فأتيت إلى عاملك «مروان بن الحكم» راجيا نُصْرتي، وإنصافي من صِهري عمي!

فأحضَر أباها، وسأله عن حالي فتنكر لي، فسألت الأمير أن يُحضرها ويسألَها عني، فلما وقفَتْ بين يديه وقعت منه موقع الإعجاب! فصار لي خصما، وأظهر لي الغضب، وبعث بي إلى السجن! وقال لأبيها: هل لك أن تزوجها مني على ألف دينار وعشرة آلاف درهم، وأنا ضامن لك خلاصها من هذا الأعرابي؟! فرغِب أبوها في المال، وأجابه ذلك. فبعث إليّ مروان من أخرجني من السجن، وقال: يا أعرابي: طلق «سُعدى». قلت له: لا أقدر على هذا!! فسلط عليّ جماعة من غِلمانه يعذبونني وأجبرني على طلاقها، ومكثت في السجن إلى أن انقضت عِدتُها، فتزوجَها، ودخل بها، وقد أتيتك راجيا، وبك مستجيرا، وإليك ملتجئا، ثم أنشد:

في القلبِ مِنّي نارْ   والنارُ مِني في استعارْ
والجسمُ مني سقيم   فيه الطبيبُ مِنّي يَحار
وفي فؤاديَ جَمْرٌ   والجمرُ فيه شرار
والعين تهطِل دمْعًا   فدمعُها مِدْرار

---

[١] سباني سعدي: أسرها وأخذها مني كما يؤخذ السبى. وغاصبني أهلي: أخذها غصبا وقهرا.
[٢] المنية: الموت. تأنت: تمهلت.. كان لي بقية من العمر.

ولـيـس إلا بـربـي ثـم الأمـيـرِ انـتـصـار

ثم خرّ مغشيا عليه! وأخذ يتلوى كالحية المقتولة!

فقال معاوية: تعدى مروان فظلم فى حدود الدين، واجترأ على حُرَمِ المسلمين.

فبعث إلى مروان يطلب إليه طلاقَها، ويبعثها مع رسولين له: فلما رأى معاوية «الجارية»[١] رأى صورة لم ير مثلها فى الحسن والجمال، فخاطبها فوجدها أفصح النساء بعذوبة مَنْطِق، فقال: عَليّ بالأعرابي. فقال له: يا أعرابي، هل لك عنها من سَلْوة، وأعوضك ثلاث جَوارٍ بِكر، مع كل جارية ألف دينار! فقال الأعرابي: استجرت بعدلك من جَوْر ابن الحكم، فبمن أستجير من جورك؟![٢] ثم أنشد:

١-لا تَجْعَلَنّي- فَدَاكَ اللهُ من مَلِكٍ- كالمستجير من الرَّمْضَاء بالنارِ[٣]

٢-ارْدُدْ سُعادَ على حَيرانَ مُكْتئبٍ يُمْسى ويُصبح فى هَمّ وتذْكارِ!

فقال معاوية:

أنت مقر أنك طلقتها.. ومرْوان طلقها، ونحن نخيرها فإن اختارت سواك زوجناها منه، وإن اختارتك رجعنا بها إليك.

قال: افعل، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلى العظيم! فقال لها معاوية: ما تقولين يا سُعدى، أيهم أحبُّ إليك: أميرُ المؤمنين فى عِزِّهِ وشرفِه وسلطانِه وقُصوره، وما تصيرين عنده.. أو مروان بن الحكم فى عَسْفه[٤] وجَوْرِه، أو هذا الأعرابى مع جُوعه، وفقره، وسُوء حاله؟! فأنشدت هذين البيتين:

١-هذا- وإن كان فى جُوعٍ وإضرار أعزُّ عندىَ مِن قومِى ومن جَاري[٥]

٢-وصاحِبُ التاجِ أو مروانَ عامِله وكلُّ ذِى درهم عندى ودينارِ![٦]

ثم قالت: والله يا أمير المؤمنين ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان، وأنا أحق من صبر معه على الضراء، كما تنعمت فى السراء!، فتعجب معاوية من عقلها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم، وردها بعقد صحيح! تقديرا لوفائها!!

---

(١) تطلق الجارية على الفتاة صغيرة السن وإن كانت حرة.
(٢) جورك: ظلمك.
(٣) الرمضاء: شدة الحر، والأرض أو الحجارة التى حميت من شدة وقع الشمس. وهو مثل يضرب فى الخَلّتين من الإساءة تجتمعان على الرجل.
(٤) العسف والجور: الظلم.
(٥) إضرار: مكروه أو أذى.
(٦) صاحب التاج: تعني معاوية.

٣- هارون الرشيد وشاعرة من بنات العرب

مرّ الخليفة هارون الرشيد فى بعض الأيام، ومعه جعفر البرمكى وإذا بعدة بنات يستقين الماء، فعرّج[١] عليهن، وإذا بإحداهن تُنْشد:

١- قُولى لِطيفك ينثني — عن مَضجعى وقتَ المنامِ
٢- كى أستريحَ وتَنطَفِي — نارٌ تُؤَجّجُ[٢] فى العظامِ
٣- دَنِفٌ تُقَلّبه الأكُفُّ — على بِساطٍ من سِقامِ[٣]
٤- أَمّا أنا فكما علمتِ — فهل لوصلِك من دوامِ؟!

-فأَعجبَ أميرَ المؤمنين مَلاَحتُها وفصاحتُها، وقال لها: يا بنتَ الكرام؛ أهذا من مَقولك أم من مَنقولك؟[٤] قالت: من مقولي.

قال: إذا كان كلامك صحيحا، فَأمسكى المعنى، وغَيِّرى القافية[٥] فأنشدت تقول:

١-قُولى لطيفكِ ينْثَنِي — عن مضجعى وقت الوَسَنْ[٦]
٢-كى أستريحَ وَتنطَفِي — نارٌ تؤَجّجُ فى البَدَنْ
٣-دَنِفٌ تُقَلِّبه الأكُفُّ — على بِساط من شَجَنْ[٧]
٤-أما أنا فكما علمتِ — فهل لوصلك من ثمنْ؟!

فقال لها: والآخر مسروق؟!

قالت: بل هو من كلامي.

قال: إن كان كلامك أيضا، فأمسكى المعنى، وغيرى القافية! فجعلت تقول:

---

(١) مال.. ونزل بالمكان الذى هن فيه.
(٢) تؤجج: تلهب.
(٣) دنف: مريض اشتد مرضه وأشفى على الموت. والسقام: المرض الطويل.
(٤) أهذا قولك، أم هو قول لآخر نقلته عنه؟
(٥) القافية فى الشعر: نهاية البيت.
(٦) الوسن: المنام.
(٧) الشجن: الحزن.

١-قولى لطيفك ينثَنِي عن مَضجعى وقتَ الرُّقادِ
٢-كى أستريحَ وتنطفي نار تُؤَجّجُ فى الفؤادِ
٣-دَنِفٌ تقلبه الأكُفُّ على بساطِ من سُهادِ [1]
٤-أما أنا فكما علمتِ فهل لوصلك من سَدَادِ؟! [2]

فقال لها: والآخر مسروق؟!

قالت: بل كلامي!

قال لها: إن كان ما تقولين حقا، فأمسكى المعنى، وغيري القافية، فقالت:

١-قولى لطيفك ينثني عن مضجعى وقت الهُجوع
٢-كى أستريحَ وتنطفي نارٌ تؤجَّجُ في الضُّلوع
٣-دَنِف تُقَلبه الأكُفُّ على بِساط من دُموع
٤-أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من رُجوع؟!

فأعجبه ما سمع، وكان سروره عظيما بفصاحتها وتمكنها! وألحقها بجواريه!

٤-شكوى شعرية إلى الخليفة المأمون وردّه عليها شعرًا

جلس المأمون يوما للمظالم، فكان آخر من تقدم إليه - وقد هَمّ بالقيام- امرأة عليها هيئة السَّفَر، وعليها ثياب بيض رثّة، فوقفت بين يديه وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته! فنظر المأمون إلى القاضى (يحيى بن أكثم) فقال يحيي: وعليكِ السلام يا أمَةَ الله، تكلمى فى حاجتك، فقالت:

١-يا خيرَ مُنْتَصِفٍ يُهدَى له الرَّشَدُ
ويا إمامًا به قد أشرقَ البلَدُ
٢-تشكو إليك.. عَمِيدَ القوم أرمَلَةٌ
عدَا عليها فلم يُترَكْ لها سَبَدُ [3]

(١) سهاد: أرق وسهر. (٢) سداد: اتصال وعودة.
(٣) يقال: ما له سبَد ولا لَبَد؛ أي: لا قليل.. ولا كثير.

٣-وابتزَّ مِنّى ضِياعِى بعد مَنَعَتِها
ظُلْمًا، وفُرِّقَ منى الأهلُ والولَدُ![1]

فأطرق المأمون حينًا ثم رفع رأسه فقال:

١-فى دونِ ما قلتِ زال الصبرُ والجَلَدُ
عني، وأُقرح مِنّي القلبُ والكَبِدُ
٢-هذا أوانُ صلاةِ العصرِ فانصرفي
وأَحضِرى الخَصْمَ فى اليوم الذى أَعِدُ
٣-والمجلِسُ السبتُ إن يُقْضَ الجلوسُ لنا
نُنْصِفْك منه، وإلا المجلسُ الأحدُ

فلما كان «يوم الأحد» جلس فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة، فقالت:

السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته. فقال: وعليك السلام! أين الخصم؟

قالت: الواقف على رأسك، وأومأت[2] إلى العباس «ابنه». فقال المأمون:

يا أحمد بن أبى خالد، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم.

فجعل كلامُها يعلو كلامَ الأمير!

فقال لها أحمد: يا أمة الله؛ إنك بين يدى أمير المؤمنين! فاخفضى صوتك! فقال المأمون: دعها؛ فإن الحق أنطقها وأخرسه! ثم قضى لها، وأمر لها بنفقة، وأوصى بحسن معاملتها!

* * *

---

(١) جمع ضيعة، وهي الأرض المملوكة لها وما عليها.
(٢) أومأت: أشارت.

٥- غسان بن جهضم وزوجته أم عقبة[(١)]

كان غسان بن جهضم مفتونا بحب ابنة عمه « أم عقبة »، وكانت من أجمل النساء، وأحسنهن وأفضلهن خِصالا.

فلما حضرته الوفاة جعل ينظر إليها ويبكي، ثم قال لها: إنى منشدك أبياتا أسألك فيها عما تصنعين بعدى، وأرجوك أن تَصْدُقيني!

فقالت: قل، فوالله لا أكذِبُك أمرا، فأنشد:

١- أخبِرى بالذى تُريدِينَ بَعدي
ما الذى تُضمِرينَ يا أُمَّ عُقبهْ؟!

٢- تَحْفَظينى من بعدِ مَوتى لما قد
كان مِنّى من حُسْنِ خُلْقٍ وصُحبَهْ

٣- أم تُريدينَ ذا جَمالٍ ومالٍ
وأنا فى التُّراب رهنُ سجنٍ وغُربَهْ؟!

فأجابته:

١- قد سَمِعنا الذى تقولُ، وما قد
خِفتَه يا خليلُ من أمّ عُقبَهْ!

٢- سوف أبكيك ما حَييتُ شجْوًا
بِمَراثٍ أقولُها وبِنُدْبَهْ[(٢)]

فقال:

١- أنا- واللهِ- واثقٌ بك لَكِنْ
رُبّما خِفتُ منك غدرَ النساءِ

---

(١) نوادر العشاق.

(٢) المراثي: جمع مرثية وهي قصيدة بكائية لمن مات. وهي أيضا جمع مرثاة. والندبة: بكاء المرأة الرجل وتعداد محاسنه. وهي فى النحو النداء بـ « وا » مثل: وا أملي!!

٢-بعدَ موتِ الأزواجِ يا خيرَ مَن عو
شِرَ فارْعَي حَقِّى بحُسْنِ الوفاءِ
٣-إننى قد رجوتُ أن تحفَظِى العهـ
ـدَ، فكُونى إن مِتُّ عِندَ رَجَائي!

فلما مات توافد عليها الخُطابُ، فقالت:

١-سأحفظُ «غَسَّانا» على بُعْدِ دارِه
وأرعاه حتى نلتقى يوم نُحْشَرُ
٢-وإنى لفى شُغْلٍ عن الناسِ كُلِّهم
فكُفُّوا، فما مِثلى من الناس يَغْدِرُ!
٣-سأبكى عليه ما حَيِيتُ بعَبْرَةٍ
تسيلُ على الخَدَّين مِنّى فيَكْثُرُ

فلما طالت الأيام، وكثر إلحاحُ الناس، أجابت الخاطب. فجاءها «غسان» فى الليلة التى زُفت فيها فأنشدها:

١-غَدَرْتِ ولم ترعَىْ لبَعْلِك حُرمةً
ولم تعرفى حقّا، ولم تَحْفَظِي عَهْدَا
٢-ولم تصبِرى حَوْلًا حِفاظا لصاحبٍ
حلفتِ له يوما، ولم تُنجِزى وعْدَا
٣-غدرتِ به لَمَّا ثوَى فى ضَريحه
كذلك يُنْسَى كُلُّ مَن سكن اللَّحْدَا[1]

فانتبهت فَزِعة كأنما كان معها!

قالت لها النساء من حولها: ماذا دهاك؟ قالت: ما ترك لى غسان فى الحياة أَرَبًا[2]، ولا فى السرور رغبة.. أتانى فى المنام، فأنشدنى هذه الأبيات، ثم جعلت ترددها وتبكي! ثم شهقت شهقة وأسلمت الروح!!، وهى نادمة على ما كان منها!!

---

(١) ثوى: أقام.
(٢) أَرَبًا: حاجة.

٦- أمامة زوجة ابن الدمينة تبادله عتابا بعتاب!

ابن الدُّمينة: شاعر إسلامى مُجيد مُحسن. و«الدُّمَيْنَةُ» أمُّه واسمه عبد الله بن عبد الله.

- **ذات يوم قال لزوجته «أمامة» فيما يجرى بين الأزواج:**

١-وأنتِ التى كلَّفتِنِى دَلَجَ السُّرَى　　وجُونُ القَطَا بالجَلْهتَين جُثومُ[(١)]

٢-وأنتِ التى قطَّعتِ قلبى حَزازَةً　　وقَرّفْتِ قَرْحَ القلب فهو كليمُ[(٢)]

٣-وأنت التى أحفظت قومى فكلهم　　بعيدُ الرّضا دانى الصدودِ كَظِيمُ[(٣)]

-فأجابته أُمامة على وزنها وَرَوِيّها:

١-وأنت الذى أخلَفْتَنِى ما وَعدتَني　　وأشمتّ بى مَن كان فيك يلومُ[(٤)]

٢-وأبرزتَنى للناس ثم تركتَني　　لهم غَرَضًا أُرْمَى وأنت سليمُ[(٥)]

٣-فلو أن قولاً يكلِمُ الجسمَ قد بدَا　　بجسميَ من قَولِ الوُشَاةِ كُلُومُ[(٦)]

ولما تعاتبا.. تصالحا!!

---

(١) لقد تحملت من أجلك الصعاب فكنت أسافر وحيدا فى ظلمة الليل وأجتاز أماكن ليس فيها إلا القطا. والدلَج: سير أول الليل. والسُّرَى: سير عامته. وإضافة الدَّلَج إليه من إضافة البعض إلى الكل. والجُون: الأسْود. والجَلْهتان: ناصيتا الوادي وطرفاه أو هما مكان بالحمى يجثم الطير عليهما.

(٢) الحزازة: الوجد الذى يقطع القلب. وقرقت: أي قشرت الجرح قبل أن يبرأ. والكليم: الجريح. والمعنى: ما يقطع قلبي غير الوجد بك. وما قشر جرح القلب وهو جريح سواك.

(٣) احفظه: أثار غضبه. والكظيم: المكظوم، وهو من امتلأ جوفه بالغضب، والمعنى: وأنت التى أغضبت قومي عليّ فكلهم بعيد الرضا عني، قريب الصد والهجر، ممتلئ الجوف من الغضب.

(٤) كما تلومني ألومك فى خلف الوعد، والشماتة بي ممن كان يلومني فيك.

(٥) وكشفت أمري بين الناس وصيرتني غرضا لألسنتهم وسلمت أنت منهم.

(٦) يكلم: يجرح. والمعنى: لو فرض أن القول يجرح الجسم لرأيت بجسم جروحا كثيرة من قول الوشاة والشامتين.

٧- الجارية التى أعجب بها الخليفة المأمون

وُصِفت للمأمون جارية بكل ما يوصف به امرأة من الكمال والجمال!، فبعث فى شرائها، فأُتى بها وقت خروجه إلى بلاد الروم! فلما نظر إليها أُعجب بها، وأعجبت به، فقالت: ما هذا؟ قال: أريد الخروج إلى بلاد الروم!

قالت: قتلتني- والله- يا سيدي!، وحَدَرَتْ دموعها على خدها، ثم أنشأت تقول:

١- سأدعو دعوةَ المضْطَرِّ ربّا
يُثِيبُ على الدُّعاءِ ويَستجيبُ

٢- لعل اللهَ أن يكفيَكَ حَرْبًا
ويَجْمَعَنا كما تَهْوَى القلوبُ!!

فضمها المأمونُ إلى صدِره، وأنشأ متمثلا يقول:

١- فيا حُسْنَها إذ يغسِلُ الدمعُ كُحْلَها
وإذ هى تُذرى الدمعَ منها الأناملُ [١]

٢- صبيحةَ قالت فى العِتاب: قتلتني!
وقتلى بما قالت. هناك تحاولُ!

ثم قال لخادمه: يا مسرور:

احتفظ بها، وأكرم محلها [٢]، وأصلح لها كل ما تحتاج إليه إلى وقت رجوعي.

---

(١) تذرى الدمع: تسيله.

(٢) إقامتها.

٨- هند بنت أثاثة وهند بنت عتبة

هند بنت أُثاثة قرشية مُطّلبية . . أخت «مِسْطَح» . . ذكرها ابن إسحاق فيمن أسلم بمكة وقال: فى وقعة أحد لما قالت هند بنت عتبة تفتخر بقتل حمزة، وغيره ممن أصيب من المسلمين بعد أن علت على صخرة مشرفة، فنادت بأعلى صوتها:

١-نحن جزيناكم بيوم بدرِ والحَرْبُ بعدَ الحَرْب ذاتُ سُعر[١]

٢-ما كان عن عُتبةَ لى من صَبْرِ أبِى، وعَمّي، وشقيق بكري

٣-شفيتَ وَحْشِيُّ غليلَ صدري شفيتَ نَفسي، وفضيتَ نَذْرِي![٢]

-فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبد المطلب:

١-خَزيتِ فى بَدرٍ وغيرِ بدْرِ يا بنتَ وقّاع عظيم الكفر[٣]

٢-صبَّحك اللهُ غداةَ الفجْرِ بالهاشِميّيْنَ[٤] الطِّوال الزُّهر

٣-بكلّ قَطّاعٍ حُسامٍ يَفري حمزةُ لَيثِي، وعَلِيٌّ صَقْري[٥]

-وأنشد لها ابن إسحاق مرثية فى النبى ﷺ.

***

٩- عفراء العذرية وعروة بن حزام

كان لعُروةَ بنِ حِزام ابنةُ عم أحبها وهام بها. . وتقدم إلى والدها من يخطبها، فلما بلغ عُروةَ ذلك بُهت لا يَحير جوابا. . وأنشد:

١-وإنى لتعرونى لذكراك رِعدة

لها بين جِلدى والعِظام دَبيبُ

---

(١) سُعر: جمع سعير. أي: ذات التهاب كالتهاب النيران.

(٢) وحشى: قاتل حمزة بتحريض من هند بنت عتبة ثأرا لقتلاها فى بدر!

(٣) الوقاع: الذى يغتاب الناس. (٤) حمزة وعلي رضي الله عنهما.

(٥) يقال: سيف قطاع: ماضٍ. والحسام: السيف القاطع. يفري: يشق ويفتت.

٢-فــمــا هــو إلا أن أُراهــا فُــجــاءة
فــأُبــهــتَ حــتــى مــا أكــادُ أجــيــبُ
٣-وبــى مِــن جَــوى الأحـزانِ والـبُـعـدِ لـوعـةٌ
تــكــادُ لــهــا نــفــس الــشــفــيــق تَــذُوبُ
٤-وما عـجـبٌ موتُ الـمـحـبـيـن فـى الـهـوى!
ولــكــن بــقــاءُ الــعــاشــقــيــن عَــجــيــبُ!

وأخذه الهذيان . . وأسلم الروح إلى باريها!

فلما علمت « عَفراء » بموته أتت قبره ، وبكت طويلا ثم أنشدت :

١- عَـدانـى أن أزورَك يـا خَـلِـيـلـي   مـعـاشـرُ كـلُّـهـم واشٍ حَـسُـودُ[1]
٢-أشاعوا ما علمتَ من الدواهي   وعَـابـونـا ومـا فـيـهـم رَشـيـدُ
٣-فـأمـا إذ ثَـوَيْـتَ الـيـومَ لَـحْـدًا   فـدُور الـنـاسِ كـلُّـهـم الُّـلـحـودُ[2]
٤-فـلا طـابـت لـيَ الـدنـيـا مَـذاقًـا   فـبَـعـدك لا يـطـيـبُ لـى الـمـديـدُ[3]

وما فرغت من شعرها حتى غابت عن الوجود فحركوها فإذا هى ميتة!

١٠- حوار بين ليلى امرأة سالم بن قحفان العنبرى وزوجها

كان من حديثها أن « سالم بن قُحفان » جاء إليه أخو امرأته زائرا ، فأعطاه بعيرا من إبله ، وقال لامرأته : هاتى حبلا يَقْرِن به ما أعطيناه إلى بعيره ، ثم أعطاه بعيرا آخر ، وقال لها مثل ذلك ، ثم أعطاه آخر فقالت : ما بقى عندى حبل!

فقال : « عليّ الجِمالُ ، وعليك الحِبال! » ، فرمت إليه بخِمارها ، وقالت : اجعله حبلا لبعضها! ؛ فأنشأ يقول :

---

(١) عداني : صرفني وشغلني.

(٢) ثويت : أقمت وسكنت قبرا. واللحد : الشق يكون فى جانب القبر للميت وجمعه : ألحاد ولحود.

(٣) المديد فى العُمْر .

١-لقد بَكَرَتْ أمُّ الوليد تَلُومني
ولم أجترم جُرما، فقلت لها: مَهْلا[(١)]

٢-لا تَعْذِليني في العَطاء ويَسِّري
لكل بعيرٍ جاء طالبه حَبْلا[(٢)]

٣-فإني لا تبكي عليَّ إفالُها
إذا شبعتْ من روضِ أوطانها بَقْلا[(٣)]

٤-فلم أرَ مِثلَ الإبل مالاً لِمُقْتَنٍ
ولا مثلَ أيامِ الحقوق لها سُبْلا[(٤)]

فأجابته ليلى امرأته:

١-حلفت يمينا يا بن قُحفانَ بالذي
تكفّل بالأرزاقِ في السَّهل والجبلْ[(٥)]

٢-تزالُ حِبالٌ مُحَصَّداتٌ أُعِدُّها
لها ما مشى منها على خُفِّه جَمَلْ[(٦)]

٣-فأَعْطِ ولا تبخَلْ لمن جَاءَ طالبًا
فعِندي لها خُطْمٌ وقد زاحتِ العِلَلْ[(٧)]

---

(١) لم أجترم جرما: لم أرتكب ذنبا حتى أكون موضع لومك. فقلت لها: لا تتسرعي باللوم وتمهلي.

(٢) لا تعذليني: لا تلوميني. ويسّري: أي هيئي. والمعنى: لا تلوميني على ما أهبه من جمالي. بل هيئي لكل بعير أهبه حبلا يقاد به، فما أنا بالبخيل.

(٣) فإني لا تبكي عليّ إفالها: معناه: أن الإبل بهائم لا تهتم بي إذا مت. غايتها أن ترتع وتشبع. والإفال: صغار الإبل جمع أفيل. يريد أن يقول: إن إبله لن تحزن عليه إذا مات فهي بهائم ترتع وتشبع لا تعقل الحزن ولا الفرح، فموته عندها وموت من لم ينحرها سواء.

(٤) المقتنى: هو الذى يقتني المال. والمراد بالحقوق: ما ينحره للضيافة ويعطيه فى الديات- معناه: أن الإبل أحسن من كل مال يقتنى، وأن نحرها للأضياف، ودفعها فى الديات أحسن من كل سبيل لها تنفق فيه.

(٥) السهل: ضد الجبل. معناه أقسم بالله الذى هو متكفل لجميع مخلوقاته بالرزق. وجواب القسم (تَزَالُ).

(٦) تَزَالُ: أي: ما تزال. وجاز حذف حرف النفى لدلالة اليمين عليه. والمحصَّدَات: الحبال المحكمة الفتل. وأعدها: أهيئها. وضمير لها: للإبل. وما مصدرية ظرفية. والمعنى: إني أقسم ما تزال الحبال الوثيقة الفتل عندي أعدها للإبل، لكل منها حبل يقاد به، ما دامت تمشي على أرجلها.

(٧) الخُطْم: جمع خِطام، وهو ما يقاد به البعير، وزاحت، أي: زالت. والمعنى: فأعط من الإبل من يطلب معروفك، ولا تبخل عليه، فعندي لكل ما تعطيه منها حبل، يقاد به، وقد زالت العلل، فلا مانع من الإعطاء!

١١- على بن الجهم وجارية له[1]

على بن الجهم شاعر مُجيد نفاه المتوكل إلى خُراسان. وقد كتبت جارية له رقعة فأجاب فيها:

١-مـا رُقـعَـةٌ جـاءتـكَ مـخـتـومـةً
كـأنـهـا خَـدٌّ عـلـى خَـدِّ

٢-تـبـدو سـوادًا فـى بـيـاضٍ كـمـا
ذُرَّ فَـتـيـقُ الـمِـسْـكِ فـى الـورد![2]

٣-سـاهـمـةَ الأسـطُـر مَـضـروفَـةٌ
عـن جـهـة الـهَـزْلِ إلـى الـجَـدِّ

٤-يـا كـاتـبـا أسـلـمـنـى عَـتْـبُـه
إلـيـه، حـسْـبـى مـنـك مـا عِـنـدي!

فلم تَمضِ مدة حتى كتبت إليه:

١-قـلـب يُـمِـلّ عـلـى لـسـانٍ نـاطـقِ
ويَـدٌ تـخـطّ رسـالـةً مـن عـاشـقِ[3]

٢-مَـزَج الـمِـدَادَ بـعَـبـرة شَـهِـدَتْ لـه
مـن كـلّ جـارحـةٍ بـقـلـبٍ صـادقِ

٣- فـيَـمِـيـنُـه تـحـتَ الـوِسـادِ وخَـدُّه
ويَـسـارُه فـوق الـفُـؤاد الـخـافِـق!

---

(١) نوادر العشاق.

(٢) يقال: فتق المسك: خلط به ما يذكيه.. والفتيق الخليط.

(٣) يمل: يملي.

١٢- الجارية التي ارتجف لها (١) فؤاد دعبل الخزاعي

دِعبِل الخُزاعى شاعر أصله من الكوفة، تخرج فى الشعر على مُسْلِم بن الوليد، واتصل بالرشيد! وله مع إحدى الجوارى تجربة شعرية يحكيها قائلا :

كنت جالسا إذ مرت بى جارية لم أرَ أحسنَ منها، فلما وقع بصرى عليها ارتجف فؤادي، وآنستُ من قلبى ارتحالا، فأنشدتُ أُسْمِعُها :

١- دُمُوعُ عينى بها انقضاضُ ونومُ جَفنى به انقباضُ

فنظرت إليّ، واستدارت بوجهها، وأجابتنى بسرعة بالبيت الآتي :

٢- وذَا قليلٌ لمن دَعَتْه بلَحْظِها الأعيُنُ المِراضُ! [٢]

فأدهشتنى بسرعة جوابها، وحسن منطقها، فأنشدتُها ثانيا هذا البيت :

١- فهل لِمَولَاتيَ عطفُ قلبٍ على الذى دمعُه مُفَاضُ؟! [٣]

فأجابتنى بسرعة من غير توقف بهذا البيت :

٢- إن كنتَ تهوى الوِدادَ منا فالوُدُّ ما بيننا قِراضُ [٤]

فما دخل أذنى قط أحلى من كلامها، فعدلت بالشعر عن القافية [٥] امتحانا لها، وعجبا بكلامها، فقلت لها هذا البيت.

١- أترى الزمانَ يَسُرُّنَا بتلاقِ ويضمُّ مُشتاقًا إلى مُشتاقِ؟!

فتبسمت فما رأيت أحسن من ابتسامتها، وأجابتنى بسرعة من غير توقف بهذا البيت :

٢- ما للزمانِ، وللتحكمِ بيننا أنت الزمانُ فسُرَّنا بتلاقِ!

***

(١) من نوادر العشاق.

(٢) الأعين المِراض: التى فيها فتور محبب.

(٣) مفاض: مذاع منتشر مسكوب.

(٤) قِراض: متبادل. كل منا يود الآخر.

(٥) غيرتُ القافية من الضاد إلى غيرها وجعلتها القاف.

١٣- نزهون بنت القلاعى الغرناطية

من أهل المائة الخامسة . . وصفها الحَجّارى بخِفَّةِ الروح ، مع جمال فائق ، وحسن رائق .

وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولعَ الناس بمحاضرتها، ومذاكرتها، ومراسلتها، فكتب إليها مرة هذين البيتين :

١-يـا مـن لـه ألـف خِـلٍّ — مـن عـاشـقٍ وصَـديـقِ
٢-أراكِ خَـلَّـيـتِ لـلـنـا — س مـنـزلا فـى الـطـريـق (١)

فأجابته :

١-حللْتَ أبا بكر مَحَلاّ منعتُه — سِواكَ، وهل غيرُ الحبيب له صَدْري؟!
٢-وإن كان لى كم من حبيب فإنما — يعرفُ أهلُ الحقِّ فضلَ أبى بكر (٢)

١٤- أسبهد ودست الديلمى (٣)
الشاعر وامرأة شاعرة

- **كتب أسبهد ودست الديلمى الشاعر إلى امرأة فى صباه :**

١-ما تقولين فى فتًى يهواكِ — ومُناه فى كُلِّ وقتٍ يراكِ
٢-قد تخلّى بالهمِّ فيك وما يَفْتُرُ — منه اللسانُ عن ذكراكِ؟!

فأجابته :

---

(١) يقصد أنها تركت لمحبيها أن يمدوا جُسُورَ المحبة بينهم وبينها، وفتحت قلبها للجميع، وكأنما أعدت للجميع منزلا على الطريق. . تدفعه غيرته، وقد كان يتمنى أن تكون له وحده.

(٢) فى هذا البيت تورية جميلة، فالناس حقا يقدمون أبا بكر الصديق، ولكنها تعني «أبا بكر بن سعيد».

(٣) كتاب ذم الهوى لابن الجوزي.

١-لستُ مِمَّن يبغى الوِصال حَرَامًا
إنّ فعلَ الحرامِ كالإِشراك
٢-إن طلبتَ الحلالَ مِنّا أطعنا
كَ، وإلا فاعدِل إلى الإمساكِ
٣-إن خيرَ الأعمالِ ما كان عُقبا
هُ نجاةً من الأذى والهلاك!

١٥- بين جارية ومولاها

عن الرِّيَاشِي أن بعض أهل البصرة اشترى صَبِيَّة، فأحسن تأديبها وتعليمها، وأحبها كل المحبة، وأنفق عليها حتى أملق![١]، وحتى مسها الضُّر الشديد، فقالت الجارية:

إنى لأرثى لك يا مَوْلَاى مما أرى بك من سوء الحال، فلو بعتني، واتسعت بثمني، فلعل الله أن يصنع لك، وأقع أنا بحيث يحسن حالي، فيكون ذلك أصلح لكل واحد منا!

قال: فحملها إلى السوق، فعُرضت على عمر بن عبيد الله بن مَعْمر التيمي، وهو أمير البصرة يومئذ، فأعجبته، فاشتراها بمائة ألف درهم! فلما قبض المولى الثمن، وأراد الانصراف، استعبر[٢] كل واحد منهما إلى صاحبه باكيا، وأنشأت الجارية تقول:

١-هنيئا لك المالُ الذى قد حويتَه
ولم يبقَ فى كفَّيَّ غيرُ التذكُّرِ
٢-أقولُ لنفسى وهى فى غَشْى كُرْبَةٍ
أقِلّى فقد بان الحبيبُ أو اكْثِري[٣]

(١) افتقر- ومصدره الإملاق.
(٢) جرت دمعته.
(٣) بان: بعد.

٣-إذا لم يكن للأمرِ عندكِ حيلةٌ
ولم تجِدى شيئًا سوى الصبرِ فاصبري

-فاشتد بكاء المولى، ثم أنشأ يقول:

١-فلولا قعودُ الدهر بى عنكِ لم يكن
يُفرقنا شيء سوى الموتِ فاعذُري[1]

٢- أروحُ بهمٍّ فى الفؤاد مبرِّحٍ
أُناجى به قلبًا شديد التفكُّر[2]

٣-عليكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننا
ولا وصلَ إلا أن يشاءَ ابنُ مَعْمَرِ

فقال ابن مَعْمَر:

قد شئتُ؛ خُذْها، ولك المال، وانصرفا راشدين، فو الله لا كنتُ سببا لفُرقةِ مُحِبين!

١٦-بين الحطيئة وامرأته

جاء فى مجمع الأمثال للميدانى الجزء الثانى أن جريرا أراد سفرا، فلما أَعَدَّ راحلته[3] قالت له امرأته:

متى ترجع؟ فقال:

عُدِّى السنينَ لغَيبتى وتَصَبَّرِي   ودعى الشهورَ فإنهن قِصارُ!

فقالت:

---

(١) قعود الدهر بي: تخليه عني.
(٢) مبرّح: شديد مجهد.
(٣) ناقته التى تحمله فى سفره.

اذكر صبابتَنَا إليك وشوقَنَا وارحم بناتِك إنهن صِغارُ![1]

فعدل عن سفره!

١٧- بين جارية وحبيبها

جاء فى كتاب ذم الهوى لابن الجوزى أن المهلَّب بن أبى صفرة نظر إلى فتى يكلم جارية من جواريه، فدعا بالجارية فقال لها:

ما حملك على كلام من رأيت؟! فقالت: ياسيدي..

١- لأنّ له من مَحْض قلبى مَودّةَ

لها تحت أحْناءِ الضُّلوع خُفُوقُ

٢- إلى غيرِ سُوءٍ فاغلَمَنّ كلامُنا

ولكنْ لشوقٍ، والمحبُّ مَشُوقُ

فدعا بالفتى، فقال له: ما حملك على كلام هذه؟!

فقال:

لأن لها فى القلبِ مِنّى مَحَبّةَ

وفى طَيّ صدرى لوعةٌ وحريقُ

وإنى لأَفْواها على كُلِّ حالةِ

وإنى إليها ما حَيِيتُ أتوقُ[2]

-فقال المهلب:

لَعَمْري[3] إنى للمحبينَ راحِمٌ وإنى بحفظ العاشقين حقيقُ[4]

---

(١) صبابتنا: حبنا.

(٢) أتوق: أشتاق.

(٣) قسم..

(٤) حقيق: جدير وقادر.

سأجمعُ منكمُ شملَ وُدٍّ مبدَّدٍ فإني بما قد ترْجُوَانِ خليق[1]

ثم وهبها له، وأمر له بخمسة آلاف دينار!

١٨- بين سارة كريمة الشاعر الهراوى وصديق أبيها الشاعر محمد الأسمر

بعث الأستاذ محمد الأسمر إلى الهراوى بمناسبة قران كريمته:

١-يا سُرّ (مَن رَا)[2] لك المَسَرّهْ فأنت بين الحِسان غُرّهْ[3]

٢-وما اجتلتك العيون إلا رأتك نورًا لها وقُرّهْ[4]

٣-ربيبة العلم والقوافي وربةَ الفضل والمَبَرّهْ[5]

٤-أبوك صاغ القصيدَ عِقدًا وأنت فى العِقد خيرُ دُرّهْ

٥-هُنّيت يا سُرّ من رآها هُنيتِ هُنيت ألفَ مَرّهْ

وقد ردت كريمة الأستاذ الأسمر- رحمه الله- على هذه الأبيات بقولها:

١-شكرا لعَمِّىَ الأسمَرْ الألمعىّ العبقرِي[6]

٢-وافَى إلىّ قصيدُهُ فظَفِرت منه بجوهرِ

٣-قلمى المقصّرُ لا يفي بجميل شكرك فاعذرِ

٤-أشكُره عَنّي يا أبي ببيانِك المتخَيَّرِ

٥-فأبو نُواسٍ مالَه إلا أخوه البُحْتُرِيّ

---

(١) خليق: جدير وأهل.

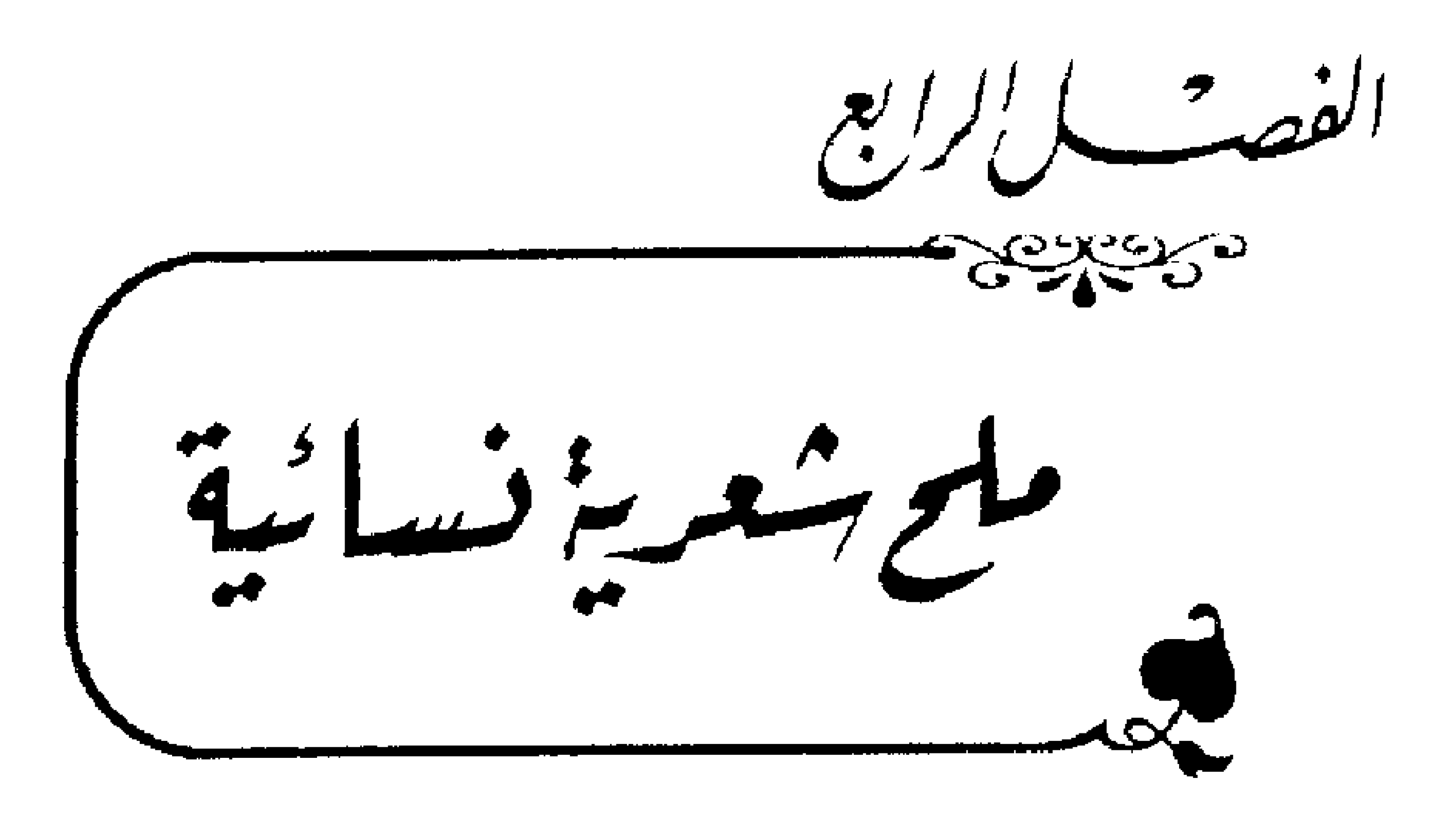
(٢) اسمها سارة. . تسر من رآها. وسُرّ من را هي سامراء مدينة بالعراق على ضفة دجلة اليمنى مركز قضاء سامراء. شيد فيها المعتصم عاصمة له وأطلق عليها اسم «سُرّ من رأى».

(٣) الغرة: بياض فى جبهة الفرس، والمراد: أنها مشهورة.

(٤) اجتلتك العيون: نظرت إليك. قرة: تسعد العيون برؤيتك.

(٥) نشأت فى أحضان العلم والشعر.

(٦) الألمعى: الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع. والخفيف الظريف. والعبقري: صفة لكل ما بولغ فى وصفه وما يفوقه شيء.



الفصل الرابع

ملح شعرية نسائية

المُلْحَة: الكلمة المليحة التى جمعت بين البهجة والحُسن، والجمع: مُلَح ويضم هذا الفصل ألوانا من المُلَح النسائية الشعرية التى تضمنتها كتب الأدب وأمهاتها

- **اخترنا لك هذه المُلح من كتب الأدب:**

١-المرأة التى سمعها الخليفة عمر وهو يطوف ليلا!- عمر والعجوز!

٢-يتزوج أربع شاعرات!

٣-بنات ذى الإصبع العدوانى يتحدثن عن زوج المستقبل!

٤-حاملات جرار الماء ومعن بن زائدة!

٥-هند بنت النعمان والحجاج!

٦-عنان جارية الناطفي!

٧-الجمع بن محبين!

٨-عوسجة الشاعرة التى رضيت بالله صاحبا!

٩-امرأة تميمية ترعى عهد زوجها بعد وفاته!

١٠-ريحانة التى صبرَت عن اللذات!

١١-نزهون الغَرناطية وروح الدعابة عندها!

١٢-حيونة التى ودت النهار ليلا!

١٣-شاعرة مصرية تعارض قصيدة الحصرى الغزلية. بقصيدة رثائية!

١٤-أسماء المرية تحن إلى نجد!

١٥-أعرابية تتحدث عن الهوى وتراه هوانًا!

١٦-بنت أسلم بن عبد البكرى تنقذ أباها وأهلها من يد الحجاج!

١٧-أم ثواب وابنها العاق!

١٨-زوجة ابن مية تطالب بثأر زوجها!

١٩-ميمونة السوداء وإبراهيم بن أدهم!

٢٠-امرأة تعبر عن مضايقات زوجها لها!

٢١-امرأة قتادة بن مغرب اليشكرى تهجوه!

٢٢-عائشة بنت أحمد القرطبية تدخل السرور على قلب المظفر!

٢٣-أم حكيم ترجز وهى تحارب بفرقتها التى لا تهزم!

٢٤-امرأة أبى حمزة الضبي، وكيف أعادها إليه؟!

٢٥-أسماء بنت جعد العذرية وكتمانها هواها!!

٢٦-الشيماء بنت الحارث السعدية وترقيصها الرسول ﷺ وهو صغير!

٢٧-شاعرة عاشت تجربة مريرة حيث تزوجت شيخا بعد شاب!

٢٨-ابنة الوالى وأحد عمال أبيها.

٢٩-زوجتان تعاير إحداهما الأخرى بوليدها!

٣٠-جاريتان تتبادلان الشعر عن زوجتين: قديمة وجديدة!

٣١-الشاعرة التى آثرت الموت على المعصية.

٣٢-فريعة بنت همام الزلفاء.

٣٣-ميسون بنت بحدل ومعاوية.

٣٤ - شفاء الحب .

٣٥ - من كان همه من الأزواج بطنه .

١- المرأة التي سمعها الخليفة عمر وهو يطوف ليلا

بينما كان عمر بن الخطاب يطوف ليلا إذ سمع امرأة تقول:

١- تطاول هذا الليلُ واسودّ جانِبُهُ
وأرّقني ألاّ ضجيعَ ألاعبه

٢- فوالله لولا اللهُ تُخشى عواقبُه
لَزُحْزِحَ من هذا السريرِ جوانبُه

٣- ولكنني أَخْشَى رقيبا مُوَكّلاً
بأنفسِنا لا يَفْتُرُ الدهرَ كاتبُه

٤- مخافةُ ربى والحياءُ يَصدُّني
وأُكْرِم بَعلى أن تُنالَ مَراتِبُه!!

فقال لها عمر: وما لَكِ؟

فقالت: أغزيتَ[١] زوجى منذ أشهر، واشتقت إليه! قال: أرَدْتِ سوءًا، فقالت: معاذَ الله! قال: فاملكي عليك نفسك، إنما هو البريد[٢] إليه. وبعث إليه!

ثم دخل على ابنته حفصة[٣] وقال لها:

إنى سائلك عن أمرٍ قد أهمني، فافرجيه عني! كما تشتاق المرأة إلى زوجها إذا غاب عنها؟! فخفضت رأسها واستحيت! فقال: فإن الله لا يستحى من الحق!

فأشارت بيدها ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة! فكتب عمر ﷺ لا تُحبَسُ[٤] الجيوش فوق أربعة أشهر.

وهكذا عالج عمر ﷺ الأمر علاج البصير الحكيم ذى النظر البعيد، والرأى السديد[٥].

---

(١) أرسلته مع الغزاة المحاربين.

(٢) ما هي إلا أيام يصل فيها البريد فيعود.

(٣) أم المؤمنين.

(٤) تمنع ويحال بينها وبين العودة إلى الأهل.

(٥) انظر سيرة عمر بن الخطاب لأبى الفرج ابن الجوزي.

عمر والعجوز

في الباب الرابع والثلاثين من سيرة عمر بن الخطاب ﷺ ذكر ابن الجوزى عن جابر بن عبد الله قال:

عَسَسْنا مع عمر بن الخطاب ذات ليلة بالمدينة حتى انتهينا إلى خيمة فيها نويرة، تقدح أحيانا، وتطفأ أحيانا، وإذ فيها صوت حزين، فقال:

أقيموا مكانكم، ومضى إلى الخيمة، فإذا عجوز تقول:

على محمدٍ صلاةُ الأبرار صَلّى عليه المُصْطَفَوْن الأخيار

قد كنتَ قوّامًا بكَنِّ الأسحار[1] فليتَ شِعرِي والمنايا أطوار[2]

هل تجمعني وحبيبي الدار؟!

فبكى عمر ﷺ حتى ارتفع صوته، ومضى حتى انتهى إلى الخَيْمَة فقال:

السلام عليكم.. السلام عليكم.. فأذنت له فى الثالثة فإذا عجوز! فقال لها عمر: أعيدى عليّ قولك، فأعادت عليه قولها بصوت حزين، فبكى عمر، ثم قال: وعمر لا تنسينه - رحمك الله- فقالت: وعمر فاغفر له إنك أنت الغفار.

٢- يتزوج أربع شاعرات!

ما رأيك فيمن تزوج أربع شاعرات؟! كن يُنشدن أشعارهن بين يديه ويطلبن رأيَهُ، وكان يحار فيما يقوله حتى لا يُثير غيْرتهن! وذات يوم طلب إليهن أن يصفن أنفسهن شعرا ليشغلهن بأنفسهن!

حدث الأصمعى قال: كان أعرابى عنده أربع نسوة: كِنْدية، وغَسانية، وشَيبانية وغَنوية! وكان الأعرابى غسانيا، وكن متظاهرات على الغنوية ويتحزبن عليها!

(١) الأسحار: جمع سحَر، وهو آخر الليل قبل الفجر. وكن الشيءَ كنّا: ستره.

(٢) ليت شعري: ليتني أعرف هل تجمعني وحبيبي الدار؟ والمنايا أطوار: تلاحقنا طورا بعد طور.

وذات يوم جمع بينهن ثم قال: لتقل كل واحدة منكن قولا تصف به نفسها:

فقالت الكِنْدية:

١ - كأنى جَنَى النحلِ والزَّنْجَبيل وصَفوُ الفواكه والسلسبيل[1]
٢ - يَزِينُ سَنَا الوجهِ لى مَبْسِمٌ كَمِثْل اللآلى، وعينٌ كحيل[2]

وقالت الغسانية:

١ - بَرانى إلهى إلهُ السَّما نِصْفًا قَضِيبا، ونِصفًا كَثيبًا
٢ - وألبَسنِى ما يَسوءُ الحَسُودَ جمالا، ومِلْحا، وحُسنا عجيبا[3]

وقالت الشيبانية:

١ - أفوقُ النساءَ إذا ما اجتمعْن كبدرِ السماءِ نجومَ الدُّجى[4]
٢ - وتَقْصُرُ عنى جميعُ الصفاتِ فمَن نالنى نال الرّجَا

وقالت الغَنوية:

١ - تزوّدْ بعينكِ من بَهجتي فقد خلق اللهُ منى الجمالا!
٢ - إذا ما تفرست فى رؤيتي رأيت هلالا وأحوى غزالا[5]



(١) الجنَى: بفتح الجيم والنون: كل ما يجنى. والعسل. والسلسبيل: الشراب السهل المرور فى الحلق لعذوبته.

(٢) سنا الوجه: السنا: الضوء الساطع. المبْسِم: الثغر. كحيل فيها الكحل فهي كحيلة ومكحولة.

(٣) براني: خلقني وأبدعني. نصفا قضيبا: كالقضيب والعود فى استقامته. أما نصفها الأسفل فهو كالكثيب الرملي.

(٤) الدُّجى: ظلام الليل. أي: كما يفوق بدر السماء نجوم الليل.

(٥) الأحوى: من فى شفتيه سمرة محببة. أي: وغزالا أحوى.

٣- بنات ذى الإصبع العدوانى يتحدثن عن زوج المستقبل (١)

كان لذى الإصبع العَدْوانى بنات أربع قد عقلن، فلم يزوجهن فاستمع إليهن مرة، فإذا يتناجين بأمانيهن، فقالت كبراهن:

ألا لَيتَ زوجى من أناسٍ ذوى غِنَى
حديثُ الشباب، طيّبُ النَّشر، والذكر (٢)
لَصُوقٌ بأكبادِ النساءِ كأنه
خليفةُ جانٍ لا ينامُ على وِتر (٣)

وقالت الثانية:

١- ألا ليتَه يُعطى الجِمالَ بديئةً
له جَفنةٌ تشقى بها النِّيب والجُزُرُ (٤)
٢- له محكماتُ الدهر من غير كَبْرَةٍ
تَشينُ فلا فانٍ، ولا ضَرَعٌ غَمْرُ (٥)

فقلن لها أنت تريدين سيدا .

وقالت الثالثة:

١- ألا هل تراها مَرَّةً وحَليلُها
أشَمُّ كنصلِ السيفِ عين المهنَّدِ (٦)
٢- عليمًا بأدواءِ النساء ورهطه (٧)
إذا ما انتمى من أهل بيتى ومَحتِدى (٨)

---

(١) مجمع الأمثال للميداني. عن المبرد. (٢) النشر: الرائحة الطيبة. والذكر: الصِّيت. (٣) وِتْر: ثأر.
(٤) النيب: ذات الناب الغليظ والمسنات من الإبل. والجزُر: جمع جزور: ما يصلح لأن يذبح من الإبل، ولفظه أنثى: يقال: هذه جزور سمينة.
(٥) الكِبرة: الإثم الكبير، وتشين: تعيب. وهي بالفتح: الكبر فى السِّنّ وهي المرادة. فلا فانٍ: هرم. والضَّرَع: الجبان، وغمْرٌ: لم يجرب الأمور.
(٦) المهنّد: السيف المنسوب إلى الهند. (٧) أدواء: جمع داء.. والمراد: خبير بهن وبطبائعهن.
(٨) انتمى: انتسب.

فقلن لها: أنت تريدين ابن عم لك قد عرفنه، وقلن للصغرى: ما تقولين؟ قالت: [...] أقول شيئا!

فقلن: لا ندعك وذاك.. إنك قد اطَّلعت على أسرارنا وتكتمين سرك! فقالت: «زو[...] من عُود خير من قُعود!».

فخُطبن، فزُوِّجن، ثم أُمهلهن حَوْلاً، ثم زار الكبرى، فقال لها: كيف رأيت زوجا[...]؟ فقالت: خيرَ زوج، يكرمُ أهلَه، ويَنسى فضلَه. قال: فما مالُكم؟ قالت: الإبل. قال: و[...] هي؟ قالت: نأكل لُحمانها مِزَعا[1]، ونشرب ألبانها جُرَعا[2]، وتحملنا وضَعَفَتنا[3] معا.

فقال: زوج كريم، ومال عميم.

ثم زار الثانية، فقال: كيف رأيت زوجك؟ قالت: يُكرم الحليلة[4]، ويُقَرِّبُ الوسيلة[5]. قال: فما مالُكم؟ قالت: البقر. قال: وما هي؟ قالت: تألفُ الفِناء، وتملأ الإناء، وتَوْدَكُ السِّقاء[6].. ونساء مع نساء! قال: رضيتِ فحَظِيتِ!

ثم زار الثالثة، فقال: كيف رأيت زوجك؟ فقالت: لا سَمحٌ بَذِر، ولا بخيل حَكِر[7]. قال: فما مالكم؟ قالت: المَعْزَى! قال: وما هي؟ قالت: لو كنا نولدها فطما، ونسلخها أُدُمًا[8] لم نبغ بها نَعَمًا. فقال: جَذْو مُغْنِية[9].

ثم زار الرابعة، فقال: كيف رأيت زوجك؟ قالت: شرّ زوج، يكرم نفسه، ويُهين عُرسَه! قال: فما مالكم؟ قالت: شر مال الضأن. قال: وما هي؟ قالت: جوف لا يشبعُن، وهيم لا ينفعْن[10]، وصُمّ لا يسمعن، وأمرَ مُغْويتِهن[11] يتبعن.

قال: أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن فى ماء أو وحل أو غير ذلك فيتبعنها عليه؟!

---

(١) جمع مِزعة وهي القطعة من اللحم ونحوه.

(٢) جُرَعا: جمع جُرعة. وهي حُسْوة ملء الفم.

(٣) ضعفتنا: جمع ضعيف وهو من لا يقوى على السير الطويل.

(٤) الحليلة: الزوجة.

(٥) الوسيلة: القُربى.

(٦) السقاء: وعاء من جلد يكون للماء واللبن، وكل ما يجعل فيه ما يسقى. وتَوْدَكُ السقاء: تجعله سمينا.

(٧) وسط فلا هو مسرف، ولا هو مقتر. (٨) أُدُما: جمع أديم، وهو الجلد. والنَّعَم: الإبل.

(٩) الجذو: جمع جذوة السّنام حمل الشحم. أي فيها ما يغني عن غيرها. والجذو القطعة.

(١٠) هيم: جمع هيماء.. التى اشتد بها العطش.

(١١) مغويتهن: التى تغويهن وتضلهن وتغريهن! وفى الفقرة الآتية خير تفسير للإغواء.

٤- ثلاث شاعرات: حاملات جرار الماء ومعن بن زائدة

خرج معن بن زائدة يوما للصيد، فلما أمعن فى البرّية[١] أدركه العطش، فرأى ثلاث جَوارٍ يحملهن جِرارًا، فاستسقاهن[٢] فسقينه، فاستحيا معن أن لا يصلهن[٣]، فطلب إلى غلامه شيئا من الدراهم فلم يجد! فدَفع لكل جارية عشرة أسهم نصالها[٤] من ذهب! فقالت إحداهن: ويلكنّ؛ لم تكن هذه الصفات إلا لمعن بن زائدة، فلتقل كل واحدة منكن شعرا:

فقالت الأولى:

ومُحاربٍ من طرفِ جود بَنانِه
عمّت مكارمُه الأقاربَ والعِدَا

صِيغتْ نِصالُ سِهامِه من عَسْجدٍ[٥]
كى لا يعوقَه القتالُ عن الندا[٦]

وقالت الثانية:

يُركّبُ فى السهامِ نِصالَ تِبْرٍ
ويرمى للعدا كرَمًا وجُودًا[٧]

فلِلْمَرضى علاجٌ من جراحٍ
وأكفانٌ لمن سكن اللحودا

وقالت الثالثة:

---

(١) البرّية: الصحراء. وأمعن فيها: توغل.
(٢) استسقاهن: طلب منهن السّقيا.
(٣) يقدم لهن صلة وعطية مقابل ما قدمنه.
(٤) النصل: حديدة الرمح، والسهم، والسكين.
(٥) عسجد: ذهب.
(٦) الندا: الكرم والعطاء.
(٧) التبر: الذهب.

ومــن جُــودِهِ يــرمــى الــعُــداةَ بــأَسْــهُــم
مــن الــذهــب الإبــريــز صــيــغــت نــصــالُــهــا[1]
لــيُــنْــفِــقَــهــا الــمــجــروحُ عــنــد انــقــطــاعــه
ويــشــتــرى الأكــفــانَ مــنــهــا قــتــيــلُــهــا[2]

وهكذا كان المقاتل العربى كريما شهما حتى مع أعدائه!

ألا ما أبعد الفرق بين مقاتلى اليوم وبين أولئك الكرام ذوى النجدة والشهامة.

٥ـ هند بنت النعمان والحجاج

كانت «هند بنة النعمان» أحسن أهل زمانها، فوُصف للحجاج حسنُها: فأنفذ يخطبها، وبذل لها جزيلا، وتزوج بها، وشرط لها عليه بعد الصداق مئتى ألف درهم، ودخل بها، ثم انحدرت معه إلى بلد أبيها «المعَرّة» مدة طويلة، ثم رحل بها إلى العراق، وكانت هند أديبة فصيحة شاعرة، فأقامت معه ما شاء الله، ثم دخل فى بعض الأيام عليها وهى تنظر فى المرآة وتقول:

١ـوما هــنــدُ إلا مُــهــرةٌ عــربــيــةٌ   سليلةُ أفراسٍ تجلّلها بغل[3]
٢ـفإن ولــدت فــحــلًا فــلِــلَّــهِ درُّهــا   وإن ولدت بغلا فجاء به البغل![4]

فانصرف الحجاج راجعا، ولم يدخل عليها، ولم تكن علمت به! فأراد الحجاج طلاقها، فأنفذ إليها عبد الله بن طاهر، وأنفذ له معها مئتى ألف درهم، وهى التى كانت لها عليه! وقال: يا بن طاهر، طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما! فدخل عليها عبد الله بن طاهر، فقال لها: يقول لله أبو محمد الحجاج: «كُنْتِ فَبِنْتِ!»![5]

وهذه المئتا ألف درهم التى كانت قِبَله! فقالت: اعلم يا بن طاهر، أنا كنا فما حَمِدْنا، وبِنَّا فما نَدِمنا! وهذه المئتا ألف التى جئت بها بشارة لك بخلاصى من كلب بنى ثقيف!

---

(١) الإبريز: الخالص الصافى.

(٢) عند انقطاع الجود.

(٣) تجللها- بالجيم-: علاها.

(٤) الفحل: الذكر القوي: ويقال فى المدح والتعجب: لله دره!

(٥) كنت زوجة، فصرت مطلقة طلاقا بائنا!

ثم بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها، ووُصِف له جمالها، فأرسل إليها يخطبها!

فأرسلت إليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه:

اعلم يا أمير المؤمنين أن الإناء قد وَلَغ فيه الكلب! [١]

فلما قرأ عبد الملك كتابها إليه ضحك من قولها، وكتب إليها يقول:

« إذا وَلَغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعا إحداهن بالتراب » فاغسلى الإناء يحلّ استعماله! فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم تمكنها المخالفة، فكتبت إليه بعد الثناء عليه:

يا أمير المؤمنين، والله لا أُحِلُّ العقدَ إلا بشرط، فإن قلت: ما هو الشرط؟ قلت: أن يقود الحجاج مَحْمَلى من المعرة إلى بلدك الذى أنت فيه، ويكون ماشيا حافيا بحُلّته التى كان فيها أولا! فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا، وأنفذ إلى الحجاج، وأمره بذلك.

فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الأمر، ولم يخالف، وأنفذ إلى هند يأمرها بالتجهز. فتجهزت، وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة بلد هند، فركبت هند فى محمل الزفاف، وركب حولها جواريها وخدمها، وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده، ويسير بها، فجعلت هند تتواغد [٢] عليه، وتضحك مع الهيفاء دايتها، ثم قالت للهيفاء: يا داية، اكشفى لى سجف المحمل فكشفته، فوقع وجهها فى وجه الحجاج فضحكت عليه، فأنشأ يقول:

فإن تضحكى منى فيا طولَ ليلةٍ
تركتك فيها كالقَباء المُفَرَّجِ [٣]

فأجابته هند تقول:

وما نُبالى إذا أرواحُنا سَلِمَت
بما فقدناه من مالٍ ومن نشبِ [٤]

---

(١) ولغ فيه الكلب: شرب ما فيه بأطراف لسانه، أو أدخل فيه لسانه فحركه فهو والغ. تقصد الحجاج.
(٢) تعامله معاملة الأوغاد، وتتشفى فيه.
(٣) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص، ويتمنطق عليه. والمفرّج: المتسع. الذى به فُرَج.
(٤) النشب: المال والعقار.



فـالـمـالُ مـكـتـسَـب، والـعـزُّ مـرتَـجَـع

إذا الـنـفـوسُ وقـاهـا الـلـه مـن عَـطَـبِ[1]

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة، فرمت بدينار على الأرض، ونادت: يا جَمّال، إنه قد سقط منى درهم فارفعه إلينا! فنظر الحجاج إلى الأرض، فلم يجد إلا دينارا، فقال: إنما هو دينار! فقالت: بل هو درهم.. قال: دينار! فقالت: الحمد لله، سقط منا درهم فَعَوَّضنا الله دينارا!! فخجل الحجاج، وسكت! ولم يَرُدّ جوابا، ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فدخل بها!

٦- عنان جارية الناطفى

من أحسن الشعراء بديهة، وأعذبهم حديثا فى رقة وجمال ؛ نادرا أن تجد مثلها فى النساء!

نشأت باليمامة، ثم اشتراها « الناطفى فى بَغداد »، فكان بيته من أجلها منتدى العظماء والشعراء!

-دخل « مَرْوان بن أبى حفصة » الشاعر عليها مع الناطفى، وحدث ما دعا الناطفى ضربها سوطا فبكت!

فقال مروان:

بـكـت عَـنـان فـجَـرَى دمـعُـهـا كـالـدُّرِّ إذ يـنْـسَـلُّ مـن خَـيْـطـه

فقالت مسرعة:

فـلـيـتَ مـن يَـضْـرِبُـهـا ظـالـمًـا تَـجِـفُّ يُـمـنـاهُ عـلـى سَـوْطِـه

-وطلب الرشيد من الشعراء أن يُجيزوا[2] قول جرير:

---

(١) عطب: فساد وهلاك.

(٢) الإجازة : أن يتم شاعر ما بدأ به الآخر على نفس الوزن والقافية. سواء كان نصف بيت.. أو بيتا كاملا.

إنِ الذين غَدَوْا بِلُبِّك غادَرُوا
وشَلاً بعينِك ما يزال مَعينا[1]

فلم يصنعوا شيئا!

وذهب أحد خدم القصر إلى «عنان» فأخبرها، فقالت: اكتب:

١-هيجتَ بالقولِ الذي قد قُلته
داءً بقلبي ما يزالُ كَمينا!

٢-قد أينعتْ ثمراتُه في روضِها
وسُقِينَ مِن ماءِ الهَوى فرَوِينا

٣-كذَب الذين تَقوّلوا يا سيدي
أن القلوبَ إذا هَوِين هَوَينا![2]

وأنشد أبو نُواس أمامها قول جرير:

١-ظللتُ أُواري صاحبيّ صَبابَتِي
وقد علقتني في هواك عُلوق[3]

فقالت:

٢-إذا عقل الخوفُ اللسانَ تكلمتْ
بأسراره عينٌ عليه نَطُوق[4]

وقال لها الناطفي: أجيزي:

١-كُلَّ يوم عن أقحوانٍ جديدِ   تضحك الأرضُ من بُكاء السماءْ[5]

---

(١) غدوا: ذهبوا غُدوة.. ما بين الفجر وطلوع الشمس. واللُّب: العقل. والوشل: الماء القليل يتحلب من جبل.. والقليل من الدمع. والمعين: الماء حين يجري ويسيل.

(٢) هَوِين: هَوِي فلان أحب. وهَوَى الشيء هويا: سقط من علو.

(٣) الصبابة: الشوق، أو رقته. وحرارته. وعَلِق فلانا: تمكن حبه من قلبه عُلوقا.

(٤) عقل الخوف اللسان: حبسه وقيدهُ.. نَطُوق: صيغة مبالغة من النطق أي أكثر تعبيرا.

(٥) أقحوان: نبت زهره أبيض أو أصفر، ورقه مؤلل كأسنان المنشار ومنه البابونج، وكثير في الأدب العربي تشبيه الأسنان بالأبيض المؤلل منه. والجمع أقاحٍ وأقاحِيّ قال البحتري:

كأنما يبسم عن لؤلؤ   منضد أو بَرَدٍ أو أقاح

وبكاء السماء يراد به المطر.

فقالت:

٢-فَهو كالوشْيِ من ثياب العروس   جلَبته التّجارُ من صَنْعَاءِ[1]

٧- الجمع بين مُحبَّين

أقبل صاحب الشرطة علَى « جعفر بن سليمان » بالبصرة يسوق أمامه فتى، ومعه جارية كانا فى خَلوة! فقال جعفر للفتى: ما تقول؟

قال: صدق - والله - لقد طال غرامى بها منذ سنين، ووالله ما أمكننى بها خلوة إلا فى هذا الوقت، ثم أنشده هذه الأبيات:

١-تمنيتُ من ربي: أفوزُ بقربها   فلما تهيأ لى المنى غاله العُسرُ[2]

٢-واللهِ ثُمَّ واللهِ ما كان ريبةٌ   وما كان إلا اللفظُ والضّحك والبشرُ[3]

٣-فدونكم جَلدى ولا تَجلِدوها   فكَمْ مِن حَرامٍ كان دونَه سِتْرُ

فجعلت الجارية تبكى لما حل بها، فقال لها جعفر: أتحبينه؟ قالت: فلم غررتُ[4] بنفسي؟ فقال لها جعفر: أحرة أنت أم مملوكة؟ قالت: مملوكة. فأحضر مولاها، واشتراها منه، وأعتقها، ثم زوجها للغلام، ووهب لهما مائة دينار، وكساهما، فقالت شاكرة:

١-قد جُدْتَ يا بنَ الأكرمينَ بنعمةٍ   جَمَعْتَ فيها بينَ المحبين فى سِترِ

٢-فلا زلتَ للإحسانِ كَهفًا وباغيًا   وقد جَلّ ما كان منك عن الشكر![5]

فضحك وأمر لها بجائزة على ما أنشدته، وانصرفا.

---

(١) الوشْيُ: نقش الثوب ويكون من كل لون. ونوع من الثياب الموشية. والتِّجار- بكسر التاء- جمع تاجر.

(٢) غاله العسر: حلت الشدة محل الفرج وضاعت آمالي. وضيق علينا.

(٣) ريبه: شك وتهمة، وظن سيئ.

(٤) غررت بنفسي: عرضتها لما أنا فيه!

(٥) باغيا: قاصدا وطالبا. وأكثر ما يستعمل فى معنى الخير: ابتغى لا بغى.

٨- عوسجة الشاعرة التي [١] رضيت بالله صاحبًا!

قال محمد بن المبارك الصوري:

خرجت حاجًا فإذا أنا بجارية سوداء يقال لها: عَوْسَجَة بلا غِطاء ولا وِطاء[٢]، سلمت عليها فردت السلام، ثم ثم قالت: ما زلت يا بن المبارك على بطالتك بعد؟![٣]

فقلت لها: وكيف عرفتِني؟ فقالت: أضاءت مصابيح الآمال في قلوب العُمّال، فتنوّرت جوارحي بنور الصفاء، فعرفتك بمعرفة مَن على العرش استوى!

قلت: وما الصَّفَا؟

قالت: ترك أخلاق الجَفَا![٤] قلت لها: من أين جئت؟ قالت: من عنده! قلت: وأين تريدين؟ قالت: إليه! قلت: بلا زادٍ ولا راحلة؟![٥]

قالت: يا أعمى، أسألك عن مسألة، لو أتى أحدكم واستزارهُ[٦] خاله إلى منزله، يجمل أن يحمل معه زادا؟! ثم أنشأت تقول:

١-ارضَ بـالـلـهِ صـاحـبـا وذَرِ الـنـاسَ جـانـبـا[٧]

٢-صـافِـه الـوُدَّ شـاهـدًا كـنـت أو كـنـت غـائـبـا

٣-لا تـودّنّ غـيـرهُ ذا رفـيـقـا مُـصـاحِـبـا

وقال صالح بن إسماعيل:

سمعت عوسجة، وهي تطوف بالبيت الشريف تقول:

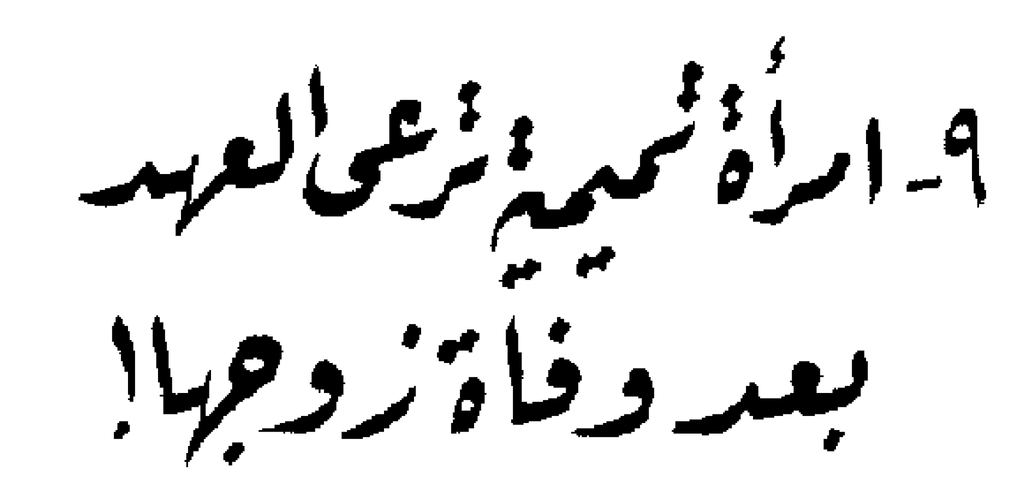
سَرائرُ كتمانٍ يبوحُ بها الهوى وإظهارُ وَعْدِ ما يُرادُ سِوَاهُ

وقال عبد الرحمن الواسطي: سمعت عَوْسَجَةَ، ذات ليلة تقول:

جُعِل الظلام مَطِيّةً لقيامه لِيَنالَ وصْلاً ما يريدُ سِواهُ[٨]

---

(١) عقلاء المجانين للنيسابوري.
(٢) ليس عليها ما تلتحف به، وليس تحتها ما تجلس عليه!
(٣) أي مازلت لم تعرف الطريق ولم تهتد بعد؟!
(٤) يقال: جفا فلان: ساء خُلُقُه. والجفوة: القطيعة.
(٥) الراحلة: من الإبل: الصالح للأسفار والأحمال.
(٦) استزاره: دعاه لزيارته.
(٧) ذر: دع واترك. ولقد أماتت العرب ماضيه ومصدره، فليس منه إلا المضارع (يذر)، والأمر (ذر).
(٨) أي: لقيام الليل.



٩- امرأة تميمية ترعى العهد بعد وفاة زوجها!

وقف إليها رجل، فأعجبته، وراودها عن نفسها، فقالت له: هَبْكَ ليس لك مانع أدب!! أمالك زاجر من الحياء؟!

قال لها: لن يرانا إلا الكواكبُ!

فقالت: وأين مكوكبها؟![١]

فقال: ألك بعل؟[٢]

قالت: قد كان، ولكن دُعي إلى ما خُلق له![٣]، ثم قالت:

١- إني وإن عَرَضَتْ أشياءُ تُضحكني
لَمُوجَعُ القلبِ مَطْوِيٌّ على الحزَنِ

٢- إذا دجا الليلُ أحيا لي تذكُّره
وزادني الصبحُ أشجانًا على شَجَني[٤]

٣- وكيف ترقدُ عينٌ صار مؤنسُها
بين التراب، وبين القبرِ والكفن؟!

٤- أبْلَى الثرى، وترابُ الأرضِ جِدّتَه
كأن صورتَه الحسناءَ لم تكنِ![٥]

٥- أبكِي عليه حنينًا حين أذكرُه
حنينَ والهةٍ حَنَّت إلى وطنِ[٦]

٦- والله لا أنسى حُبِّيَ الدهرَ ما سجعت
حمامةٌ، أو بكى طيرٌ على فَنَنِ[٧]

---

(١) خالقها ومبدعها وجاعلها تضيء للناس. (٢) بعل: زوج. (٣) لقي ربه.
(٤) دجا الليل: عمت ظلمته، وكل شيء. والشجن: الحزن.
(٥) الثرى: التراب المبلل بالندى. (٦) والهة: من اشتد حزنها حتى ذهب عقلها.
(٧) الفنَن: الغصن، والجمع أفنان.

فقال لها: هل لك فى زوج؟! فأطرقت مَليّا[١]، ثم قالت:

١- كنا كغصنين فى أصلٍ غِذاؤهما
ماءُ الجداولِ فى رَوْضَاتِ جَناتِ

٢- فاجتث خيرَهما من جَنْب صاحبه
دهر يكرّ بفرحاتٍ، وتِرحابِ[٢]

٣- وكان عاهدنى إن خاننى زمني
أن لا يضاجع أنثى بَعْدَ مَثْواتي![٣]

٤- وكنت عاهدتُه أيضا- فعاجَلَه
ريبُ المَنونِ مُذ سُنَيّاتِ[٤]

٥- فاصرف عِنَانَك عَمَّن ليس يردَعها
عن الوفاء خِلابٌ فى التحيات[٥]

فأكْبَرَها، وقدّرها، وتركها لحالها، وعظيم وفائها!

١٠- ريحانة التى صبرت على اللذات[٦]

قال إبراهيم بن أدهم[٧]: ذكرت لى « ريحانة » فخرجت إلى الأُبُلَّة[٨]، فإذا أنا بجارية سوداء، قد أثر البكاء فى خديها خطّا، فذاكرتها شيئا[٩] من أمر الآخرة، فأنشأت تقول:

---

(١) مَليّا: زمنا طويلا. (٢) اجتث: اقتلع، وخلع. (٣) مثواتي: موتى.

(٤) ريب المنون: حوادث الدهر، والمنون الموت. وسُنَيات: سنوات قليلة.

(٥) اصرف عنانك: العنان: سير اللجام الذى تمسك به الدابة. والمراد: ابحث عن طريق آخر. وخِلاب: خداع وفتنة للقلب.

(٦) عقلاء المجانين للنيسابوري.

(٧) من أبناء الملوك والمياسير خرج للصيد فهتف به هاتف أيقظه من غفلته وزهد.

(٨) بلدة على شاطئ دجلة، وهي أقدم من البصرة.

(٩) ذاكرتها: كلمتها فيه، وخضت معها فى حديثه.

١-مـن كـان راكـبَ يـومٍ لـيـس يَـأمَـنُـه
ولـيـلِـهِ تـائـهـا فـى عُـقْـبِ دُنْـيـاه[١]

٢-فـكـيـف يـلـتـذُّ عـيـشًا لا يَـطـيـبُ لـه
وكـيـف تـعـرفُ عـيـنَ الـغَـمْـضِ عـيـنـاهُ[٢]

وأنشدَتْ يوما :

١-صبَرْتُ على اللذاتِ حتى تولتِ   وألزمتُ نفسى صبرَها فاستمرتِ
٢-وما النفسُ إلا حيث يجعلُها الفتى   فإن أُطْعِمَتْ تاقتْ، وإلا تسَلَّتِ[٣]

ولها أيضا :

١-وما عاشقُ الدنيا بناجٍ من الرَّدَى   ولا خارجٍ منها بغير غليل[٤]
٢-فكم ملكٍ قد صفَّرَ الموتُ بيتَه   وأُخرج مِن ظِلٍّ عليه ظَليل![٥]

وترى أن علمه بحالها يُغنى عن سؤالها!

١-حَسْبُ الـمحبِّ من الـحبيب بعلمه
أن الـمُـحِـبّ بـبـابِـه مَـطْـروحُ![٦]

٢-والـقـلـبُ فـيـه إن تـنـفسَ فى الـدُّجَىٰ
بـسـهـام لـوعـاتِ الـهـوى مَـجْـروحُ

وكان كل أملها أن تفوز بدار القرار . . فكانت تقول :

١-بِـوَجْـهِـك لا تـعـذبْـنى فـإنـي   أؤمّـل أن أفـوز بـخـيـر دارْ
٢-مُـنَـجَّـدَةٍ مـزخـرفـةِ الـعـلالـي
بـهـا الـمـأوى وهْـىَ نـعـمَ الـقَـرارْ[٧]

٣-وأنـت مـجـاورُ الأبـرارِ فـيـهـا
ولـولا أنـت مـا طـاب الـمَـزارْ

---

(١) يجري وراء الدنيا غير آمن من يومه وليله. وعُقب كل شيء: آخره وخاتمته.
(٢) عين الغمض: حقيقته.
(٣) تسلت: تعزت ونسيت.
(٤) غليل: غيظ وشدة عطش.
(٥) جعله صفرا خاليا منه.
(٦) حسبه: يكفيه.
(٧) العلالى: جمع عُلِّيّة، وهي الغرفة فى الطبقة الثانية من الدار وما فوقها.

وتنصح النوام فتقول:

١-اجعل لنفسك فى الليالى نَبْهَةً
تنبهك من خَلَلِ المنامِ[١]
٢-واثْنَسْ إلى طولِ القِيام مُخَلِّدا
واترك لذاذَ النومِ والأحلامِ[٢]

وتنصح ثانية فتقول:

١-تعَوّد سَهَرَ الليالي فإن النوم خُسْرانُ
٢-ولا تركَنْ إلى الذنبِ فإن الذنبَ نيرانُ

٣-فكن للوحى دَرّاسًا وللقراء أخدانُ[٣]
٤-إذا ما الليلُ فاجأهم فهم فى الليل رُهبانُ
٥-يميلون كما مال من الأرياح أغصانُ

وتتجلى نظرتها إلى الدنيا فى قولها:

١-أرى الدنيا لِمَنْ هِىَ فى يدَيْه
عذابًا كُلَّما كَبُرت لَدَيْه
٢-تُهِينُ المُكْرِمَاتِ لها بِصِغَرٍ
وتُكْرِمُ كلَّ مَن هانَت عليه
٣-إذا استغْنَيتَ عن شيء فدعْهُ
وخذ ما كنتَ محتاجًا إليه!

***

---

(١) النبهة: الصحوة والإيقاظة. وخلل المنام: ما يتخلله من ركون إلى لذيذ النوم والأحلام.
(٢) مخلدًا: مطيلا الإقامة بالمكان.
(٣) جمع خدن، وهو الصديق والمرافق.

١١- نزهون الغرناطية
وروح الدعابة عندها!

هى بنت القلاعى من أهل المئة الخامسة. من شواعر الأندلس الصادحات[١]، ومن أعذبهن نفسًا وطبعا، ولها فى مجالس الوزراء منزلة عالية.

كانت تقرأ على أبى بكر المخزومى الأعمى، فدخل عليهما رجل فقال يخاطب المخزومي:

لو كُنتَ تُبصِرُ مَن تُجالِسُه (......................)

وأُفْحِمَ فلم يستطع إتْمامه!

عندئذ قالت نزهون على البديهة:

.... لغدوت أخرسَ من خَلَاخِلِه

البدرُ يطلُع من أَزِرّتِه والغُصنُ يمرَحُ فى غلائله[٢]

وقالت:

١- للهِ دَرُّ الليالى ما أُحَيسِنَهَا وما أُحَيسِنَ منها ليلةَ الأحدِ

٢- لو كنت حاضرَنا فيها وقد غفَلت عينُ الرقيبِ فلم تنظرْ إلى أحدِ

٣- أبصرت شمسَ الضُّحى فى ساعِدَى قمر بل ريمَ خازِمةٍ فى ساعِدَىْ أسدِ[٣]

ومن نوادرها أن ابن قزمان الشاعر جاء ليناظرها، وكان فى حُلة صفراء، فلما رأته قالت له:

إنك اليوم كبقرة بنى إسرائيل «صَفْراءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا»[٤] ولكن: لا تسر الناظرين!!

❊

---

(١) صدح الطائر: رفع صوته فأطرب.

(٢) الغلائل: جمع غِلالة، وهي ثوب رقيق يلبس تحت الدثار. (٣) الريم: الظبى الخالص البياض.

(٤) اقتباس من الآية الكريمة ﴿صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ رقم ٦٩ من سورة البقرة.

١٢- حيّونة التي ودت النهار ليلًا [١]

قال راشد بن علقمة الأهوازي:

كانت حَيُّونة إذا جنّها الليل تقول فى دعائها:

« يا واحدى تُمتِّعِني بالليل التلاوة، ثم تقطعنى عنك بك فى ضياء النهار؟! إلهي.. وَدِدْتُ أن النهار ليل، حتى أتمتع بقربك!

-وزارت رابعةُ العدوية حيونةَ، فلما كان جوف الليل حمل النوم على رابعة، فقامت « حيونة » فركلتها[٢] برجلها وهى تقول: قومي.. قد جاء عُرس المهتدين.. يا من زيّن عرائسَ الليل بنورِ التَّهجُّد!![٣]

وكانت تقول:

١-ولـيـس لـلـمـيِّـت فـى قـبـرهِ فِـطـر، ولا أَضـحـى، ولا عَـشْـر[٤]

٢-بـان مــن الأهــل عــلـى قــربــه كــذلــك مــن مَــســكــنُــه الــقــبــر[٥]

وقالت: قد لامنى خلقك فى خدمتك، فَوَعِزَّتِك وجلالك لأخدمنك حتى لا يبقى لى عصب ولا قصب[٦] ثم قالت:

يـا ذا الـذى وعـد الـرّضـى لـحـبـيـبـه أنــت الــذى مــا إن ســواك أريــدُ

---

(١) عقلاء المجانين للنيسابوري.

(٢) ركلتها: رفستها برجلها.

(٣) التهجد: الصلاة بالليل.

(٤) والعشر: قد يراد بها العشر الأواخر من رمضان.

(٥) بان: بعد. فبينما هو على مسافة خطوات من مساكن الأحياء إلا أنه بعيد على القرب.

(٦) القصب من العظام: كل عظم أجوف فيه مخ واحدته قصبة. وكل عظم عريض: لوح.

١٣- شاعرة مصرية تعارض قصيدة [١] الحصرى الغزلية بقصيدة رثائية!

« زينب عبد السلام » شاعرة مصرية حفيدة شقيق الشاعر الكبير « إسماعيل صبرى باشا ».

وإليك القصيدة التى قالتها فى « رثاء إسماعيل صبرى باشا »، وعارضت بها الشاعر المشهور (أبو الحسن الحُصْرى القَيْرَوانى) التى أولها:

يا ليلُ، الصَّبُّ متى غدُه   أقيامُ الساعةِ مَوْعِدُه؟!
رقد السُّمَّارُ فأرّقه   أسفٌ للبين يُرَدِّدُه!! [٢]

فقالت فى معارضة هذه القصيدة فى فن الرثاء!!

الحزنُ بقلبى مَعْهدُه   وحنايا ضلوعى مَرْقَدُه [٣]
والبينُ حليفى من صِغَرِي   وقديما كنتُ أكابِدُه [٤]
والنارُ تمشّت فى كَبِدي   والجَفنُ أطال تسهُّده
لم يُبق الدهرُ- على ثُكْلِي-   ما يَصْلُحُ إلا أفسدَه
ونَعَى الناعى فذهِلتُ له   ونَحَ الناعى ما أنكدَه
هل عاد لدهرى من أملٍ   بعد (اسماعيل) يبدِّدُه
من بعد رحيلِك يا صَبْري   بحنان تُحيِينى يَدُه
يا ذُخْرًا كنت أعزُّ به   يا حِصْنًا كنتُ أُشَيِّدُه

***

أنصيرَ البائسِ قُمْ لترى   مِنْ بَعْدِكَ مَن يتعهدُه
يا جَدًّا كنتُ أحِنُّ له   وعميدًا كنتُ أُمَجِّدُه
أبكيك وقلبى فى حُرَقٍ   والجسمُ تألَّمَ عُوَّدُه

---

(١) المعارضة فى الشعر: المباراة فى الإتيان بمثل ما أتى به الأول منهما وزنا وقافية.
(٢) الصب: العاشق المحب. والسّمار: المتحدثون بليل. والبين: البعد.
(٣) معهده: مستقره ومكانه.   (٤) البين: الفراق.

مـن يَـجْـبُـرُ كـسـرَ الـقـلـب إذا ... مـا جـار الـدهـرُ وعـانـدَه
يـا مُـوقـظَ مِـصـرَ لـنـهـضـتِـهـا ... ودلـيـلَ الـشـعـبِ ومُـرشـدَه
ويُـحـيِ لـلـقـصـرِ وظُـلْـمـتِـه ... والـقـصـرُ تـغـيّـبَ فـرقَـدُه[1]
والـشـمـسُ تـوارت فـى حُـجُـبٍ ... تـبـكـى مَـرآهُ وتَـنْـشُـدُه
يـالـهـفَ فـؤادى يـا أسـفـي ... أسـفًـا مـازلـتُ أردِّدُه
قـد فـقـدَتْ مِـصـرُ بـمَـصْـرَعِـه ... صَـدّاح الـشـعـر مـغـرِّدَه
يـا نـورَ الـحَـيِّ وبـهـجـتَـه ... يـا ربَّ الـرأيِ مُـسَـدِّده
مـن يـقـضـى غـيرُك لـلـمظلـو ... م، ومَـن لـلـشـاكـى يُـنْـجِـدُه
أبـكـى الإنـصـافَ وشِـرعـتَـه ... أبـكـى الإحـسـانَ ومَـوْرِدَه
وبـيـانًـا يـسـحَـرُ مـن فَـمِـهِ ... وأمـيـرَ الـشـعـرِ وسـيـدَه
مُـذْ سِـرْتَ ونـعـشُـك تـحـرسُـه ... مُـهَـجُ الـوزراء وتُـرشِـدُه
ولِـواءُ الـنـظـيـم يُـظَـلِّـلُـهُ ... وجُـنـودُ الـنَّـثْـر تـسـانـده
والـخـلْـقُ وراءك فـى وجَـلٍ ... وجَـلالُ الـمـوتِ ومَـشْـهَـدُه
وتـوارَى شـخـصُـك عـن نـظـري ... حـقـرت الـكـونَ وسُـؤدَدُه

***

وهـممـتُ أعـالـجُ فـيـك الـشِّـعْـرَ ... فـمـا طـاوَعَـنِـى جَـيِّـدُه
يـا قـبـرًا ضـمّ لـه جَـسَـدًا ... كـنـا نـرعـاه «وَنَـقْـصِـدُه»
رفـقـا فـالـداءُ أحـاط بـه ... ورَثـى لِـضَـنَـاهُ لاحِـدُهُ
أبـنـاتِ الـجَـدِّ ونَـجْـلَـيْـهِ ... الـصَّـبـرُ رداءُ نـحـمَـدُه!

معارضة أمينة عباس

وبين معارضات كبار شعراء العرب جاءت معارضة الشاعرة المصرية «أمينة عباس» ، وشاركت النساء فحول الشعراء فى معارضة هذه القصيدة التى ذاعت وشاعت.

١-يـا فـردَ الـحُـسـنِ وأوْحَـدَه ... هـل أنـت لِـقَـلْـبـى مُـسْـعِـدُه

---

(١) فرقده: نجمه.

٢-قد طالَ الشوق ولم ينفَدْ　　فى قلبى معنًى أُنشِدُه
٣-مُضْنَاك اليومَ على خطرٍ　　ماذا يُجديك تَنَهُّدُه؟
٤-الذكرى تؤلمه أبدًا　　والليلُ جفاهُ أسوَدُه
٥-والدهرُ رماهُ بأرْزاءٍ　　ما أقسَى الدهرَ وأنكدَه!
٦-الأمسُ وماضى ذكراهُ　　مازال اليوم يردِّدُه
٧-والشوقُ بَراهُ وأرَّقهُ　　ماظَنِّى أنك تُنجِدُه
٨-كم كنا نمرحُ فى الماضي　　ما أحلى الأمسَ وأسعدَه
٩-فى روض الحُبِّ لقد كُنّا　　من حُسْنِ اللحنِ نُرَدِّدُه
١٠-والطيرُ تُغَرِّد من طربٍ　　فتثيرُ القلبَ وتُجْهِدُه
١١-فارحم مُضناك فلا أملٌ　　إلا إن شئت تجدِّدُه
١٢-برضاك وإن العيش رِضَى　　فعساه لِسَعْيك يَحْمَدُه

١٤- أسماء المُرِّية
تحن إلى نجد!

تزوجها رجلٌ من تِهامة، ونقلها إليها فقالت له:

ما فعلتْ ريحٌ من نجد كانت تأتينا يقال لها: الصَّبا؟[1] ما رأيتُها هاهنا!!

فقال: يحجزها عنا هذان الجبلان! فقالت:

١-أيا جَبَلَيْ نَعْمانَ باللهِ خلّيا
نسيمَ الصَّبا يخلُصْ إليّ نسيمُها
٢-فإن الصَّبا ريحٌ إذا ما تنفسَتْ
على قلبِ محزونٍ تجلَّت همومُها

---

(١) الصَّبا: ريح مَهبُّها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار ومقابلتها: الدَّبُور. وتهامة: أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال فى الحجاز واليمن.

٣-أَجِـدْ بـردَهـا أو تَـشْـفِ مِـنِّـى حـرارةً
عـلـى كـبـدٍ لـم يـبـقَ إلا صـمـيـمُـهـا[(١)]

٤-أيـا جـبـلَـىْ وادى عُـرَيْـعِـرَةَ الـتـى
نـأَتْ عـن نَـوى قـومٍ وحُـمَّ قُـدومُـهـا[(٢)]

٥-ألا خـلـيـا مَـجْـرَىٰ الـجَـنُـوب لَـعَـلَّـه
يـداوى فـؤادى مـن جَـواه نـسـيـمُـهـا[(٣)]

٦-وكـيـف تـداوى الـريـحُ شـوقًـا مـمـاطـلاً
وعـيـنـا طـويـلا بـالـدمـوعِ سُـجُـومُـهـا[(٤)]

٧-وقـولا لـركـبـانٍ تـمـيـمـيـة غـدت
إلـى الـبـيـت تـرجـو أن تُـحَـطَّ جُـرومُـهـا[(٥)]

٨-بـأنّ بـأكـنـافِ الـرَّغـام غـريـبـةً
مُـوَلَّـهـةً ثَـكْـلَـى طـويـلا نـئـيـمُـهـا[(٦)]

٩-مـقـطـعـةً أحـشـاؤهـا مـن جَـوَى الـهَـوَى
وتـبـريـحِ شـوقٍ عـاكـفٍ مـا يُـريـحُـهـا[(٧)]

---

(١) الصميم من القلب ونحوهُ : وسطه.
(٢) حُمّ الشيء: قرب.
(٣) جواه: اشتدادُ وجده من عشق أو حزن.
(٤) سجومها: سيل دموعها قليلا أو كثيرا.
(٥) الجروم: جمع جِرم بكسر الجيم، الجسد.
(٦) بأكناف الرغام: الأكناف جمع كنَف وهو جانب الشيء. والرغام التراب. مولّهة: ولّهها الحزن والوجد وفرق بينها وبين أهلها. ثكلى: فقدت الحبيب. والنئيم: الأنين الخفيف.
(٧) تبريح شوق: اشتداده وما يحدثه من جهد ومشقة.

١٥- أعرابية تتحدث عن الهوى!

جاء فى الموشى أو «الظرف والظرفاء» أن أعرابية سئلت عن الهوى، فقالت: الهوى: هو الهوان، وإنما غُلط باسمه، واشتُق من طبعه، ولن يعرفَ ما أقول إلا من أبكته المنازل، والطلول![1] وأنشأت تقول:

١- ليت الهوَى لِذَوِى الهوى لم يُخْلَقِ
بل ليت قلبى بالهوى لَمْ يعلَقِ

٢- إن الذى عَلِقَ الهَوَى بفُؤادِه
كمُنوَّطٍ دون السماء مُعَلَّقِ[2]

٣- لا يستطيعُ نزولَه لشقائه
لكن إليه كلُّ همٍّ يرتقى

٤- إن الهوَى لَهُوَ الهوانُ بعينه
ما ذاق طعمَ الذل من لَمْ يعشَق

ويقول الوشَّاء: وأُنشِدْتُ لغيرها:

١- إن الهوى هو الهوانُ نُقِصَ اسمُه
فإذا هَويتَ لقد لَقيتَ هَوَانَا

٢- وإذا هويتَ لَقَدْ تَعَبَّدكَ الهوى
فاخضع لِحُبِّك كائنا من كانا!

---

(١) جمع طلل: وهو ما بقي من آثار بيوت المحبين.
(٢) منوط: مربوط بالنياط وهي الحبال.

١٦- بنت أسلم بن عبد البكري

تنقذ أباها وأهلها من يد الحجاج

قبض الحجاج على أبيها، ورام قتله، فقال:

أيها الأمير، إني أعول أربعا وعشرين امرأة! وأحضرهن، وكان في آخرهن «جارية»[١] قاربت عشر سنين فقال لها الحجاج: من أنت منه؟ قالت: أنا ابنته، ثم أنشأت تقول:

١-أَحَجاجُ لم تشهدْ مَقامَ بناتِه	وعماتِه يَنْدُبْنه الليلَ أجمَعَا
٢-أحجاجُ لم تقتل به إن قتلتَه	ثمانًا وعشرا، واثنتين، وأربعا
٣-أحجاجُ من هذا يقوم مقامَه	علينا فمهلا لا تَزِدْنا تَضَعْضُعَا
٤-أحجاجُ إما أن تجودَ بنعمةٍ	علينا وإما أن تُقَتِّلَنا مَعَا

فرق لها الحجاج، وبكي.. وكتب إلى عبد الملك يخبره بأمرهم! فكتب إليه الخليفة عبد الملك أن يُحسن صلتَهم، ويعفوَ عن الرجل بفضل هذه البنت الشاعرة التي قاربت عشر سنين.



١٧- أم ثواب من بني هزان (٢)

وابنها العاق!

أم ثواب شاعرة عربية من «بني هزان» بطن من «عنزة» كان لابنها العاق موقف منها، فعاشت معه تجربة مؤلمة لنموذَج لم يرعَ حق الأمومة!! وصفتها لنا بقولها:

١-ربَّيتُه وهْوَ مِثْلُ الفرْخِ أَعْظَمُه
أُمُّ الطعامِ ترى في جِلدِه زغَبا[٣]

---

(١) تطلق كلمة الجارية على الفَتِيّة من النساء.

(٢) ديوان الحماسة لأبي تمام الجزء الأول ص ٣١٦.

(٣) الفرخ: كل صغير من الحيوان. وأم الطعام: المعدة. والزغَب: صغار الريش. وقوله: ترى في جلده زغبا: كناية عن صغره، وأنه لا يحسن القيام بأمر نفسه. تقول: أحسنت إليه وهو صغير، وقمت بأمره أتم قيام، وأعظم ما فيه معدته، ولا يحسن شيئا من أمر نفسه.

٢-حتى إذا آضَ كالفُحّالِ شَذَّبه
أَبّاره، ونفى عن جلدِه الزغَبا[(١)]

٣-أنشا يُمَزقُ أثوابي ويضربني
أبعدَ شَيبِيَ يبغى عِنديَ الأَدَبا[(٢)]

٤-إنى لأُبصِرُ فى تَرجيلِ لِمَّتِه
وخطِّ لِحْيَتِه فى خَدِّه عَجَبا[(٣)]

٥-قالت له عِرْسُه يومًا لِتُسْمِعَنِي
مَهلاً؛ فإنّ لنا فى أُمِّنا أَربا[(٤)]

٦-ولو رأتِنيَ فى نارِ مُسَعَّرَةٍ
ثم استطاعتْ لزادت فوقها حطبا[(٥)]

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فقد تناول العقوق أيضا الآباء وسَجَّلَه الشعراء!

***

(١) آضَ: صار. والفُحّال: فحل النخل. والأبّار: الملقح والمصلح للنخل. وشذَّبه: ألقى عنه كُرَبَه التى هي أصول السعف. والمتن: الظهر. المعنى: وما زلت به حتى كبر واستقام أمره، ووجد القوة باستصلاح أحواله.. أنشا.. إلخ.

(٢) أنشا: ابتدأ خففت همزته للضرورة، وهو من أفعال الشروع. وقوله: يمزق أثوابي: كناية عن الإهانة والتقريع. وقوله: يؤدبني في معنى التعليل لما يفعله بها. وقوله: أبعد شيبي.. إلخ إنكار منها عليه تقول: ربيته، وهو ضعيف مثل الفرخ، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال أخذ يضربني ويهينني. يريد بذلك تأديبي فيما يزعم، وتأديب المسن لا يجدى ولا يفيد.

(٣) الترجيل: غسل الشعر ومشطه. واللِّمّة: الشعر المجتمع المجاوز شحمة الأذن والمعنى: إني لأشاهد فى تحسين شعره، وخط لحيته في خده عجبا. تريد: إني لأعجب كيف تحول عما كنت أعهده فيه إلى ما أجده منه الساعة؟!

(٤) عِرسه: امرأته. والأرب: الحاجة. والمعنى: إن لنا أربا إلى أمنا في جميع أمورنا لأن لها السن والتجربة.

(٥) مسعرة: موقدة. والمعنى: أنها تغرني بقولها الأول، فإن ضميرها مخالف لنطقها تريد أن عرسه تنهاه عن إيذائي ظاهرا، وهي تود هلاكي.

أمية بن أبي الصلت(١)
وابن له عاق

لم يقتصر العقوق على الأمهات بل تعداهن إلى الآباء، وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فقد ضم أدبنا العربي إلى جانب قصيدة « أم ثواب » رائعة أخرى «لأمية بن أبي الصلت» وقد عاش تجربة أليمة مع ابنه كتلك التي عاشتها « أم ثواب » ترى أيهما أجاد وأفاد؟!

نموذج لم يرع حق الأبوة!!

١- غذوتُك مولودًا، ومُنتُك يافعًا
تُعَلُّ بما أُدني إليك، وتُنْهَلُ(٢)

٢- إذا ليلةٌ نابتك بالشَّكْوِ لَمْ أبِتْ
لشكواك إلا ساهرًا أتَمَلْمَلُ(٣)

٣- كأنّي أَنا المطروقُ دونَك بالذي
طُرِقتَ به دوني فعيني تَهْمُلُ(٤)

٤- تخافُ الرَّدَى نَفسِي عَليكَ وإنها
لَتَعلَمُ أن الموت حَتمٌ مُؤَجَّلُ(٥)

٥- فلما بلغتَ السِّنَّ والغاية التي
إليها مَدَى ما كنت فيك أُؤَمِّلُ(٦)

---

(١) ديوان الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٣١٤ . وأمية بن أبي الصت أدرك الجاهلية والإسلام، ولم يكتب له الإسلام، وهو شاعر مجيد.. وعاش حتى رثى أهل بدر. قال الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ما يكون في الآخرة، وعنترة بعامة ما يكون في الحرب. وقد صدقه النبي ﷺ في بعض شعره. وتروى هذه الأبيات لابن عبد الأعلى. وقيل: هي لأبي العباس الأعمى.

(٢) غذوتك : أي قمت بمئونتك. وعلتك: أي قمت بشأنك، واليافع: المقتبل الشباب. وتعل: من العلل، وهو الشرب الثاني، وتنهل: من النهل وهو الشرب الأول. والمعنى: ربيتك وأنت مولود، وقمت بأحوالك في شبابك أقرب إليك من منافعك، ما يمكنني تقريبه، فتأخذ منه الكثير والقليل.

(٣) أتململ: أتقلب على المَلّة وهي الجمر. والمعنى: أنه إذا أصاب ولده ما يؤذيه لا يرتاح حتى يرتاح ابنه.

(٤) معناه: كأن الذى أصاب ولده من الشكوى أصابه هو ولم يصب ابنه!!

(٥) الردى: الهلاك. والحتم: الواجب- والمعنى: تعدم نفسي القرار خوفا عليك من الهلاك مع أنها لم يبعد عنها أن الموت حتم واقع.

(٦) فلما بلغت السن: أي فلما أدركت سن الرجال. وجواب « لما » في البيت بعده، وهو قوله جعلت جزائي.. إلخ.

٦-جعلتَ جَزائي منك جَبْهًا وغِلْظَةً
كأنك أنتَ المُنْعِمُ المتفضِّلُ[(١)]

٧-فليتك إذ لم ترعَ حق أبوتي
فعلتَ كَمَا الجارُ المجاور يفعلُ[(٢)]

٨-وسَمّيتني باسم المفنَّد رأيُه
وفي رأيك التفنيدُ لو كنتَ تعقلُ[(٣)]

٩-تراهُ مُعِدًّا للخلافِ كأنه
بِرَدٍّ على أهل الصوابِ مُوَكَّلُ[(٤)]

«لما اشتدَّ ساعده رماني!»

والعرب يضربون هذا المثل لمن يسيء إليك، وقد أحسنت إليه، ويقول شاعرهم في ذلك:

١-فيا عجبًا لمن ربيتُ طِفلاً ... أُلَقِّمُه بأطرافِ البَنانِ[(٥)]

٢-أُعلِّمُه الرماية كل يومٍ ... فلما اشتدّ ساعدُه رماني[(٦)]

٣-وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني[(٧)]

٤-أعلّمه الفُتُوَّة كلَّ وقتٍ ... فلما طرّ شاربُه جفاني![(٨)]

---

(١) الجَبْهُ: مقابلة الإنسان بما يكرهه. والمعنى: لما أديت حق التربية جازيتني بالسوء والمجاهرة كأنك صاحب النعمة والفضل.

(٢) المعنى: فليتك إذ لم ترع حق الأبوة عاملتني معاملة الجار لجاره بالرعاية.

(٣) فَنَّدَهُ: نسبه إلى سوء العقل. والمعنى: لم تجد لي مكافأة سوى أن نسبتني إلى الغباوة، ولو كنت تعقل لعلمت أن «التفنيد» في رأيك لا في رأيي!

(٤) تراه مُعِدًّا: أي: مُهيِّئًا للخلاف نفسه. ويقال: فلان موكل بكذا: أي ملازم له. يقول: ترى هذا الولد قد هيأ نفسه للخلاف والرد على أهل الصواب كأنه مجبول على الرد عليهم والغض من شأنهم!

(٥) أي منذ الصغر، فهكذا يطعم الأطفال على قدر حلوقهم وأفواههم. والبنان جمع بنانة.

(٦) الساعد: ما بين المرفق والكف من أعلى (مذكر).

(٧) يريد الشعر. وتطلق القافية على نهاية البيت من الشعر. ويراد بها الشعر.

(٨) طرّ شاربه: نبت.

١٨- زوجة ابن مية تطالب بثأر زوجها
أجيران ابن مية خبروني !

الشاعرة امرأة قُتِل زوجها ابن مَيّة فى جوار الزِّبْرَقَان بن بدر فلم يطلب بثأره، فقالت فى ذلك أبياتًا من الشعر.

وتفصيل خبر هذه الأبيات أن رجلا من بنى عبد القيس يقال له : « ابن مية » كان جارا للزبرقان بن بدر، فقتله رجل من « بنى عوف بن كعب »، وهو فى جوار « الزِّبرقان » يقال له: « هزال » في موضع يقال له: « شبرمان »، فأبطأ الزبرقان فى طلب ثأره، فقالت امرأة ابن مية هذه الأبيات. فحلف الزبرقان ليقتلن هزالا، ثم سعت بنو سعد حتى أرضوه ووُدِيَ[١] ابنُ مية. وها هى ذى أبياتها:

١- متى تَرِدُوا عُكاظَ تُوافِقُوهَا ... بأسماعٍ مجادِعُها قِصارُ[٢]

٢- أجيرانَ ابنِ مَيّةَ خَبِّروني ... أعينٌ لابنِ مَيّةَ أم ضِمارُ؟[٣]

٣- تجلَّلَ خِزيَها عوفُ بن كعبٍ ... فليس لِخَلْفِها منه اعتذارُ[٤]

٤- فإنكمُ وما تخفون منها ... كذاتِ الشيبِ ليس لها خِمارُ[٥]

---

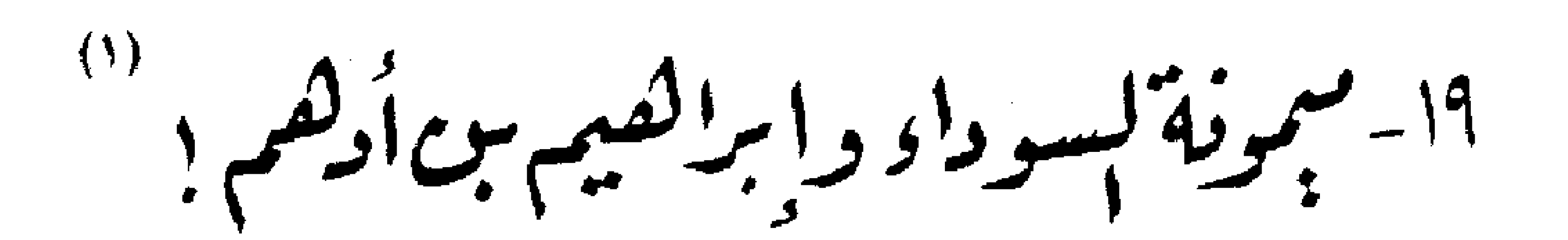
(١) وُدِي : دفعت ديته ، ولم يذهب دمه هدرًا .

(٢) عُكاظ: اسم سوق كانت للعرب فى الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع فيها كل سنة يتفاخرون، ويحضرها شعراؤهم، ويتناشدون ما أحدثوه من الشعر. والمجادع: أماكن الجدع والقطع. تقول للذين لم يأخذوا ثأر زوجها: إذا حضرتم سوق عكاظ: والتقيتم بأهلها تصاممتم لكثرة ما تسمعون من عيوبكم كأن أسماعكم مجدوعة مقطوعة فلا تسمعون!

(٣) ابن مية: زوجها المقتول. والعين: النقد الحاضر والضمار: الدَّيْن الذى لا يرجى قضاؤه. والمعنى: هل تستطيعون أن تدركوا ثأر زوجي، أو يذهب دمه باطلا وهدرا لعجزكم عن الثأر له؟!

(٤) تجلل خزيها: لبسه. والخلف: بفتح الخاء وسكون اللام-: أولاد السوء، ولا يستعمل إلا فى الذم. والمعنى: أن بني عوف هم الذين لبسوا مذلة هذه الخطة وركبهم خزيها ولا مخلص لبنيهم من ذلك الخزي الذى لحقهم.

(٥) إنكم فى محاولتكم أن يخفى على الناس ما ركبكم من ذل هذه الخطيئة ومخازيها كامرأة عجوز لا تجد ما تخفى به شيبها فالأمر أظهر من أن يخفى على أحد!



١٩- ميمونة السوداء وإبراهيم بن أدهم ! [١]

قال إبراهيم بن أدهم : رأيت فى المنام كأن قائلا يقول : إن « ميمونة السوداء » زوجتُك فى الجنة! قال : فكنت أطلبها حتى وجدت أثرها بحِمص، فطلبتها، فقيل : إنها مجنونة لا تألف أحدا!! قلت : فأين هي؟! قال : دَفَعْنا إليها أغناما ترعاها فى الجبانة، فخرجتُ إلى الجبانة، فإذ هى قائمة تصلي، والشاة والذئب فى مكان واحد!!

فوقفت متعجبا! فلما قضت الصلاة، قالت : يا إبراهيم؛ الموعد فى الجنة لا هنا، فعجبت من فطنتها، فقلت : يا سبحانَ الله! ألست مؤتَمنَة على هذه الأغنام؟! قالت : بلى! قلت : فلم عطلتيها حتى سَوَّطَها الذئب؟![٢] فقالت : سلَّمتها إلى مُنْشئها، ثم قالت : ارتفعت الحشمة بينى وبين من أنا قائمة بين يديه، فهو الذى رفع الوحشة بين الشاة والذئب، ثم ولّت وأنشأت :

١-قلوبُ العارفين لها عُيونُ ... ترى ما لا يراه الناظرونا

٢-وألسنةٌ بسِرٍّ قد تُناجِي ... تغيبُ عن الكرامِ الكاتبينا[٣]

٣-وأجنحة تطير بغير ريش ... إلى ملكوت رب العالمينا[٤]

٤-فتسقيها شارب الصدقِ صِرْفا ... وتشرب من كئوس العارفينا[٥]

---

(١) عقلاء المجانين للنيسابوري.

(٢) سوطها الذئب أي خالطها.

(٣) الكرام الكاتبين : الملائكة.

(٤) الملكوت : عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس والعجائب.

(٥) صِرْفا : خالصا صافيا.

٢٠- امرأة يضايقها زوجها فتعبر عما تعانيه منه شعرًا

كان زوجها يدأب على مضايقتها.. حتى ضاق صدرها، وأخذت تنفس عن نفسها بهذه الأبيات:

١- يا من يُلَذِّذُ نفسَه بعذابي
ويرى مقاربتي أشدَّ عذابِ[1]

٢- مهما يُلاقِ الصابرون فإنهم
يُؤتَون أجرَهُم بغيرِ حسابِ[2]

٣- لو كنتَ من أهل المُروءَة وفيت لي
إن الوفاءَ حُلَى أُولِى الألبابِ

٤- مازلتُ فى استعطاف قلبك بالهوىٰ
كالمرتَجِى مطرًا بغير سَحابِ

٥- يا رحمةً لى فى يديك ورحمةً
لى منك يا شَينَا من الأصحابِ

٦- يا ليتنى من قبلِ مِلكك عِصمتي
أمسيتُ مِلكًا فى يد الأعراب!

٧- هل لى إليك إساءةٌ جازيتَها
إلا لِباسِى حُلّةَ الآداب؟!

---

(١) مقاربتي: محادثتي محادثة حسنة، ومشاركتي الرأي.

(٢) اقتباس من الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٢١- امرأة تهجو زوجها

إنها امرأةُ « قتادة بن مُغرب اليشكري » تهجوه قائلة:

١- حَلَفْتُ ولم أكذبْ، وإلّا فكُلّ ما
ما ملكتُ أُهديه لبيت الله حافية[١]

٢- لو أنّ المنايا أعرضَتْ لاقْتَحَمْتُها
مخافةَ « فِيه » إن « فيه » لداهيَة[٢]

٣- فما جيفةُ الخِنزيرِ عند ابنِ مُغْرِبٍ
قتادةَ إلا ريحُ مِسْكٍ وغالية[٣]

٤- فكيف اصطباري يا قتادةُ بعدما
شَمِمْتُ الذي من فيك أثْأَى صِمَاخِية[٤]

❊

---

(١) ولم أكذب: جملة حالية؛ أي حلفت صادقة فى خبري، وقولها لبيت الله: تريد لمن حول بيت الله. والمعنى: إني حلفت صادقة فى يميني، وإن لم أصدق فيها، فجميع ما أملكه أهديه لمن حول بيت الله وأنا حافية.

(٢) أعرضت: أي ظهرت من عُرضها- بضم العين- أي من جانبها الذى تجيء منه- لاقتحمنها، أي رميت بنفسي فيها. والمعنى: أنها تختار الموت، ولا تختار أن تعيش مع زوجها خوفا من بخَر فمه؛ لأن بخَره من جملة الدواهي- وهذا البيت فيه جواب عن القسم الذى فى البيت قبله.

(٣) الغالية: من الطيب- والمعنى أنها بالغت فى بخر فمه حتى جعلت رائحة الجيفة عنده كرائحة المسك. تريد: ما رائحة جيفة الخِنزير بالنسبة إلى رائحة فمه إلا ريح مسك وطيب!

(٤) أثأى: أفسد، والمعنى: أنها تخاطب زوجها بأنها لا تستطيع الصبر على معاشرته بعد ما شمت من بخر فمه ما أثرت رائحته فى أذنها، فكيف حال الأنف؟!

٢٢- عائشة بنت أحمد القرطبية
تدخل السرور على قلب المظفر

دخلت على المظفر بن المنصور، وبين يديه ولد، فقالت له:

١-أراكَ اللهُ فيه ما تريدُ ولا بَرِحتْ مَعاليه تزيدُ
٢-فقد دلت مخايله على ما تؤمِّلُه، وطالعُه السعيدُ[1]
٣-تشوقت الجيادُ له وهزّ الـ حُسَام له، وأشرقت البنود[2]
٤-وكيف يخيب شبل قد نَمَتْه إلى العَليا ضراغمةٌ أسودُ؟![3]
٥-فسوف تراه بدرًا في سماءٍ من العَليا كواكبُه الجنودُ
٦-فأنتم آلُ عامرَ خيرُ آلٍ زكا الأبناءُ منكم والجدُودُ[4]
٧-وَلِيدُكُمُ لدَى رأيٍ كشيخٍ وشيخُكم لدى حَربٍ وليدُ

فسُر المظفر بما قالت أيما سرور!

ولها مطلع قصيدة بديع لم نعثر على تتمته قالت:

لولا الدموعُ لَمَا خَشِيتُ عَذُولاً فهْيَ الَّتِي جَعَلَتْ إليكَ سبيلًا

---

(١) مخايله: جمع مَخِيلة وهي الظن ويقال: ظهرت فيه مخايل النجابة: دلائلها ومظنتها. طالعه: ما يتنبأ له به من مستقبل سعيد.

(٢) البنود: جمع بند وهو العلم الكبير، وهذا دليل على مستقبله في القيادة.

(٣) الضراغمة: جمع ضِرغام وهو الأسد الضاري الشديد والشجاع. والشبل: ولد الأسد. ونمته: رفعته وأعلت شأنه.

(٤) زكا: طهر، وصلح، وكانوا صفوة.

٢٣- أم حكيم ترتجز وهي تحارب!

روى أبو الفرج فى الأغانى أن امرأة من الخوارج[١] كانت مع قَطَرِيّ بن الفجاءة، يقال لها: أم حكيم، وكانت أشجع الناس، وأجملهم وجها، وأشدهم بالدين تمسكا، أخبر من شاهدها فى الحرب أنها كانت تحمل على الناس وترتجز[٢]:

أحـمـلُ رأسًـا قـد سـئِـمْـتُ حَـمْـلَـه

وقـد مَـلَـلْـتُ دَهْـنَـه وغَـسْـلَـه

ألا فـتـى يـحـمـلُ عـنـى ثـقـلَـه!!

وحدث أن أرسل ابن زياد، أسلم بن زرْعة فى ألفين لمحاربة «فِرْقتها» فهزمته، وكانت فى أربعين من الخوارج، فقال (ابن زياد: ويلك! أتمضى فى ألفين فتنهزم لحملة أربعين؟) وكان أسلم هذا إذا خرج إلى السوق، أو مَرّ بصبيان، صاحوا به: أم حكيم وراءك!!

***

٢٤- امرأة أبي حمزة الضَّبّي

هجرها زوجها حين ولدت بنتا! ومر يوما بخبائها، فإذا هى ترقِّصُها وتقول

١-مـا لأبـى حـمـزةَ لا يـأتـيـنـا   يَـظلّ فـى الـبـيـت الـذى يـلـيـنـا

٢-غـضـبـانَ أن لا نَـلِـدَ الـبـنـيـنَـا   تَـالـلـهِ مـا ذلـك فـى أيـديـنـا!

٣-وإنـمـا نـأخـذ مـا أُعـطـيـنـا   ونـحـن كـالأرض لـزارعـيـنـا

نُـنْـبِـتُ مـا قـد زرعـوه فـيـنـا

فرق لحالها.. وصالحها.. وعاشا فى أمان الله!

---

(١) الخوارج قوم خرجوا عن طاعة الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ست وستين للهجرة، تزعمهم قطري بن الفُجاءة، وحاربت معه أم حكيم وظل يقاتل عشرين سنة حتى مات مقتولا سنة ٧٨هـ أيام كان الحجاج واليا على العراق.

(٢) تحمل على الناس: تهجم. وترتجز تقول شعرا من بحر الرجز.

٢٥- أسماء صاحبة جعد بن مِهجع العُذرى

أحبها جَعد، وتزوجها فى قصة طويلة، فأبدت له بعد الزواج كثيرا من الحب كانت تخفيه عنه من قبل! وسألها عن ذلك فقالت:

١- كتمتُ الهوى أنى رأيتك جازعًا
فقلتُ: فتى بُعْدَ الصديقِ يُريد (١)
٢- فإن تَطَّرِحْنِي، أو تقول: فتيَة
يضربُها بَرْحُ الهوى فتعودُ (٢)
٣- فورَّيتُ عما بي، وفى الكبد والحشا
من الوَجد بَرْحٌ فاعلمَنّ شديدُ (٣)

فعرف السر وراء ما كانت تخفيه من حب قبل الزواج!

٢٦- الشيماء بنت الحارث السعدية (٤)

واسمها: حذافة، وهى أخت النبى ﷺ من الرضاعة كانت تُرَقِّصُه ﷺ وهو صغير.. وتقول:

يا ربَّنَا أبْقِ لنا مُحَمَّدا حتى أراهُ يافعًا وأمْرَدَا
ثم أَرَاهُ سيِّدًا مُسَوَّدَا واكبِتْ أعادِيه مَعًا والحُسَّدا
وأَعطِه عِزًّا يدومُ أبدَا

(١) جازعا: قليل الصبر على ما نزل بك. فقلت عندئذ: إنك لا تريدني.
(٢) تطّرحني: تلقني، وتباعد بيني وبينك. وبرّح الهوى: شدته.
(٣) ورّيت عما بي: أظهرت غيره مع أنني أضمر حبك.
(٤) تاريخ الطبري- الاستيعاب لابن عبد البر- شرح الزرقاني على المواهب. الإصابة لابن حجر.

فكان أبو عروة الأزدى إذا أنشدها يقول: ما أحسن ما أجاب الله دعاءها!!

لقد وقعت الشيماء فى إحدى الوقعات بين المسلمين والمشركين سنة ٨هـ بيد المسلمين فقالت لهم: تعلمون - والله- أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها، حتى أتوا بها رسول الله ﷺ. فقالت: يا رسول الله، إنى أختك! قال: وما علامَةُ ذلك؟ قالت: عضة عَضَضْتنيها فى ظهري، وأنا مُتَوَرِّكَتُك، فعرف رسول الله ﷺ العَلامة، فبسط لها رداءه، ثم قال: هاهنا، فأجلسها عليه، وخيَّرها، وقال: إن أحببت فعندى محببة مكرمة، وإن أحببت أمتعك وترجعى إلى قومك. قالت: بل تمتعني، وتردنى إلى قومي، فمتعها رسول الله ﷺ وردها إلى قومها وأعطاها نَعَمًا وشاءً، وثلاثة أعبُد، وجارية[1]. [تاريخ الطبري-الإصابة-الاستيعاب]

٢٧- شاعرة تزوجت شيخا بعد شاب تعبر عن تجربتها معهما

هذه الشاعرة تزوجت شابا فاستطابت عيشَها معه، ثم طلقها وتزوجت شيخا فلم تحتمل صُحبتَه، فقالت معبرة عن تجربتها معهما:

١-فَـقَـدْتُ الـشـيـوخَ وأشـيَـاعَـهـم
وذلـك مـن بـعـض أَقْـوَالِـيَـهْ[2]

٢-تـرى زوجـةَ الـشـيـخ مَـغْـمُـومَـةً
وتُـمـسـى لـصـحـبـتِـه قـالـيـهْ[3]

٣-لـه ذَفَـر كـصُـنـانِ الـتُّـيـو
سِ أعـيـا عـلـى الـمِـسْـكِ والـغَـالـيـهْ[4]

---

(١) «فقدت الشيوخ» هذا دعاء عليهم. وأشياعهم: أتباعهم، ومن يرضى بهم، أو يتعصب لهم. وتشير إلى أن لها طرائق فى ذم الشيوخ! فنراها هنا تدعو على الشيوخ الطاعنين فى السن ومن يرضى مناكحهم.

(٢) الجزء الثاني من حماسة أبى تمام- باب الملح.

(٣) قالية: مبغضة كارهة. والمعنى: أن نساء الرجال الطاعنين فى السن فى غم وكرب، يتمنين مفارقتهم، ويبغضن مصاحبتهم، لما يجدنه من نكد العيش وضيقه.

(٤) الذَّفر: الريح طيبة كانت أو خبيثة، وأرادت هنا الخبيثة، والصُّنان: ذفر الإبط. والغالية طيب. والمراد أن رائحته منتنة مثل رائحة التيوس، ومهما ادّهن وتطيب فريحه الخبيثة تغلب الروائح الطيبة!

٢٨- ابنة الوالى وأحد عمال أبيها

روى ابن الجوزى فى كتابه « ذم الهوى » أن أحد ولاة مصر وَجِد[١] على بعض عماله، فحبسه وقيده، فأشرفت عليه ابنة الوالي، فهويته!

-فكتب إليه وكان قد نظر إليها:

١-أيها الرامي بِعَينَيهِ ... وفي الطَّرْفِ الحُتوفُ[٢]

٢-إن تُرِدْ وصلها فقد أمسَكَتْكَ ... الظَّبيُ الألَوفُ[٣]

فأجابها الفتى:

١-إن تَريني زانيَ العَينَيـ ... ـن فالفَرْجُ عَفِيفُ

٢-ليس إلا النظرُ الفا ... تِرُ، والشِّعرُ الظريفُ

فكتبت إليه:

١-قد أردناك على عِشْـ ... ـقِك إنسانًا عَفَيفَا

٢-فتأبَّيْتَ[٤] فلا زلْـ ... ـت لقيديك حليفا[٥]

فأجابها:

١-ما تأبيتُ لأني ... كنت للظَّبْى عَيُوفَا[٦]

٢-غير أنى خِفت ربًا ... كان بى بَرًا لطيفَا!!

---

(١) وَجِد عليه موجدة: غضب.

(٢) الطرف: النظر. و الحتوف: جمع حتف وهو الهلاك.

(٣) الظبى الألوف: تعني نفسها.

(٤) تأبيت: امتنعت. وتمنعت.

(٥) ملازما.

(٦) عيوفا: كارها.

٢٩- زوجتان تعاير إحداهما الأخرى بوليدها وترد عليها أم الوليدة!

تزوج أعرابى بأخرى على امرأة له، فولدت الجديدة غلاما، وكان للقديمة بنت، فأقبلت أم الغلام ترقصه يوما، وتقول معيِّرة الأخرى:

١-الحمدُ للهِ الحميدِ الغالي أنقذَني اليومَ منَ الجوالي[١]

٢-من كلِّ شَوْهاءَ كشَنٍّ بالي لا تدفعُ الضيمَ عن العيالِ[٢]

فسمعتها ضَرّتها، فأقبلت ترقّص ابنتَها وتقول:

١-وما علىَّ أن تكون جارية تغسِل رأسِى وتكون الفالية

٢-وترفع الساقطَ من خِماريه حتى إذا ما بَلَغَتْ ثمانية

٣-أزَرْتها بنَقْبةٍ يمانيَة أُنكحها مَرْوانَ أو مُعاويةْ[٣]

أصهارَ صدق ومُهورٍ غاليةْ

فسمع بذلك مَروان؛ فتزوجها على مئة ألف مثقال، وقال: إن أمها حقيقة[٤] ألا يكذَّب ظنّها، ولا يُخانُ عهدُها. فقال معاوية: لولا أن مروانَ سبقنا لأضعفنا[٥] إليها المهر، ولكن لن تُحْرَمَ الصلة!، فبعث إليها بمئة ألف درهم.

---

(١) الجوالى: الدنانير المجلوة لم تصدأ. تحمد الله الذي أنقذها من خلفة البنات.

(٢) الشن: القربة البالية. والضيم: الذل.

(٣) أزّرتها: ألبستها إزارًا. وهو ما يحيط بالنصف الأسفل. والنقبة: سراويل بغير ساقين. ويمانية: صنعت فى اليمن، وكانت اليمن تشتهر بصنعها.

(٤) حقيقة: جديرة. سنكون عند حسن ظنها. والمثقال: درهم وثلاثة أسباع الدرهم، والدرهم: قطعة من فضة مضروبة للمعاملة. وجزء من اثنى عشر جزءًا من الأوقية.

(٥) جعلناه مضاعفا.

٣٠- جاريتان تتبادلان الشعر بالنيابة عن زوجتين: قديمة وجديدة!

قال الشافعي:

تزوج رجل من الأعراب امرأة جديدة على أخرى قديمة، فكانت جارية الجديدة تمر على باب القديمة وتقول:

وما يستوى الرِّجلان: رجلٌ صحيحةٌ
وأخرى رمى فيها الزمانُ فشُلَّتِ

ثم مرت بعد أيام وقالت:

وما يَسْتَوِي الثوبانِ: ثوبٌ به البِلى
وثوبٌ بأيدى البائعين جَديدُ(١)

فخرجت إليها جارية القديمة وقالت:

١-نَقِّل فؤادَك ما استطعتَ من الهوى
ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأوّلِ!
٢-كم منزِلٍ فى الأرضِ يَألَفُه الفتى
وحنينُه أبدًا لأول منزلِ

وعرفت الجديدة أن الحب للحبيب الأول، وإن كان لكل جديد لذة لكنها سرعان ما تزول!

---

(١) البِلى- بكسر الباء- يقال بَليَ الثوب بِلًى: رَثّ.

٣١- الشاعرة التي آثرت الموت على المعصية

حكى أحد التجار الكبار قال:

كنت ذات ليلة فى منزلى فقرع على الباب قَارع، وإذا أنا بشابة جميلة، فشكت إلي جوعها، فحادثتها، ثم راودتها عن نفسها فقالت: الموت، ولا معصية ربي! ثم رجعت من حيث أتت!

وبعد أيام عادت، وشكت إلى، فقلت لها كما قلتُ أولا، فبكت، ثم دخلت البيت وقد أشرفت على الهلاك! ثم قالت: تطعمنى لوجه الله!

فقلت: لا، إلا أن تمكنينى من نفسك!، فقالت: الموت خير من عذاب الله!

ثم انصرفت وهى تقول:

١- أيا واحدًا إِحسانُه شمِلَ الخَلْقَا
بسمعك ما أشكو، بِعينك ما ألقَى[١]

٢- لقد صَدَمَتْنى شِدّةٌ وخَصَاصَةٌ
ونازَلَنى ما بعضُه يَمْنعُ النُّطْقَا[٢]

٣- كأنى ظمآن ترى الماءَ عينُه
فلا غُلّةٌ تُروَى، ولا شربة تُسْقَىٰ[٣]

٤- تُنازِعنى نفسى إلى نيل أَكْلةٍ
لَذاذَتُها تفنىٰ، وغُصَّتُها تبقى[٤]

٥- أأعصيكَ بعد الفَضْلِ والجُودِ، والهُدَىٰ
وكيف، وبالطاعات أستجلبُ الرزقَا؟!

---

(١) يا من تسمع شكواي، وترى حالي!

(٢) الفقر والحاجة وسوء الحال. ونازلني: حاربني وواجهتني شدائد!

(٣) الغُلة- بضم الغين- شدة العطش وحرارته.

(٤) تنازعني نفسي: تجعلني أشتاق إليها على الرغم مني! والغصة: ما يعترض فى الحلق من طعام أو شراب.

٦-سأتلفها في نَيلِ حُبّك سَيّدي
عَسَايَ بها أستوجبُ القُربَ والعِتْقَا[(١)]

قال: فجزعت لما سمعت من قولها، ودخل في قلبي الإيمان، وقلت لها: عودي، وكلي، وخذي من المال ما شئت لله! فقالت: اللهم كما أثْرت قلبَه، فأجب دعاءه، ولا رده خائبا! فكان ما دعت به.. وتقدم إليها بطلب يدها في الحلال.. وعاشا سعيدين!

***

٣٢- فُرَيْعة بنت همام الزلفاء

كان لها مع الخليفة عمر بن الخطاب قصة!

لقد سمعها عمر ليلا تنشد هذا الشعر:

١-يا ليت شعريَ عن نفسي أزاهِقَةٌ
مِني، ولم أقضِ ما فيها من الحاجِ[(٢)]

٢-ألا سبيلَ إلى خَمْرٍ فأشرَبَها
أم لا سبيلَ إلى نصرِ بن حجاجِ[(٣)]

٣-إلى فتى ماجدِ الأخلاقِ ذي كرم
سهلِ المُحيَّا كريمِ غيرِ مِلجاجِ[(٤)]

٤-تنميه أعراقُ صدقٍ حيث تنسبه
تضيء سُنَّتُه في الحالك الداجي[(٥)]

٥-نعم الفتى في سوادِ الليلِ نُصْرَتُه
ليائسٍ، أو لملهوفٍ ومُحتَاجِ!

---

(١) سأتلفها: سأفنيها.. والعتق: من عذاب النار وغضب الجبار.

(٢) ياليت شعري.. إلخ.. يا هؤلاء ليتني أعرف مصيري.

(٣) كان أجمل الرجال في ذلك الوقت بالجزيرة.

(٤) المحيا: الوجه. غير ملجاج: لا يتمادى في الخصومة.

(٥) تنميه: ينتمي إلى أصول مجيدة عريقة. وسنته: سيرته.

٦-يا منيةً لم أَرُمَ فيها بضائرةِ
والناسُ من صادقٍ منها ومن راجِي

وعندما علمت أن عمر ﷺ اطلع على أمرها أرسلت إليه بالأبيات الآتية:

١-قل للإمام الذى تُخْشَى بوادرهُ
ما لي، وللخمرِ، أو نصرِ بن حجاج؟![1]

٢-إنى عَنيتُ أبا حفصٍ بذكرهما
شربَ الحليبِ، وطرفى قاصر ساجى

٣-لا تجعل الظن حقا أو تَيَقَّنَه
إن السبيلَ سبيلُ الخائف الراجي

٤-إن الهوى زمّه التقوى وقيده
حتى أُقِرَّ بالِجامِ وإسراجِ

٣٣- ميسون بنت بَحْدل ومعاوية

نشأت فى حجر أبويها بصحارَى نجد، وشبت على الجمال الرائق، والأدب الفائق، وعلم معاوية بأمرها فخطبها من أهلها، وتزوجها!

وأتى بها إلى دمشق، وأحلّها قصر فخما، واستحضر لها من الثياب الحريرية وغيرها ما لم يخطر ببالها! ولكنها حَنَّت إلى وطنها.. إلى حياتها البدوية! وذات يوم اشتد بها الحنين، فأنشأت تقول:

لَبَيْتٌ تخفِقُ الأرواحُ فيه
أحبُّ إليّ من قَصْرِ مُنيفِ[2]

(١) بوادره: جمع بادرة وهي: ما يبدر من الرجل عند غضبه. والغضبة السريعة.
(٢) الأرواح: الرياح جمع ريح الهواء.

ولُـبْـسُ عـبـاءَةٍ وتـقَـرَّ عـيـنـي
أحـبُّ إلـيّ مـن لُـبْـسِ الـشُّـفُـوفِ[1]
وأكـلُ كُـسَـيْـرَةٍ فـي كِـسْـر بـيـتـي
أحـبُّ إلـيّ مـن أكـلِ الـرغـيـفِ[2]
وأصـواتُ الـريـاحِ بـكُـلِّ فَـجّ
أحـبُّ إلـيّ مـن نَـقْـرِ الـدُّفـوفِ[3]
وكـلـبٌ يَـنْـبَـحُ الـطُّـرَّاقَ دونـي
أحـبُّ إلـيّ مـن قِـطّ ألـيـف[4]
وبَـكْـرٌ يـتْـبـعُ الأظـعـانَ صَـعْـبٌ
أحـبُّ إلـيّ مـن بـغـلٍ زَفـوفِ[5]
وبَـغْـلٌ مـن بـنـي عَـمِّـي ضـعـيـفٌ
أحـبُّ إلـيّ مـن مَـلِـكٍ عَـنـيـفِ[6]
فـمـا أبـغـى سـوى وطـنـى بـديـلا
فـحـسـبـى ذاك مـن وطـن شـريـفِ

واتفق أن معاوية كان على بابها، وقت إنشادها ففهم معناها، وفطن إلى مرماها، وتأثر منها، واغتاظ من إنكارها جميلَهُ، فدخل عليها، وقال لها: « كُنتِ فبِنْتِ »![7]

فقالت « لا والله ما سُررنا إذ كُنا، ولا أسفنا إذ بِنا » فألحقها بقومها!

---

(١) الشُّفوف: جمع شف، وهو الثوب الرقيق.

(٢) كسيرة: تصغير كِسرة، وهي القطعة من الخبز. وكسر البيت جانب منه. وفى رواية « فى قعر بيتي ».

(٣) الفجّ: الناحية، والدفوف: جمع دف. آلة الطرب المعروفة، مركبة من إطار خشبي على جلد رقيق.

(٤) الطُّراق: جمع طارق، وهو الآتي ليلا. تريد اللصوص.

(٥) البَكْر: الفَتيّ من الإبل. والأظعان: جمع ظعينة، وهو الجمل تركبه المرأة وهي ظعينه. والزّفوف: الحسن المشي السريعة.

(٦) تعني معاوية.

(٧) كنت زوجة، فأصبحت بائنًا.

٣٤- شفاء الحب !

كانت أم الضحاك المحاربية تحت رجل[١] من بنى الضباب، فطلقها، وكانت تحبه حبا جما، فراحت تبحث عما يُنسيها، وقالت:

سـألـتُ الـمـحـبِّـيـن الـذيـن تـحـمـلـوا
تـباريـحَ هـذا الـحُـبِّ مـن سـالـفِ الـدهـرِ[٢]

فـقـلـت لـهـم: مـا يُـذهـبُ الـحُـبَّ بـعـدمـا
تـبـوّأ مـا بـيـن الـجـوانـحِ والـصّـدْرِ؟![٣]

فـقـالـوا: شـفـاءُ الـحـبِّ حُـبٌّ يُـزيـلُـه
مـن آخـر، أو نـأْيٌ طـويـلٌ عـلـى هـجـرِ[٤]

أو الـيـأس حـتـى تـذهـبَ الـنـفـسُ بـعـدمـا
رجَتْ طـمـعًـا، والـيـأس عـون عـلـى الـصـبـر[٥]

---

(١) يعني زوجة له.

(٢) تباريح: آلام ومشقة.

(٣) تبوأ: أقام، والجوانح: الجوانب، والمراد أن سكن القلب وأقام، وصادف قلبا خاليا فتمكن.

(٤) نأى: بعد.

(٥) إن شفاء الحب بحب كما قال الشاعر: فداوني بالتى كانت هي الداء وكذلك البعد الطويل مع الهجر، وكذلك اليأس فإنه عون على الصبر.

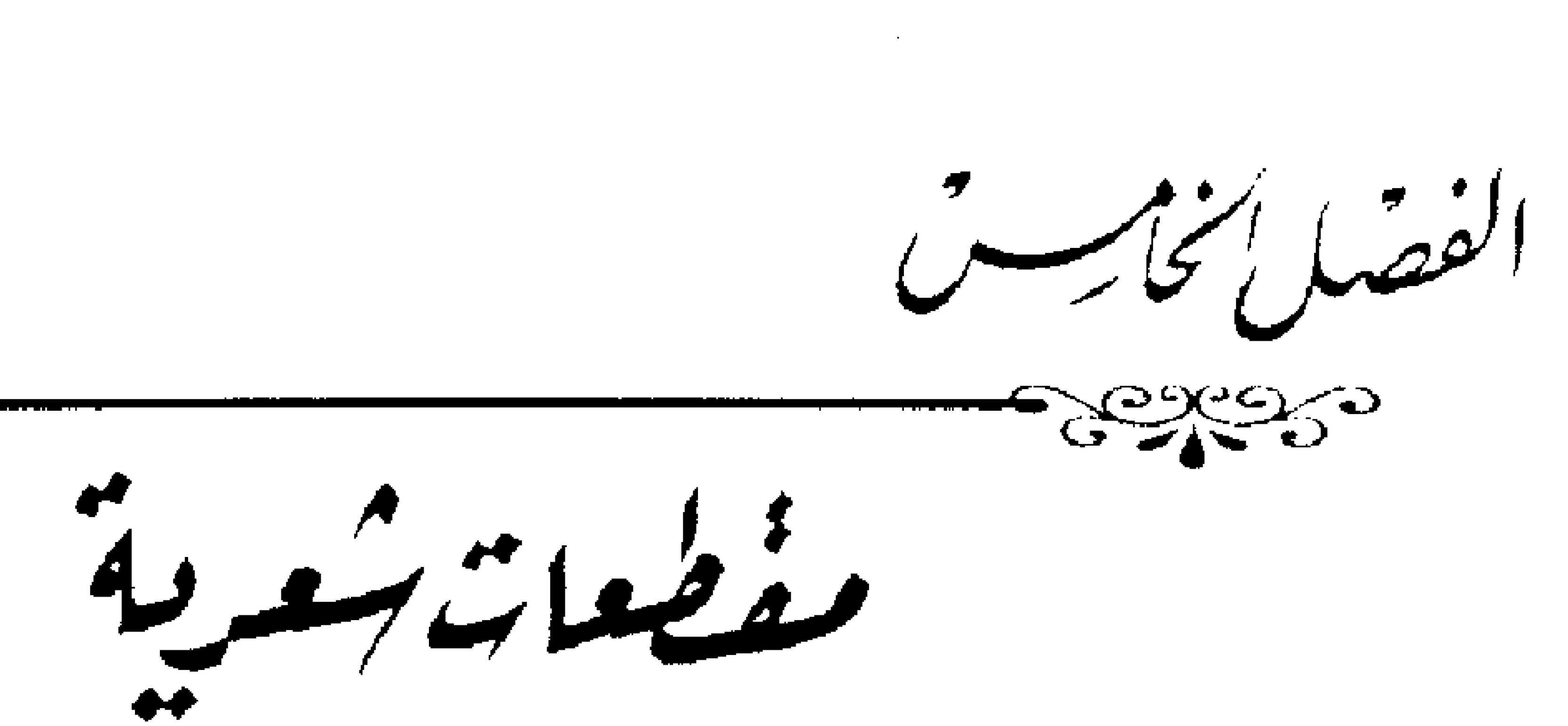
٣٥- من كان لحمه من الأزواج بطنه ![1]

كان رجل من أهل الشام مع الحجَّاج الثقفى يعد له طعامه فكتب إلى امرأته يعلمها بذلك، ويحدثها عن ألوان الطعام! فكتبت إليه:

أيُهدَى لى القِرطاسُ والخُبزُ حاجتي
وأنت على باب الأميرِ بَطينُ؟![2]
إذا غبتَ لم تذكر صديقا ولم تُقِمْ
فأنت على ما فى يديك ضنين![3]
فأنت كَكلبِ السُّوءِ جوّعَ أهلَه
فيُهزَل أهلُ البيتِ وهو سمينُ![4]

---

(١) الأمالي لأبى على القالي.
(٢) القرطاس: الورق، تقصد الخطاب الذى بعث به إليها. وهي تعني أن الورق وما تضمنه لا يغني من جوع!
(٣) ضنين: شحيح.
(٤) يهزل: يصيبهم الهُزال والضعف والسقم.



وردت على ألسنة الأمهات العربيات
عند ترقيصهنَ الصِّبيان والبنات!

- **بين يدى النماذج المختارة:**

ترقيص الصبيان والبنات بالغناء والكلام الموزون من طبائع الإنسان فى كل مكان.

ولم يكن القصد منه مجرد الملاعبة، والمداعبة، بادئ ذى بدء، بل كان من أقوم الوسائل لتربية الطفل، وغرس جميل الخصال، وحميد الفعال فيه قبل أن يشتد عوده. ثم توسعوا فى ذلك، واتخذوا من ترقيص الطفل بالمقطَعات الشعرية بث أغراض أخرى تلوح لهم يقصدون بها مآربَ يُسِرُّونها : كالدعاء، واللوم والعتاب، والتبكيت والتقريع، والتعريض، والمدح والذم، إلى غير ذلك مما يبدو وكأنه من باب : « واسمعى يا جارة! ».

ولقد تناقلت «أمهات كتب الأدب» ما روى عن الآباء والأمهات فى ترقيص الأبناء والبنات، وأتيح لى أن أختار منها عشرين نموذجاً. ومن يتتبع هذه الأقوال يحكم لها بحسن الأداء، وجمال التركيب، وسبك الألفاظ، وسمو الأفكار مما جعل اللغويين يستشهدون بها!

وقد اقتصرت هنا على ما ورد عن الأمهات عدا بعض المطارحات التى تبادلها الآباء والأمهات لما فيها من طرافة. ولست أدرى لم عدلت الأمهات اليوم عن هذا اللون إلى غيره مما لا غناء فيه، ولا هدف! وإليك بعض النماذج...



١- الشيماء والنبي ﷺ

عن حليمة مرضعة النبى ﷺ أنها كانت بعد رجوعها بسيدنا محمد من مكة لا تدعه أن يذهب مكانا بعيدا عنها[(١)].

فغفلت عنه يوما فى الظهيرة، فخرجت تطلبه، فوجدته مع أخته من الرضاعة، وهى الشيماء، وكانت تحضنه مع أمها، ولذلك تُدْعى- أيضا- أم النبي، وكانت تُرقّصه بقولها:

هـذا أخٌ لـى لـم تَـلِـدْه أُمِّـي ولَـيـسَ مـن نَـسْـلِ أبِـى وعَـمِّـي
فـأَنْـمِـهِ الـلَّـهُـمَّ فـيـمـا تُـنْـمِـي[(٢)]

فقالت حليمة: فى هذا الحر؟

فقالت أخته: يا أمَّهْ؛ ما وجد أخى حَرّا، رأيت غَمامة تُظِلّ عليه إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع!

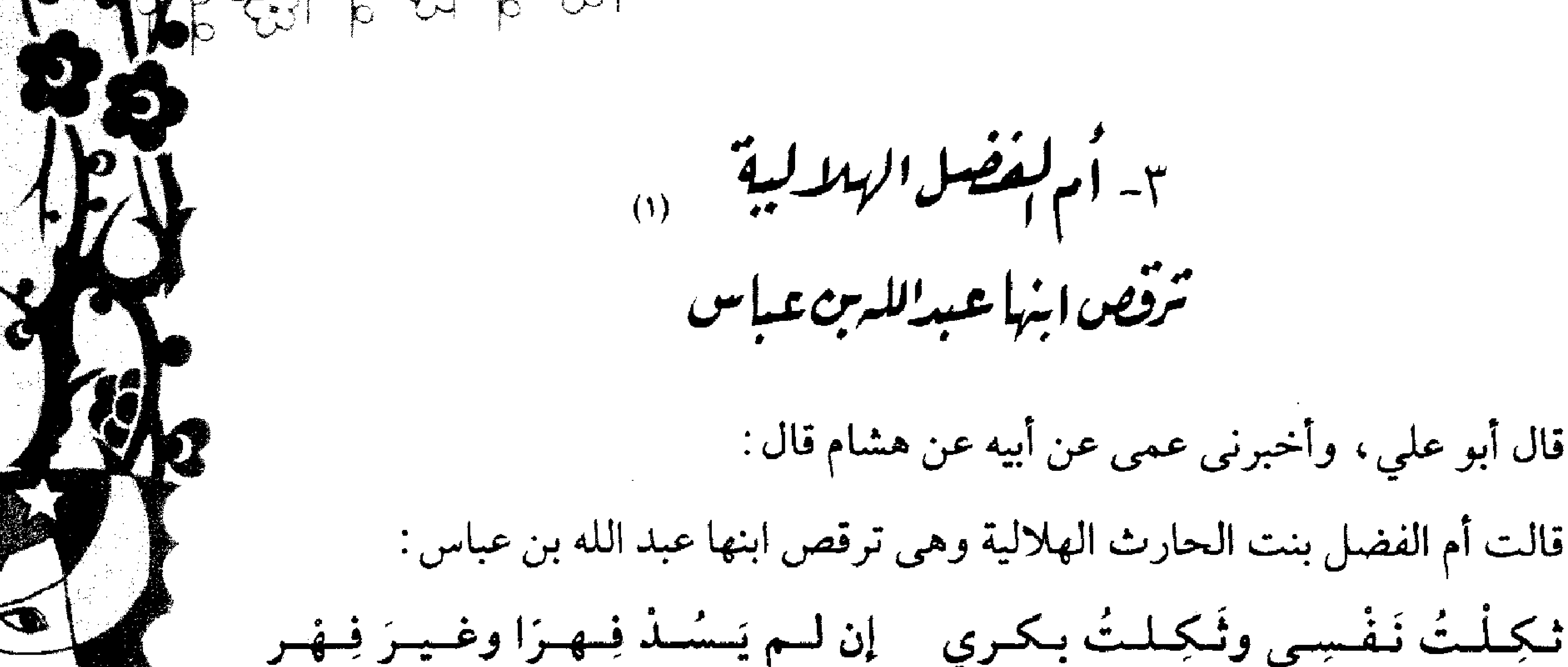
٢- السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ [(٣)] ترقص ابنها الحسين بن على رضي الله عنه

كانت تقول:

إن بُـنَـيْ شِـبْـهُ الـنَّـبِـيّ لـيـسَ شَـبـيـهًـا بـعَـلِـيْ[(٤)]

---

(١) السيرة الحلبية (جزء ١ ص١٣٦).
(٢) فأَنْمِهِ: النماء الزيادة.
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (ج١ ص ٢٧٨).
(٤) بُنَيْ: بالتخفيف لضرورة وزن الشعر. وبعلِيْ: بالتخفيف- أيضا- للضرورة.



٣- أم الفضل الهلالية [(١)]
ترقص ابنها عبد الله بن عباس

قال أبو علي، وأخبرني عمي عن أبيه عن هشام قال:

قالت أم الفضل بنت الحارث الهلالية وهي ترقص ابنها عبد الله بن عباس:

ثكِلْتُ نَفْسِي وثَكِلتُ بِكري إن لم يَسُدْ فِهرًا وغيرَ فِهْرِ
بالحَسبِ العِدِّ، وبذلِ الوَفْرِ حتى يُوارَى في ضريحِ القَبْرِ [(٢)]

٤- أسماء بنت أبي بكر الصديق
وولدها عبد الله بن الزبير

روى أن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت وهي ترقص ولدها عبد الله بن الزبير [(٣)]:

أبيضُ كالسيفِ الحُسَامِ الإبريقِ بينَ الحَوارِيّ وبينَ الصِّديقِ [(٤)]
ظَنِّي به، ورُبَّ ظَنٍّ تحقيق واللهُ أهلُ الفضلِ أهلُ التوفيق
إن يُحْكِمِ الخُطْبَةَ يُعيِي المِسْليق ويُفرِجَ الكُرْبَةَ في ساعِ الضِّيق [(٥)]

---

(١) الأمالي لأبي علي القالي (ج٢ ص ١١٩).

(٢) الثُّكل: الموت والهلاك، والثُّكْلُ والثَّكَل: فقِدان الرجل والمرأة ولدهما. فِهر: قبيلة، وهي أصل قريش، وقريش كلهم ينسبون إليه. الحَسَب: الشرف الثابت في الآباء. وقيل: هو الشرف بالفعل. حَسَبٌ عِدٌّ: قديم. الوفر: المال الكثير الذي لم ينتقص منه شيء.

(٣) كتاب أبناء نجباء لمحمد بن ظفر الصقلي (ص ٨٥).

(٤) السيف الحُسام: سيف حسام، وكذا مُدْية حُسام. والإبريق: كثير اللمعان، والإبريق: السيف الشديد البرق، سمى به فعله. بين الحواريّ إلخ: الحواريّ كل مُبالِغ في نُصرة الآخر. تعني زوجها وأباها.

(٥) يحكم: أحكم الأمر: أتقنه. لخطبة: اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب. يُعيي: أعيا أكَلّ وأعجز. المسليق: من كان نهاية في الخطابة. والكُرْبة: الكرب والحزن والغم. ساعِ الضيق: الساع: جمع ساعة كحاجٍ وحاجة. أي في ساعات الضيق.

إذا نَبَتْ بالمُقَلْ الحماليق   والخيلُ تعدو زِيَمًا برازيق[1]

٥- لهند بنت عتبة وابنها معاوية

قال أبو على القالى فى الأمالي[2] : عن هشام قال :

قالت هند بنت عتبة وهى ترقص ابنها معاوية رحمه الله :

إنّ بُنَيَّ مُعْرِق كريمُ   مُحَبَّبٌ فى أهلِه حَلِيمُ[3]

ليسَ بفحّاش ولا لئيم   ولا بَطُخْرُورٍ ولا سئيمُ[4]

صَخْرُ بنى فِهرٍ به زعيمُ   لا يُخلِفُ الظَّنَّ ولا يَخيمُ[5]

٦- ضباعة بنت عامر وابنها سلمة بن هشام

قالت تُرَقِّص ابنها سلمة بن هشام بن المغيرة[6] :

نَمَى به إلى الذُّرَا هِشامُ   قَرْمٌ وآباءٌ له كِرامُ[7]

---

(١) نَبَتْ: نبا عنه بصرُه ينبو، أي تجافى، ولم ينظر إليه كأنه حقرهم ولم يرفع بهم رأسا. المُقَل: جمع مُقلة، وهي شحمة العين التى تجمع السواد والبياض. وقيل: هي العين كلها. الحماليق: جمع حِملاق، وهو ما غطى الجفون من بياض المقلة أو هو باطن أجفان العين. تعدو: العَدْو: الحُفْر. زِيَمًا: أي متفرقة. برازيق: مفردها بِرْزيق. وهي جماعات الخيل وقيل: هم الفرسان.

(٢) كتاب الأمالي (ج ٢ ص ١١٨).

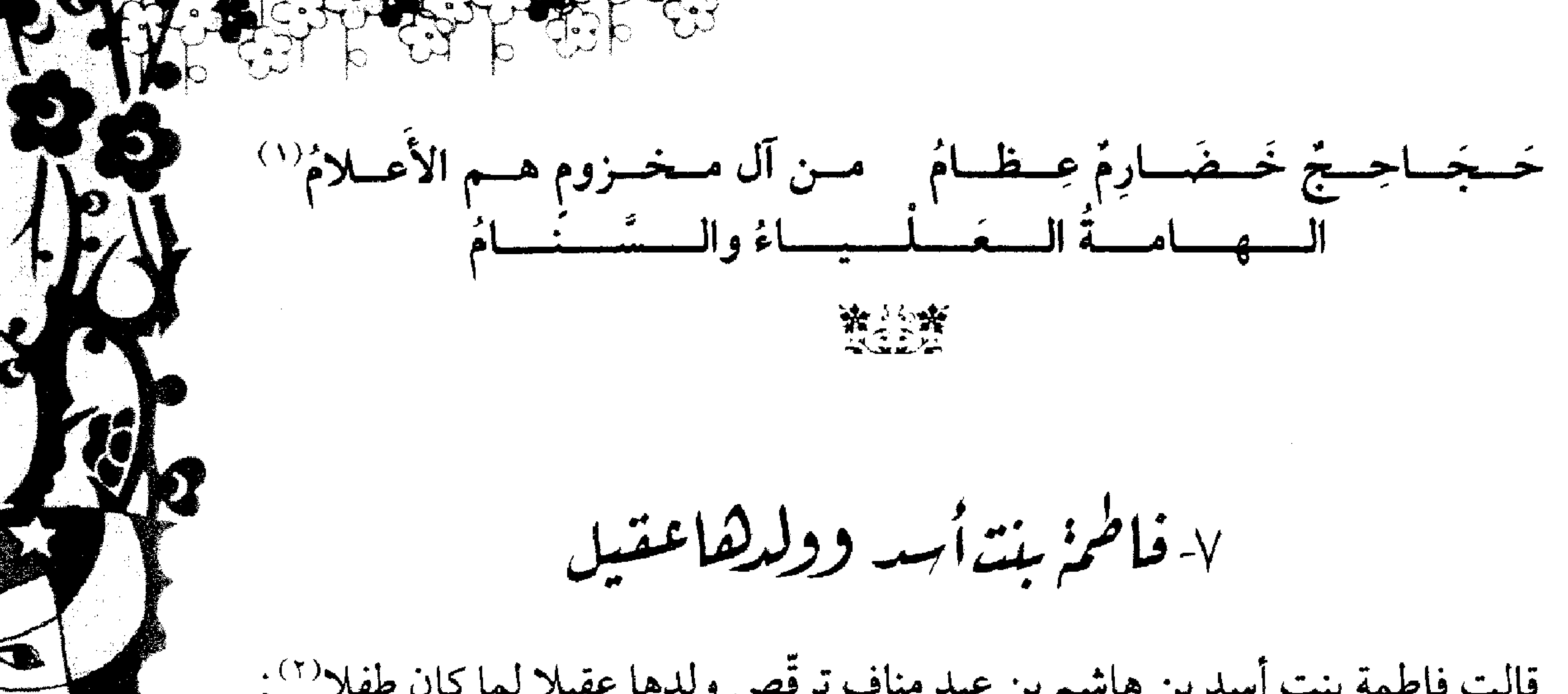
(٣) مُعرق: عريق النسب أصيل.

(٤) فحّاش: كثير الفُحْش، وهو القبيح من القول. طُخْرُور: يقال للرجل إذا لم يكن جَلدًا: طُخرور.

(٥) يخِيم: يجبن. قال أبو علي القالي: يمكن أن يكون «يخيم» هنا «يخيب فأبدلت من الباء ميما، كما قالوا: طين لازب ولازم.

(٦) الأمالي : (ج٢ ص ١١٨).

(٧) نمى: ارتفع: الذُّرَا: جمع ذِرْوَة، وذُرْوَةُ كُلّ شيء: أعلاه والجمع: ذُرَا. القَرْم من الرجال: السيد العظيم.



حَـجَـاحِـجٌ خَـضَـارِمٌ عِـظَـامُ   مـن آل مـخـزومِ هـم الأعـلامُ[1]
الـهـامـةُ الـعَـلْـيـاءُ والـسَّـنَـامُ

❊

٧- فاطمة بنت أسد وولدها عقيل

قالت فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ترقّص ولدها عقيلا لما كان طفلا[2]:

إن عَـقـيـلاً كـاسـمـه عـقـيـلُ   وبِـيَـبِى الـمـلـفّـفُ الـمـحـمـولُ[3]
أنـت تـكـون مـاجـدٌ نـبـيـلُ   إذا تـهـبُّ شـمـألٌ بـلـيـلُ[4]
يُـعـطِـى رجـالَ الـحـيّ أو يُـنـيـل

❊

٨- منفوسة زوج قيس بن عاصم وابنهما حكيم

رقص « قيس بن عاصم » ابنَهُ « حكيما » فى بيتين له يقول فيهما: أشبه أبا أمك، أو أشبه خالك.

فقالت أمه منفوسة بنت « زيد الفوارس » ترد على أبيه قيس بن عاصم[5]:

---

(١) حجاحج: جمع حَجْحَج. وكبش حجحج: عظيم. خضارِم: جمع خِضْرِم وهو الجَواد الكثير العطية مشبه بالبحر الخِضرم وهو الكثير الماء. مخزوم: أبو حيّ من قريش منهم هشام بن المغيرة وبنوه. الهامة: رأس كل شيء، وهامة القوم: سيدهم ورئيسهم وسنام كل شيء أعلاه.

(٢) العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٨).

(٣) بِيبِي: هكذا رواها البَغدادي فى « خِزانة الأدب » والعقد. وأصلها: بأبى فخففت همزتها. ومعناه: يُفدَى بأبي. والملفّف: هو الذى لُف باللفافة، أو هو الذى تدانت فخذاه من السمن.

(٤) والمعنى: بأبي أنت ماجد نبيل تكون. فتكون هنا زائدة لا عمل لها ونقل البغدادي فى خزانة الأدب: أن الأزدي رواه فى كتاب الترقيص: « أنت تكون السيد النبيل ». ونبيل: أي عاقل، وقيل: حاذق وقيل: نبيل: أي رفيق بإصلاح عظائم الأمور. شمأل: الريح تهب من ناحية القطب، والجمع شِمالات وشَمائل على غير قياس. بليل: ريح باردة مع ندًى. يُنيلُ: يُعطي.

(٥) مادة وكل من لسان العرب.

أشبِه أخي، أو أشبهَنْ أباكا   أمَّا أبي، فلن تنالَ ذاكا[١]
تَقْصُرُ أن تنالَه يَداكا[٢]

٩- جارية سوداء وصبي لها

فى الحديث : مر رسول الله ﷺ بجارية سوداء ترقص صبيا لها وتقول[٣] :

ذُؤالُ يا بن القَرْم يا ذُؤالَه   يَمْشِى الثَّطا ويَجلس الهَبَنْقَعهْ[٤]

فقال ﷺ : « لا تقولى ذُؤالَ فإنه شر السِّباع! »[٥] .

١٠- الأحنف بن قيس وأمه

كانت أم الأحنف بن قيس ترقصه[٦] بقولها :

واللهِ لولا حَنَفٌ فى رجلهِ   ودِقَّةٌ فى ساقِه من هُزْلِه[٧]
وقِلَّةٌ أخافُها من نَسْلِه   ما كان فى فتيانكم مِن مِثْلِه[٨]

---

(١) يقول قيس بن عاصم لابنه حكيم: أشبه أبا أمك أو أشبه خالك، فترد عليه زوجته منفوسة بنت زيد الفوارس وهي ترقصه وتقول: أشبه أخي، أو أشبه أباك، أما أبى فلن تُشْبِهَهُ بحال ما.

(٢) فإنك تقصر عن نيل ذلك الشرف. وقيس بن عاصم كان عاقلا حليما مشهورا بالحلم. وزيد الفوارس كان من أكبر الفرسان، ومن أكبر بيوتات العرب.

(٣) (ذأل وثطا من لسان العرب).

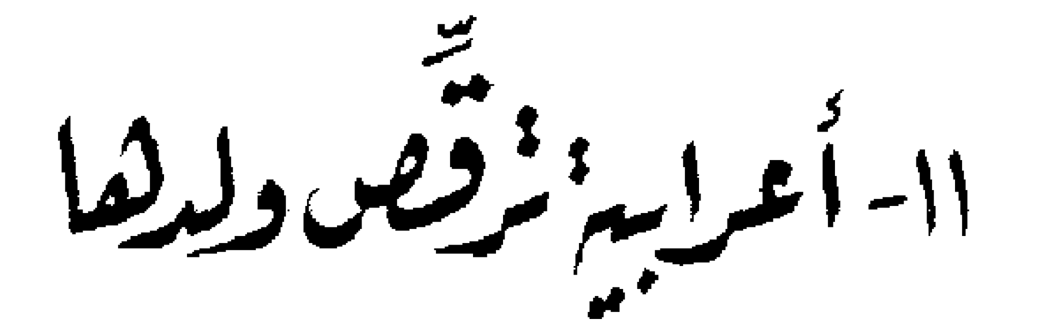
(٤) ذؤال مرخم ذؤالة وهو الذئب. القَرم: السيد. يمشي الثطا: أي يخطو كما يخطو الصبي أول ما يدرج. الهبنقعة: الأحمق، أرادت أنه يمشي مشي الصبيان، ويجلس كما يجلس الأحمق.

(٥) النهاية فى غريب الحديث والأثر وعزاه للهروي. ثم قال: « ذؤال » ترخيم ذؤالة، وهم اسم علم للذئب كأسامة علم للأسد.

(٦) هزل من لسان العرب، وص ٥٣ من كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون.

(٧) الحنف: أن تُقبِل الرِّجلُ بالإبهام على الأخرى. والهُزْل: والهَزْل، والهُزال: نقيض السِّمَن.

(٨) وفى طبقات ابن سعد: ما كان فى الحيّ غلام مثله. والأحنف بن قيس هو المضروب به المثل فى الحلم والسيادة أدرك النبي ﷺ ولم يره، ودعا له.



١١- أعرابية ترقّص ولدها

قالت أعرابية ترقص ولدها[١] :

يـا حَـبّـذَا ريـحُ الـوَلَـدْ   ريـحُ الـخُـزَامـىٰ فـى الـبَـلَـدْ[٢]

أهـكـذا كـلُّ ولَـدْ   أم لـم يَـلـدْ قَـبْـلِـى أحَـدْ؟!

١٢- نساء قريش وأولادهن

كان عثمانُ بن عَفّانَ مُحبَّبًا فى قريش يتودّدُون إليه، ويعظمونه وكانت المرأة فى قريش ترقّص ولدها وهى تقول[٣] :

أُحِـبُّـك والـرحـمَـنْ   حُـبَّ قـريـشٍ عـثـمـانْ[٤]

إذْ دَعَـا بـالـمِـيـزَانْ

---

(١) الدراري فى الذراري لابن العديم.

(٢) حبذا: حَبَّ بمنزلة نِعْمَ ، وذا اسم إشارة فاعل، وهي من أفعال المدح، كما أن لا حبذا للذم ! الريح: نسيم كل شيء. الخُزَامَى: عُشبةٌ طويلةُ العيدان صغيرة الورق. حمراء الزهر، طيبة الريح، لها نَوْر كنَوْر البنفسَج. ولن تجد من الزهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخُزامَى.

(٣) كتاب المعارف لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ص ٦٣.

(٤) إذا دعا: أي نادى. بالميزان: أعني العدل. والواو فى (والرحمن) للقَسَم، أي: أقسم بالرحمن إني أحبك. وعثمان ﷺ هو الخليفة الثالث، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين تُوُفّى الرسول ﷺ وهو عنهم راضٍ.

١٣- أم الفرزدق وابنها!

كانت أم الفرزدق ترقصه وهى تقول:

قَصَصْتُ رُؤيايَ على ذاك الرجلْ فقال لى قولا، وليتَ لم يَقُلْ
لَتَلِدِن عُضْلَةً من العُضَلْ ذا مَنْطِقٍ جَزْلٍ إذا قال فَصَلْ[١]
مِثلُ الحُسام العَضْب ما مَسّ فَصَلْ يَعدِلُ ذا الميلِ ولَمّا يَعْتَدِلْ[٢]
يُنْهِلُ سُمّا من يُعادى ويَعِلّ[٣]

١٤- امرأة من حمير ترقص ابنها

قال أبو عمرو بن العلاء: سمعت امرأة من حِمْيَر ترقص ابنها فتقول[٤]:

يا ربّنا مَن سَرّه أن يَكْبَرا فهَبْ له أهلاً ومالاً حِيَرا[٥]

(١) عُضْلة من العُضل: أي: داهية من الدواهي. جَزل: قوي شديد جيد الرأي.
(٢) الحُسَام العَضب: السيف القاطع. فصل: قوله الفصل، ولا رأيَ بعده. يعدل: يعدل كل من يميل عن الحق.
(٣) يُنهل: يسقى غيره. والنهَل: أول سقي الإبل. ويَعلّ: ويسقي ثانية. والفرزدق هو الشاعر المعروف صاحب جرير، وكنيته أبو فِراس. وله كثير من الأخبار المستظرفة.
(٤) مادة «حير» من لسان العرب.
(٥) أهل الرجل: عشيرته وذوو قرباه. الحِيَر، والحَيَر: المال الكثير. وكذلك الأهل، وفى رواية:
* «فَسُقْ إليه ربِّ مالاً حَيرا» *



١٥- امرأة تُرَقِّصُ ابنًا لها

قالت أعرابية وهى تُرَقِّصُ ابنا لها[(١)] (ترقصه):

يا قومُ ما لى لا أُحِبُّ عَنْجَدَهْ وكلُّ إنسانٍ يُحِبُّ ولَدَه؟![(٢)]
حُبَّ الحُبَارَى ويَذِبُّ عَنَدَه[(٣)]

***

١٦- امرأة من طيء ووليدها[(٤)]

كان رجل من طيّ يقطع الطريق، فمات وترك بُنَيّا رضيعا فجعلت أمه ترقصهُ وتقول:

يا ليتَه ما قطَع الطريقا ولم يُرِدْ فى أمرِه رفيقا
وقد أخاف الفَجَّ والمَضيقا فقَلَّ أن كان به شفيقا[(٥)]

***

---

(١) كتاب البلدان لابن الفقيه ص ١١٩، ومحاضرات الأدباء (ج١ ص ١٥٥) ولسان العرب مادة عنجد.

(٢) عنجده وعنجد: اسمان. والعنجد: الزبيب.

(٣) الحُبارى: طائر، وفى المثل: «كل شيء يحب ولده حتى الحُبارَى». يذُبّ: يدفع ويمنع، عَنَدَه: عناده، أي يدفع معارضته شفقة عليه.

(٤) العقد الفريد ج١ ص ٢٧٨ .

(٥) الفج: الطريق الواسع فى الجبل. المضيق: ما ضاق من الأماكن.

١٧- أم ترقص ولدها

رقّصت أم ولدها. وهى تقول[١]:

وهبتَه ليس بشَمْشَلِيقِ ولا دَحُوقِ العينِ حَنْدَقُوقِ[٢]
ولا يُبالى الجَوْرَ فى الطريقِ[٣]

١٨- التعريض بين الزوجين

قالت امرأة وقد رقصت ابنها وعرّضَتْ[٤] بزوجها:

وهَبْتَه من ذى ثِقالٍ خَبِّ يَقْلِبُ عينًا مِثلَ عين الضّبِّ[٥]
ليس بمعشوق ولا مُحَبِّ[٦]

فقال زوجها يرد عليها وقد أخذ يرقص ابنه[٧]:

وهبتَه من سَلْفَعٍ أَفُوكِ سُرُحٌ إلى جارتها ضَحُوكِ[٨]

---

(١) لسان العرب مادة (حندق)، ومادة (شمشلق).

(٢) الشَّمْشَليق: الخفيف، والطويل السمين. والحندقوق هو بمعنى: دحوق العين. وهو الرأراء: الذى يكثر تقليب حدقتيه.

(٣) الجور: الميل عن القصد.

(٤) البيان والتبيين (ج١ ص١٠٤). والتعريض ضد التصريح. يقال: عرّض لفلان وبفلان، وهو يعنيه، ومنه «المعاريض» فى الكلام، وهو التورية بالشىء عن الشىء، وفى المثل: «**إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب**» **أي: سعة.**

(٥) وَهبتَه: أي أعطيتَه إياي يا ألله. وإن قرئ وُهِبتُه: يكون معناه: وهبه الله تعالى لي. الثقال: البطيء الثقيل الذى لا ينبعث إلا كرها. الخب: الخدّاع الذى يسعى بين الناس بالفساد. عين الضب: شبهته بالضب فى خدعته. يقال: «أخدع من ضب» وامرأة خبّة ضَبّة.

(٦) المعشوق: من العشق، وهو فرط الحب فى عفاف.

(٧) البيان والتبيين (ج١ ص١٠٤) ومادة «حنك» من لسان العرب.

(٨) السَّلْفَع: امرأة سليطة جريئة. وقيل: هي البذية الفحّاشة القليلة الحياء. أفوك: كذاب. سُرُح: أي سريعة الذهاب إلى جارتها. ضحوك: كثيرة الضحك.



ومن هِبَلٍّ قد عَسَا حَنيكِ يحمل رأسًا مثلَ رأسِ الديكِ[1]

١٩- روي أن العجلان بن سحبان كان يرقص بنته ويقول..

وهبتَها من قَلِقٍ نِطَاقُها مُشَمِّرٌ عُرقوبُها عن ساقِها[2]
يكثر في جيرانها إحداقُها[3]

فأخذتها منه أمها وقالت وهى ترقصها :

وَهَبْتَها من شيخ سوءٍ أنكَدِ لا حَسَنِ الوجهِ ولا مُسَوّدِ[4]
يأتي الأَمَرّ بالدواهي الأُبَّدِ ولا يُبالي جارَه إن يَبْعُدِ[5]

فأخذها منها وأرقصها، وقال :

وهبتها من ذات خُلُقٍ سَلْفعِ[6] تُواجهُ القومَ بوجهِ أخدعِ[7]
من بعد بيضاء لسَوْأى أرْبُعِ يا لَهفِي من بدلٍ لي مُوجِعِ[8]

---

(١) الهِبَلّ : الضخم المُسِنّ من الرجال والنعام، وأيضا : الثقيل المسن الكبير من الناس. حَنيك : مُجَرَّب. والحنيك : الشيخ.

(٢) وهبت يارب هذه البنت. قلق : مضطرب من القلق كأن حزامها أو ثوبها يضطرب لنحفها. النطاق : ثوب تلبسه المرأة، ثم تشد وسطها بحبل، ثم ترسل الأعلى عَلَى الأسفل إلى الركبة، فالأسفل ينجر على الأرض. شمر عن ساقه : أي خف وجَدّ، وقلصه فتقلص. والمعنى : أن عرقوبها متقلص عن ساقها دلالة النحف.

(٣) إحداقها : الإحداق : الإحاطة بالشيء والاستدارة.

(٤) الشيخ : الذى استبانت فيه السن، وظهر عليه الشيب. السوء : الفجور والمنكر، أنكد : كل شيء جر على صاحبه شرا فهو أنكد.

(٥) والأمَرّ : من المرارة، ومعناه هنا الشر. أي : يأتي الشر مصحوبا بالدواهي. الأُبَّد : جمع آبدة، وهي الداهية تبقى على الأبد. أن يَبْعُدَ : من البُعد، وهو خلاف القرب. ويكون بمعنى الهلاك. وكسرت الدال للروى.

(٦) سلفع : سليطة جريئة.

(٧) أخدع : مراوغ. ويمكن : ولا يبالي جارُه أن يَبْعُدِ .

(٨) البيضاء : الشمس. شبهها بالشمس. سوأى : رجل أسوأ : قبيح. الأنثى سوأى : قبيحة. أربُع : جمع ربع وهو المنزل، والدار بعينها، والوطن. يا لهفى : يا حسرتي. بدل : خلف.

٢٠- رجل وزوجته يتبادلان ترقيص ابنهما

قال رجل يرقص ابنه ويعرض بزوجه:

وهَبْتَه من ذات ضِغْن خِبّةْ قصيرة الأعضاء مثلِ الضّبّةْ[١]

تعيا كلام البعل إلا سَبَّه[٢]

فأخذته منه وجعلت ترقصه بقولها:

وهبتَه مِن مُرعَنٍ من الكِبَر شَرَنْفَح وريدُه مثلُ الوَتَر[٣]

بئس الفتى فى أهلِه وفى الحضَر[٤]


(١) الضغن: الحقد والعداوة والبغضاء. الخِبّة: الخداعة التى تسعى بين الناس بالفساد. الضّبة: أنثى الضب. والعرب تشبه كف البخيل إذا قصر عن العطاء بكف الضب. ورجل خب ضب: منكر مراوغ.

(٢) تعيا: تعجز. البعل: الزوج، إلا سبّه: السبّ: الشتم؛ أي تعجز من التكلم مع زوجها، ولا تعجز عن سبه.

(٣) أعطيته لي يا ألله من مرعَنٍ: مرتجف. شرنفح: خفيف القدمين. الوريد: عرق الدم. الوتر: يكون للقوس. أي أن أوردته اشتدت وصلبت حتى صارت كالوتر وهذا شأن الطاعنين فى السن فهو يعاني من ضغط الدم.

(٤) الحضر: يراد به المدن، كما يراد به السفر.

فهرس المحتويات







ISBN 978-977-277-572-2
6 222008 906816